

القرآن الكريم بين التفسير والتأويل

الدكتورة

نادية سالم عيسى

القرآن الكريم بين التفسير والتأويل

الدكتورة

نادية سالم عيسى

كلية الآداب / جامعة القادسية



zahraa al awadi

Title: The Quran al-kareem between interpretation and explanation

Authored: Dr. Nadia Salem issa

category : studies

first edition: ٢٠٢٥

Formatting: Athraa al bayati

Cover Design: ali_alawadi

اسم الكتاب : القرآن الكريم بين

التفسير والتأويل

تأليف : نادية سالم عيسى

الصنف : دراسات

الطبعة الأولى ٢٠٢٥

التسيق الداخلي : عذراء البياتي

تصميم الغلاف : علي العوضي

٢٢٢

٩٥٢٤، نادية سالم عيسى

القرآن الكريم بين التفسير والتأويل لنادية سالم عيسى - ط ١ - الديوانية : دار ومكنة زهراء العوضي، ٢٠٢٤

٢٧٧ ص: ٢٤ سم

القرآن الكريم تفسير p - العنوان

رقم الايداع ٤٤٩٧٤٤١٤٤١ ٢٠٢٤

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٤٩٧) لسنة ٢٠٢٤

ISBN:٩٧٨-٩٩٢٢-٨٢٧٧-١-١



zahraa al awadi

الفرع الأول الديوانية الفرع الثاني البصرة

009647837032509

zahraa_alawadi

دار زهراء العوضي

zahraa_alawadi@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة لا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع دون إذن خطي من أصحاب الحقوق .

All rights reserved .is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book ,or part thereof ,or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information ,whether electronic or mechanical ,including photocopying ,recording ,or storage and retrieval ,without written permission from the rights holders

قال تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

سورة النحل: ١٢٥

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام في وصف القرآن الكريم:

(إن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة)

بحار الأنوار

العلامة المجلسي

٢١٣/ ١٧

الفهرست

١٤	المقدمة
١٧	الفصل الأول النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل
١٩	المبحث الأول التفسير والتأويل والعلاقة بينهما
١٩	مطلب أول / إضاءات تعريفية
٢٦	ثانياً / التأويل بين اللغة والاصطلاح
٣٦	المطلب الثاني التأويل في الفكر الإنساني
٣٧	ثانياً / التأويل في الفكر الإسلامي:
٣٨	*نسبة التأويل إلى التفسير:
٣٩	ثالثاً / أقوال في الفرق بين التفسير والتأويل بين الفكرين الإسلامي والغربي :-
٤٤	وخلاصة ما ورد عند العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل تذكر ما يأتي:
٤٩	المطلب الثالث الجذور التاريخية لنشأة عالم التفسير
٥٢	و عليه فقد قسم العلماء نشأة عالم التفسير من بدايته حتى العصر الحديث إلى مراحلٍ كالآتي:
٥٢	أما مصادر التفسير في عصر النبوة ، فهي:
٥٥	رابعاً/ التفسير منذ عصر التدوين إلى العصر الحديث :
٦١	فهل للسياق أقسام؟
٦٢	ثانيا/السياق الداخلي ويقسم إلى :-

٦٥	أولاً / الصفات الأخلاقية نذكر منها :
٦٥	ثانياً / الصفات العلمية، وهي:-
٦٦	ثالثاً / الشروط العقلية، ومنها :
٦٧	المبحث الثاني طرق تفسير القرآن الكريم
٦٧	القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة:-
٦٩	المطلب الأول تفسير القرآن بالقرآن
٧٠	ومن أحسن التفاسير في هذا الجانب :
٧١	أهم القرائن المتبعة في تفسير القرآن بالقرآن، هي:
٧٣	ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن تذكر:
٧٥	فما حكم القرآن الكريم بوصفه حقاً يصير باطلاً، وما حكم بوصفه باطلاً لا يصير حقاً ؟
٧٧	المطلب الثاني تفسير القرآن الكريم بالسنة المباركة
٧٨	*أوجه بيان السنة المباركة لآيات القرآن الكريم :
٧٨	إن أهم صور بيان السنة المباركة للقرآن الكريم وتفسيرها له هي:
٨٢	مصادر التفسير بالسنة الصحيحة:
٨٢	صور تفسير الرسول (ﷺ) للقرآن الكريم:
٨٥	المطلب الثالث التفسير بالمأثور
٨٦	خطوات التفسير بالمأثور واتجاهاته
٨٩	المطلب الرابع التفسير بالرأي
١٠٤	المطلب الخامس التفسير بأقوال أهل البيت (عليهم السلام).

١١١	*من هم الراسخون في العلم؟
١١٦	المطلب السادس التفسير بأقوال الصحابة والتابعين
١١٦	فما المقصود بالصحابي، وما المقصود بالتابعي؟
١١٨	ومن أهم مصادر التفسير عند الصحابة هي :
١٢٢	الصحابة درجات عند الله سبحانه:
١٢٧	المبحث الثالث الخطابات القرآنية وأثرها في التفسير
١٢٧	المطلب الأول / مصطلح (الخطاب) بين اللغة والاصطلاح
١٣٢	المطلب الثاني أقسام الخطاب وأنواعه
١٣٨	المطلب الثالث مكانة الخطابات القرآنية
١٣٩	المطلب الرابع جمالية الخطاب القرآني
١٤١	الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم
١٤٣	المبحث الأول علوم القرآن الكريم وأهميتها في التفسير
١٤٣	المطلب الأول :الدعوة القرآنية للعلم والمعرفة :
١٤٦	المطلب الثاني القرآن الكريم نزل بلغة العرب (بقلمها ومدادها)
١٥٢	المطلب الثالث التعريف بعلوم القرآن الكريم.
١٥٣	أما أهم فوائد دراسة علوم القرآن الكريم ، فهي:
١٥٤	المطلب الرابع نشأة علوم القرآن الكريم وتطورها عبر العصور
١٥٤	مرت نشأة علوم القرآن الكريم بمراحل عدة:
١٥٩	أما أشهر العلوم المنبثقة من القرآن الكريم نذكر:

١٦١	المبحث الثاني علوم القرآن الكريم وأثرها في التفسير
١٦١	فما المقصد من أسباب النزول وكيف عرفها العلماء؟
١٦٤	أما من جانب فوائد أسباب النزول ، نذكر :
١٧٠	وتكمن أهمية علم المناسبة القرآنية فيما يلي:
١٧٢	٣ - أقسام المناسبة القرآنية وأثرها في التفسير:
١٧٧	المطلب الثاني المحكم والمتشابه والحاجة إلى تفسيرهما
١٨٢	من هم الراسخون في العلم ؟
١٨٦	نتيجة الكلام في تفسير الآية،:
١٨٩	لذا فهو - أي التشابه - يحصل في أمور :-
١٩٥	المطلب الثالث القراءات القرآنية وأثرها في التفسير
٢٠٢	وهناك عوامل أخرى ساهمت في نشوء هذا الاختلاف، منها:
٢٠٤	* أركان القراءة الصحيحة وشروطها:
٢٠٥	* قواعد في تقييم القراءات:
٢٠٥	وضع العلماء أربع قواعد أساسية في تقبل ومن ثمّ تقييم هذه القراءات
٢٠٨	المطلب الرابع تحريف القرآن الكريم
٢٠٩	أولاً / معنى التحريف عند علماء اللغة والاصطلاح
٢١٠	أما معناه في الإصطلاح فيراد به وجوه عدة ومختلفة:
٢١٣	ثانياً / أدلة القائلين بعدم تحريف القرآن الكريم:
٢٣٠	المطلب الخامس خصائص الكلام القرآني وأثره وفي التفسير :
٢٣٥	ثالثاً / تأثير الخصائص في التفسير:

٢٣٩	المطلب السادس البسمة ما هيتهآ وآثارها
٢٤٢	٢ - معاني أحرف وكلمات البسمة :-
٢٤٣	فكيف السبيل لمعرفة المعنى الأصيل للحرف؟
٢٥١	المطلب السابع مبدأ دخول الاسرائيليات في التفسير
٢٥١	أول / معنى مصطلح (الاسرائيليات)
٢٥٣	ثانياً / أقسام الإسرائيليات: وهي عدة نذكر منها:
٢٥٤	ثالثاً / دخول الإسرائيليات في التفسير بالمأثور: ٢
٢٥٦	رابعاً / التفسير الرمزي لكعب الأحبار :
٢٥٦	من هو (كعب الأحبار) ؟
٢٥٩	خامساً / شيوع التفسير الرمزي لكعب الأحبار في المجتمع الإسلامي:
٢٦١	الخاتمة
٢٦٣	المصادر والمراجع
٢٧٩	ثانياً / الرسائل الجامعة
٢٧٩	ثالثاً / المجلات والدوريات



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قيماً ينذر بأساً شديداً، من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً والصلاة والسلام على من أرسله هدى للعالمين ليكن شاهداً ومبشراً و نذيراً، وعلى آله الأبرار المصطفين الأخيار.

وبعد: القرآن الكريم كتاب الله سبحانه ومعجزة رسوله الأكرم محمد (ﷺ) بوصفه دستور الإسلام الدين المحمدي الحاوي على جمع من التعاليم الربانية الراقية الآخذة باليد البشرية نحو الرقي والكمال بوصفه الفاتح لأبواب السعادة والمنير لدرب الهداية والخير للبشرية جمعاء.

وهذا الكتاب المبارك النازل على النبي الأمي العربي بذلك اللسان العربي هو الكتاب المعجز المتحدي للعرب بإسلوبه وبلاغته وبراعة ألفاظه ومعانيه وحتى في نطقه وقراءته، بوصفه كتاب عالمي الدلالة والمعاني غير مختص بزمن دون زمن ولا بأمة دون أمة المتحدي لحدود الزمان والمكان وهو الكتاب الذي لانهاية في إعجازه لذا يحتاج إلى إيضاح وبيان وشرح بوصف اللفظ الواحد منه يحمل أكثر من معنى والمعنى الواحد يحمل معاني أخر في تأويله، لذا انطلق



العلماء إلى تفسير الكتاب المبارك لإيضاح مراده سبحانه ومن ثم السعي لتأويله التأويل الصحيح المراد من قبله عز وجل.

وأهمية هذه الدراسة المتواضعة نبعت من محاولتها الولوج في علوم القرآن الكريم بوصف النص المبارك معجزة إبداعية جمالية كبرى والتأمل في خطابه وجوانب بيانه ودراسة تفسيره وتأويله للوقوف على بيانه بوصفه كتاب رباني سماوي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢

وقد اطرحت الدراسة رؤيتها عن طريق إشكالية تمثلت في مجموعتين من الطروحات الكبرى (فصول) وتفرعت الى مجموعات صغرى (مباحث) وإلى مصغرة (مطالب) بما يتناسب مع طبيعة الموضوع المطروح والفكرة وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول (النص القرآني وعلاقته بالتفسير و التأويل) تم تقسيمه على ثلاث / مباحث الأول في مفهومي التفسير والتأويل وطرح آراء العلماء فيهما ومن ثم بيان العلاقة بين المصطلحين كل هذا جاء بمطالب عدة ناقشت الفكرة المطروحة ، أما المبحث الثاني فكان في طرق تفسير القرآن الكريم و بيان المعجزة الخالدة للإسلام عن طريق تقسيمه إلى مطالب عدة تُعالج الفرضية المطروحة، أما المبحث الثالث ففكرة موضوعه في الخطابات القرآنية وأثرها الواضح على مصطلحي التفسير والتأويل.



أما الفصل الثاني فجاء بعنوان (النص القرآني وعلوم القرآن الكريم).

بينتُ فيه علوم القرآن الكريم المختلفة عن طريق تقسيمه إلى مبحثين الأول في نشأة علوم القرآن الكريم وتطورها وأهميتها في التفسير عن طريق تقسيمه على مطالب عدة تناقش آراء العلماء في الأفكار المقتبسة من مصادرها الموثوقة

أما المبحث الثاني فحمل عنوان (علوم القرآن الكريم وأثرها في التفسير) توضح الأثر الذي تركته هذه العلوم على علم التفسير عن طريق بيان تلك العلوم المختلفة من أسباب نزول، ناسخ و منسوخ ، ومحكم و متشابه ، وقراءات قرآنية وغيرها .

- أما الخاتمة فقد اشتملت على ملخص للبحث ورصد عام لمجمل ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

وَأَلِّمُوا وَلَدَكُمْ مِنَ الْحَمِيمِ إِلَى الْإِنْسَانِ لِيَتَّقِيَ اللَّهَ الَّذِي تَوَسَّلَ بِهِ الْعَالَمِينَ

الفصل الأول

النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل



المبحث الأول

التفسير والتأويل والعلاقة بينهما

مطلب أول / إضاءات تعريفية

أولاً / التفسير بين اللغة والاصطلاح

(١) التفسير لغة: ذكر علماء اللغة في معاجمهم معنى كلمة تفسير، فقال الجوهري و ابن فارس وهم من رواد اللغة: إن الفسر هو البيان أو كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه^(١).

ولهذا المصطلح أكثر من معنى عند الراغب الأصفهاني منها: إظهار المعنى المعقول ، قال تعالى ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣ ، والمعنى الآخر كشف الغطاء المختص بالأعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه^(٢)

وقال الشيخ (فخر الدين الطريحي) من أدباء الشيعة: (ان التفسير في اللغة كشف معنى اللفظ وإظهاره ، مأخوذ من الفسر ، وهو مقلوب من السّفْر)^(٣).

(١) ينظر: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، اسماعيل حماد الجوهري. مادة (فسر)

(٢) ينظر: معجم ألفاظ مفردات القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني. مادة (فسر)

(٣) مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي. مادة (فسر)



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ونسب الزركشي هذه القرابة المعنوية إلى الراغب الأصفهاني ، بأنه قال:
(السفر الفسر متقاربا المعنى كتقارب لفظيهما ، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى
المعقول السفر لإبراز الأعيان للأبصار)^(١)

فالتفسير هو المبالغة في الفسر ، كما نبه عليه الفيومي، ويدل على بيان
وتفصيل للكتاب برأي الفراهيدي^(٢) ، أو هو (كشف المغلق من المراد بلفظه
أو اطلاق للمحتبس عن الفهم به ، كما نقله الزركشي عن ابن الأنباري)^(٣).

وورد في لسان العرب أنّ (الفسر: البيان ويُقال: فسر الشيء وفسره أي: أبانه،
وَالْفَسْرُ: كَشْفُ الْمَغْطَى).^(٤)

ولأبي البقاء الكوفي رأي يقول فيه: (التفسير الاستبانة والكشف والعبارة
عن الشيء بلفظ أيسر وأسهل من لفظ الأصل)^(٥)

الواضح من كل ما سبق من المعاني اللغوية أن تفسير الكلام المقدس هو
بيان لمعناه وتوضيح للمراد وإزالة اللبس عنه المؤدى إلى كشف المراد منه.

(١) البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي : ١٤٨/٢٠

(٢) ينظر: كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي. مادة (فسر)

(٣) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاكراً المبيدي : ١٦-١٧

(٤) لسان العرب، ابن منظور. مادة (فسر)

(٥) الكلبيات ، أبو البقاء الكوفي : ٢٦٠



٢ - التفسير اصطلاحاً :-

للباحثين في علوم القرآن الكريم تعريفاتٌ عدة لمصطلح التفسير، ويمكن إجمالها بمستوياتٍ ثلاثة :- (١)

الأول / في نطاق واسع، بحيث يتناول كل علوم القرآن الكريم.

الثاني / في مستوى الدلالة الموضوعية لألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها.

الثالث/ في مستوى القرآن الكريم، أي جملة ما في القرآن الكريم من مراد الله تعالى، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: ١

وسوف نشير إلى بعض التعريفات بمستويات عدة عند الفريقين:-

قال الطبرسي: (التفسير هو كشف المراد عن اللفظ المشكل) (٢)

ومن متأخري الشيعة قال السيد الخوئي: (التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز) (٣)

والعلامة الطباطبائي في تفسير (الميزان) له رأي قال فيه: (التفسير هو بيان معاني القرآن الكريم والكشف عن مقاصدها ومداليلها) (٤)

(١) ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة: ١٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن المحسن الطبرسي ١٣/١

(٣) البيان في تفسير القرآن، ابو القاسم الخوئي: ١٢٢

(٤) (الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي: ٤/١)



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

والاستاذ (محمد هادي معرفة) يقول في اصطلاح التفسير: (اصطلاحوا على أن التفسير هو إزاحة الإبهام عن اللفظ المُشكل أي المشكل في إفادة المعنى المقصود)^(١)

وقال العلامة (الزركشي) من مفسري أهل السنة الباحثين في علوم القرآن الكريم ان التفسير في الاصطلاح هو: (علم نزول الآية وسورتها وأقاصيص والإشارات النازلة فيها ، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها).^(٢)

وفي موضع آخر في الكتاب نفسه (البرهان في علوم القرآن) قال (التفسير علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيها، واستخراج أحكامه وحكمه واستعداد لذلك من عام اللغة والنحو والصرف وعلم البيان، وأصول الفقه والقراءات وتحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ)^(٣)

ولأبي حيان التوحيدي من مفسري أهل السنة أيضاً تعريف ، مصطلح التفسير مشابه لآراء ما سبقه من العلماء إلا أن له إلتفاتة في أن علم التفسير يبحث

(١) التفسير والمفسرون ، محمد هادي معرفة : ١٤/١

(٢) البرهان في علوم القرآن : الزركشي : ١٤٨/١

(٣) المصدر نفسه : ١٢/١



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

في كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها، والإفراد والتركيب في الأحكام والمعاني التي تحمل عليها تلك الحالة التركيبية^(١)

والتفسير هو الشرح والبيان وتفسير القرآن الكريم توضيح معانيه وما انطوت عليه الآيات المباركات من عقائد وأسرار وأحكام وحكم والبحث عن معاني الألفاظ وما يستنبط منها.^(٢)

وخلاصة ما ورد من التعريفات: إن التفسير هو اسم للعلم الذي يبحث في بيان وتوضيح معاني ألفاظ القرآن الكريم لغرض فهمها والكشف عن أحكامها وإزالة الإشكال الواقع عليها والغموض في البعض منها، هذا البحث سواء كان باختصار أو يتوسع.

ثم أن الرأي السائد بين المسلمين أن القرآن الكريم يحتاج إلى التفسير في كل مستويات ثقافة ووعي القراء. أما من جانب نفسه ككتيبين معنى آية بأختها (تفسير القرآن بالقرآن) ، أو تبيينه بكلام من نزل على قلبه، فقد أوكل الله تعالى إليه مهمة شرحه وتفسيره لما يصعب على غيره فهمه وتفسيره ، قال سبحانه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: النحل: ٤٤ .

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف ابو حيان ٢٣/١

(٢) ينظر المعجم الوسيط، أحمد حسن الزيات : ٦٨٨ ، تفسير التحرير والتنوير المعروف لتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور: ١٠/١



ولم يقل (لتقرأ) بل قال سبحانه (لتبين) إشارة إلى أن القرآن الكريم بحاجة بعد قراءته من قبل النبي (ﷺ) إلى تبين^(١)

والذي يكشف عن حاجة القرآن الكريم إلى التبيين أمور عدة منها:- (٢)

١- إن أسباب النزول للآيات المباركات كقرائن حالية اعتمد المتكلم في إلقاء كلامه عليها بحيث لو قطع النظر عنها ، وقُصِّرَ إلى نفس الآية لصارت تلك الآية مجملة غير مفهومة ولو ضُمن إليها تكون واضحة شأن كل قرينة منفصلة عن الكلام ، لاحظ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة: ١١٨

ونرى أن الآية تحكي عن أشخاصٍ ثلاثة تخلفوا عن الجهاد حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فعند ذلك يسأل الإنسان نفسه ، من هم هؤلاء الثلاثة ؟ ولماذا تخلفوا؟ ولأي سبب ضاقت الأرض والأنفس عليهم ؟

٢ - ان القرآن الكريم مشتمل على مجملات كالصلاة والصوم والحج لا يفهم منها إلا معاني مجملة، غير أن السُّنة كافية لشرحها ، فلا غنى للمفسر عن الرجوع إليها في تفسير المجملات.

٣- إن القرآن الكريم يشتمل على آيات متشابهة غير واضحة المراد في بدء النظر، وربما يكون المتبادر منها، غير ما أراد الله سبحانه ، وربما يُعلم المراد بإرجاعها

(١) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، الشيخ جعفر السبحاني : ١١

(٢) المصدر نفسه: ١٣ - ١٤



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

إلى المحكمات حتى تُفسر بها ، غير أن الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون الظهور البدائي للآية لإيجاد الفتنة وتشويش الأذهان ويجعلونه كالتأويل للآية أي مرجعها ومآلها ، أما الراسخون في العلم فيتبعون مراده سبحانه بعد ما يظهر من سائر الآيات التي هي أم الكتاب.

٤ - إن القرآن المجيد نزل نجوماً لغاية تثبيت قلب النبي (ﷺ) طيلة عهد الرسالة ، قال سبحانه: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) الفرقان: ٣٢. فمقتضى النزول التدريجي جمع الآيات الباحثة عن موضوع واحد في سورٍ مختلفة، ومن المعلوم أن القضاء في موضوع واحد يتوقف على جمع الآيات المرتبطة به في مكانٍ واحدٍ حتى يستنطق بعضها ببعض ويستوضح بعضها بالبعض الآخر .

قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام): (كتاب الله تبصرون و تنطقون به. وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله)^(١).

التمتعن في قوله (عليه السلام) يفهم أن الرسول الكريم (ﷺ) هو المفسر الأول للقرآن الكريم.

(١) نهج البلاغة الخطبة : ١٣٣



ثانياً / التأويل بين اللغة والاصطلاح

يُعد البحث في التأويل من أهم المباحث التي عُنِي بها الفكر الإسلامي عموماً والمعارف القرآنية خصوصاً ، إذ لها التأثير الكبير في الدوائر المعرفية العديدة ، كالتفسير، والكلام، والفلسفة، و الفقه، واصول الفقه... وغيرها.

والمعروف عند جملة من المفكرين الذين اهتموا بالدراسات الإسلامية بأن جعلوا التأويل مرادفاً للعلوم الباطنية، وقد سار على هذا الفهم بعض الإسلاميين حيث جعلوا تأويلهم للقرآن الكريم بمعنى التفسير الباطني له على الرغم من أن للتأويل مفهومه المضاف إلى مفهومه اللغوي وهو المفهوم الاصطلاحي في دوائر معرفية عدة.. (١)

نقف أولاً على معنى مصطلح التأويل في اللغة والاصطلاح:

التأويل في اللغة العربية مظهر مهم ورئيس من مظاهر غناها وثراء معانيها لذا ورد استعمال العرب لهذه المفردة استعمالاً متعدداً ومتشعباً استوفى بها كل الدلالات الحسية والمعنوية لها (٢)، ومن تلك المعاني .

١ - الرجوع: آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، فالتأويل المرجع والمصير من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه وأولته حيرته إليه وقولهم أوّل الله عليك ضالتك أي ردها إليك وهو رد الشيء ورجوعه. (٣)

(١) ينظر: تأويل القرآن (النظرية والمعطيات) : ١٣

(٢) ينظر: لسان العرب، (مادة أول)

(٣) ينظر: المصدر نفسه ، المادة نفسها



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

٢ - الجمع: (آلت الشيء أووله إذا جمعته، وقال بعض العرب: أول الله عليك أمرك: أي جمعه ، وإذا دعوا عليه قالوا: لا أول الله عليك شملك ، فالتأويل: جمع معاني الفاظ أشكلت بلفظ واحد لا إشكال فيه)^(١) وورد التأويل عند ابن فارس بأنه عاقبة الأمر وما يؤول إليه^(٢)

٣ - التفسير والبيان: قال ابن منظور: إن أول الكلام وتأويله دبره وقدره وأوله.^(٣)

وتأوله المعنى (فسره) ، ومنه قوله تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ يونس: ٣٩

٤ - السياسة والإصلاح: مأخوذ المعنى من الإيالة أي السياسة ، بلونا فلاناً فلم نجد عنده إيالة للملك^(٤) لذا فهو الرجوع إلى معنى اللفظ وإصلاحه.

٥- تفسير تعبير الرؤيا: التأويل (عبادة الرؤيا) ، دليل ذلك قوله سبحانه: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ يوسف: ١٠٠ ، قوله في موضع آخر: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ يوسف ٤٤ وقال الراغب الأصفهاني في كتابه (المفردات في غريب القرآن): (التأويل من الأول أي الرجوع إلى الأصل ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً ، والأول السياسة التي تراعي

(١) لسان العرب، (مادة أول)

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة. مادة (أول)

(٣) ينظر: لسان العرب. مادة (أول)

(٤) المصدر نفسه



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

مالها) ^(١) والمصطلح مأخوذ معنى من الإيالة أي السياسة كما ورد عند الزمخشري بقوله) أول آل الرعية يؤولها: إيالة حسنة ، وهو حسن الإيالة ، وأنالها وهي مؤتال لقومه: مقاتل عليهم أي منكم ، وأول القرآن وتأويله) ^(٢) معنى ما ورد أن التأويل في اللغة يراد به الرجوع إلى الشيء آل إليه:

رجع إليه ، ووروده في القرآن الكريم بهذا المعنى بالشواهد السابقة الدليل الواضح القطعي بصحة ما ذهب إليه العلماء .

التأويل اصطلاحاً: - للعلماء قديماً وحديثاً تعريفات عدة للتأويل بوصفه مصطلحاً فمنهم من اتفق على رأي واحد ومنهم من اختلف ، وسنذكر بعضاً من هذه التعريفات نبدأها بالعلامة الطباطبائي حيث قال في تفسير الميزان: (إن التأويل ليس من المفاهيم التي هي مداليل للألفاظ بل هي من الأمور الخارجية العينية) ^(٣)

وقال في موضع آخر: (إن التأويل في عرف القرآن الكريم هو الحقيقة التي يتضمنها الشيء ويؤول إليها كتأويل الرؤيا، وتأويل الحلم، وتأويل العقل، وتأويل الواقعة) ^(٤) والتأويل (علم يفتح الله به على أصحابه، وفهم يؤتاه الله لهم ويعتمد على الموهبة والملكة والتدبر) ^(٥) ، وإضافة المصدر (تأويل) إلى القرآن

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني. مادة (أول)

(٢) أساس البلاغة ، الزمخشري. مادة (أول)

(٣) الميزان في تفسير القرآن ، السيد العلامة الطباطبائي : ٢٦/٣

(٤) المصدر نفسه : ٢٦/٣

(٥) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي : ٣١



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

الكريم تجعل لهذا المصدر الإضافي (تأويل القرآن) المعنى الخاص المحدد المتعلق بالقرآن الكريم ويحقق حسن فهمه، لذا فتعريف: (تأويل القرآن) بوصفه علم يتم به حسن فهم القرآن الكريم وإزالة اللبس والإشكال عن بعض آياته، يردّها إلى الغاية المرادة منها، وحملها على الآيات الأخرى الواضحة التي لا لبس فيها ولا إشكال واستنباط لطائف الآيات ودلالاتها وحقائقها^(١)

فيما ذهب الشيخ (محمد هادي معرفه) إلى وضع معنيين للتأويل:

الأول / دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال والأفعال.

الثاني / المعنى الثانوي للكلام المعبر عنه بالبطن تجاه المعنى الأول المعبر عنه بالظهر^(٢)

وتأويل القرآن الكريم يتعلق بالفهم العلمي للوقوف على الحقائق العلمية وإزالة اللبس.

لذا فكل مؤول لا بد أن يكون مفسراً ليقف على حالات اللبس فيه ليصبح تأويله، بالمقابل لا يمكن لكل مفسر أن يكون مؤولاً، بمعنى آخر كل مؤول مفسر لكن ليس بالضرورة أن يكون المفسر صاحب تأويل سليم خالي من الشبهات. وقد استعمل القرآن الكريم لفظ (التأويل) في سبعة عشر موضعاً،^(٣) قسمها العلماء على ما يلي:

(١) ينظر: تعريف الدارسين بمنهج المفسرين، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٣١

(٢) ينظر: التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفه: ٣٠/٣

(٣) آل عمران ٧، النساء ٥٩، الأعراف ٥٣، يونس ٣٩، يوسف ٢١، ٢٣، ٣٧، ٤٤، ١٠٠، ١٠٢



١ - عاقبة الأمور: يتجسد هذا القسم في قوله سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: ٥٩. فالمراد من التأويل عاقبة أمر الذين آمنوا وأطاعوا الله سبحانه مع حسن تلك العاقبة بطاعة الله سبحانه والرسول (ﷺ).

٢ - حقيقة الأمر: استعمال وارد في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ الأعراف: ٥٢ ، فالمراد من التأويل في النص المبارك الحقيقة التي كانت الباعث لمعرفة حقائق الأمور الواردة في القرآن الكريم من أحكام وانذار وتبشير

٣ - تأويل العمل المتشابه: كتأويل أعمال صاحب موسى (ﷺ) الوارد في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ الكهف: ٧٨ فالإنباء الوارد تأويلاً هو إنباء عن السر المكنون في العمل الذي كان يظاهاه وهو أعمال بلا أجرة فوجهها صاحب موسى (ﷺ) بما ورد ذكره في الآية المباركة .

٤ - إرجاع ما تشابه من القول الوارد في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ال عمران: ٧

إن الآية المباركة لا تُفهم لمجرد الاستماع لها بل التردد في الفهم بين معنى



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وآخر حتى يرجع إلى المحكم منها فیتعین معناها (هذا تأويل المتشابه) .

٥ - أما القسم الخاص والأخير فهو تعبير الرؤيا الوارد في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ يوسف : ١٠٠ .

فتعبير الله سبحانه في القول المبارك (عن الرؤيا) تعبير تأويل لتلك الرؤيا .

عرفنا معنى التأويل مما سبق بأنه إرجاع الشيء إلى حقيقته، فإذا كان كذلك فقد استعمله القرآن الكريم في ثلاثة موارد جمعها ذلك الأمر وهو إرجاع الشيء المبهم من الكلام إلى حقيقته والعمل به - : (١)

الأول / إرجاع الكلام المبهم إلى ما قصد منه برفع الإبهام عن طريق القرائن ، فقوله سبحانه: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ الذاريات: ٤٧ ، كلام يكتنفه الإبهام ، ويثبت ظاهره إن لله سبحانه أيد بنى بها السماء ، لكن رفع الإبهام عن الآية المباركة بالإمعان في القرائن الحافة بها تأويل لها، أي إرجاع الأمر إلى حقيقة ما كانت القصيدة من الآية المباركة.

الثاني / إرجاع الفعل إلى واقعه ، بمعنى رفع الإبهام عنه بذكر مصالحه والدواعي الحاملة للفاعل إلى العمل ، كما في عمل صاحب موسى حيث أتى بأعمال مبهمه ومريبة من غرق السفينة وقتل الصبي وبناء الجدار الذي كاد أن ينتفض ، فسأله موسى عن الدواعي فبينها وقال: ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ الكهف : ٨٢ ، فالتأويل في الآية المباركة رفع الإبهام عن الفعل وإرجاع ظاهره المريب إلى واقعه ومن هذا المنطلق تم وصف الكيل المقرون بالعدل كي

(١) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ١٧١ - ١٧٣



يكون (أحسن تأويلاً) أي أحسن مالأً ، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الإسراء: ٣٥ ، فالمراد أحسن مالأً كما يترتب على إجراء العدل لعملية الوزن في المصالح والغايات الصحيحة.

الثالث/ تأويل الرؤيا التي يكتنفها الإبهام ، فإن الرؤيا الصادقة على أقسام عدة منها ما يتصل بواقع النائم ومنها ما يتصل بخياله، غير أن النفس تتصرف فيما تراه قبل الاستيقاظ من النوم فتختلف الرؤيا عن واقعه، والتأويل عبارة عن إرجاع النوم إلى الأصل الذي اشتقت منه الرؤيا الفعلية، وذلك علم خاص يرزقه الله سبحانه لمن يشاء من عباده ، لذا رزقه سبحانه ليوسف في قوله عز وجل ﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ يوسف: ٦ .

ولو تتبعنا التأويل الوارد في سورة يوسف لوجدناه في جميعها عبارة عن ارجاع الرؤية الصادقة ذات التصرف النفسي إلى الواقع المتحولة عنه: رؤيا (يوسف) سجود الكواكب الأحد عشر له مع الشمس والقمر.

٢ - رؤيا أحدهم يعصر الخمر.

٣ - رؤيا الآخر يحمل فوق رأسه الخبز والطيور تأكل منه.

٤ - رؤيا الملك لسبع بقرات سمان وسبع عجاف.

فهذا التأويل يؤدي إلى إرجاع اللواقع بحسب تعبير القرآن الكريم له. لذا نستطيع القول أن التأويل في مصطلح المفسرين والباحثين في علوم القرآن



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

الكريم له إرتباط بفهم القرآن الكريم والوصول إلى مراد الله سبحانه، فهو كالتفسير لا بمعنى التفسير إلا أنه يشترك في أمورٍ ويمتاز عنه بوجه. كالاتي...

١ - إن التأويل يكون فهماً وإدراكاً للآيات إلا أنه أعمق من التفسير.

٢ - التفسير هو بيان للمعنى الظاهر، والتأويل بياناً للمعنى الباطن فيعبر العلماء عن الأول (التفسير) بالظهر، والثاني (التأويل) بالباطن.

٣ - التأويل غير مختص بالمتشابهات في نطاق الآيات، إلا أنه يختص بذوي الاختصاص والواقفين على رموز الآيات وإشاراتها.

٤ - ما قاله العلامة الطباطبائي كان من الحقائق الخارجة عن النطاق العام للبحث التفسيري.

ولفهم مصطلح التأويل في القرآن الكريم بما ورد من معانٍ^(١) لا بُدَّ من تحديد إلتجاهات الأتية:-

الاتجاه الأول / التأويل من مقولة المعنى^(٢)

الإلتجاه الثاني / التأويل من الأمور العينية^(٣)

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ١٢٤

(٢) التمهيد في علوم القرآن: ٢٨/٣

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٢٥/٣ - ٢٩.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

الاتجاه الأول اتبعه الأعم الأغلب من علماء المسلمين والدارسين للنص القرآني من الأقدمين الذين ذكروا إن لفظة التأويل مرادفه مع لفظة التفسير.^(١)

أما ما اتبعه المتأخرون وعملوا به نتج عن التطور الفكري لمعلوم التأويل أي نظرية (المعنى) المخالف لظاهر اللفظ ، وهي ما تسمى بـ (نظرية الدليل) أي لا يمكن للمؤول التحول إلى معنى آخر غير المعنى الظاهر إلا بوجود دليل نقلي أو عقلي (صحيح)^(٢).

وهذا الأخير ما دأب عليه المتقدمون ، وإلا كان تأويلاً فاسداً (التأويل بالرأي) المنهي عنه.

وهذا الاتجاه يعمل بالتأويل الذي يكون عن ضرورة كرفع التشبيه والتجسم عن الباري عز وجل أو دفع التعارض بين النصوص أو غير ذلك. أي أنه لا يشمل كل الآيات القرآنية ، كما كان واضحاً جلياً في معناه ، ومن المحكمات التي توصف بأنها (أم الكتاب) فلا يرون حاجة إلى تأويلها^(٣)

أما الاتجاه الثاني فقد اتبعه ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ، والعلامة السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) ، أما ابن تيمية فيقول: (إن المراد من التأويل هو نفس المراد بالكلام ، فإن كان الكلام طلباً أو إنشاءً كان تأويله نفس الفعل

(١) ينظر: التفسير الكبير ابن تيمية، تحقق: عبد الرحمن عميرة : ١٠٨/٢

(٢) ينظر: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، د. محمد حسين علي الصغير :

(٣) ينظر : تأويل النص القرآني بين تفسيري (في ظلال القرآن ومواهب الرحمان) ، د. ماجد مهدي السلطاني، (اطروحة دكتوراه) ، جامعة القادسية : ٧.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

المطلوب و ان كان خبراً كان تأويله نفس الشيء المخير به (١) ، ومن ثم يتبعه على نفس الرأي (محمد رضا) في تفسير المنار. (٢)

أما السيد الطباطبائي الذي يؤكد شمولية التأويل لكل ما جاء في القرآن الكريم

يقول بان الحق في تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعة التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو مواعظ ، وإنه موجود لجميع الآيات القرآنية (محكمها ومتشابهها) ، وإنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ بل هي الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ ، وإنها قيدها الله سبحانه وتعالى بقيد من الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهي كالأمثال تضرب ولا تقاس ، تضرب ليتقرب بها المقصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع (٣) لذا فالبيانات القرآنية من حكم ومواعظ هي الحقيقة الواقعة من محكم ومتشابه الآيات.

(١) التفسير الكبير ١٩/٢

(٢) ينظر: تفسير المنار ١٦٧/٣ .

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٢٥/٣ .



المطلب الثاني

التأويل في الفكر الإنساني

أولاً / التأويل في الفكر الغربي - :

لم يكن التأويل (الهرمنيوطيقا) وقضاياه منحصرًا بالفكر الغربي ، بل هو قضية الفكر الإنساني ، فهو(تأمل فلسفي حول الرموز الدينية والأساطير ، وكل صيغ التعبير الانساني عامة) ^(١) إلا أن الحضارة الغربية كان لها السبق في تأصيل مفهوم (التأويل) فهي الضارب بالجذر في عمق التاريخ ، باسم (الهرمنيوطيقا) ^(٢)، و مصطلح (الهرميوطيقا) برأي (بور ريكور) هو (نظرية علمية الفهم في مسار علاقاتها مع تفسير النصوص.) ^(٣)

و من الغربيين من عرفها بأنها علم أو نظرية ومنهم من وصفها بأنها فن (التأويل) ^(٤).

وقال (نصر حامد ابو زيد) : الهرمنيوطيقا مصطلح قديم كان يُشير في بدايات استعماله إلى قواعد ومعايير (نظرية) ومن الواجب على مفسري القرآن الكريم إتباعها إذا أرادوا أن يفهموا النص المقدس، ومن ثمَّ شرحه وتفسيره ^(٥)

(١) التأويل في مختلف المذاهب والآراء ، محمد هادي معرفة : ٩ .

(٢) Didivinli Dictionnaire de philosophie page ٣١١

(٣) رسالة الهرمنيوطيقا، بور ريكور : ٢٠/٤

(٤) المصدر نفسه: ٢٣٨ ٤

(٥) ينظر: الخطاب والتأويل، نصر حامد ابوزيد: ١٧٣.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ومرت (الهرمنيوطيقا) بمرحلة النشأة التي ارتبطت بالكتاب المسيحي المقدس، إلا أنه لم يكن لها ظهور فعال في كتاب المسيح أزاء ظهورها مع القرآن الكريم إلا أن وجودها كان لغرض فهم الكتاب المقدس لا غير. (١)

ثانياً / التأويل في الفكر الإسلامي:

عرفنا ممّا سبق أن التأويل يُعد من الظواهر الفكرية في التاريخ الحضاري الإنساني وهو من أبرز الظواهر اللغوية الإسلوبية العربية، حتى أن الرسول الكريم (ﷺ) دعا لابن عباس بقوله: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (٢)

وما هذا الدعاء إلا لبيان ومعرفة ما للتأويل من أهمية واسعة، فالتأويل بحسب أساليبه ومفاهيمه - يقوم بإزالة الخفاء وبيان المقصد من اللفظ القرآني لغرض معرفة وإظهار المعنى المراد، وهذه الأهمية للتأويل لا تكمن من فضائل الصحابة في الكلام المقدس فحسب بل لشمولية واسعة النطاق لما هو مقدس أو غيره (معارف دينية وغير دينية)

وأهمية التأويل في الفكر الإسلامي معروفة ف (كل فريق وان بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطر إلى التأويل إلا أن يتجاوز اكد في الغباوة والتجاهل) (٣)

(١) ينظر: الهرمنيوطيقا ومنطق فهم الدين : ٣٢

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن حجاج النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ) ، حديث : ١٣٨، فضائل الصحابة .

(٣) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، الغزالي، تحقق: د. سليمان دنيا : ١٨٦ -



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ومن بعد الرأي السابق نذكر رأياً للعلامة (فخر الدين الرازي) المتلائم معه فيقول : (ان جميع فرق الإسلام مقرون بأنه لا بُدَّ من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار)^(١)

أما الزركشي فله رأي يقول فيه: (إنما حملهم على التأويل وجوب حمل الكلام على خلاف المفهوم من حقيقته لقيام الأدلة على استحالة المشابهة والجسمية في حق الباري تعالى والخوض في هذه الأمور خطره عظيم ، وليس بين المعقول والقول تغاير في الأصول بل التغاير إنما يكون في الألفاظ واستعمال المجاز لغة العرب)^(٢)

ففي كل ما ورد تتضح أهمية التأويل في الفكر الإسلامي وبالأخص التأويل الخاص بالنص الديني بوصفه الجانب المهم في حياة الإنسان. لذا فتأويل النص القرآني أخذ الحيز الأكبر عند علماء التفسير وأصبح العديد من العلماء يهتمون به وحولوه إلى عالم شامل يستفيد من علوم اللغة والحديث والبلاغة.. وغيرها من العلوم الإنسانية.

*نسبة التأويل إلى التفسير:^(٣)

المراد بـ (النسبة) هي النسب الأربع التي يبحث عنها علماء المنطق، وهي (التساوي، والتباين، والعموم والخصوص، ونسبة العموم والخصوص من وجه) . فنسبة التساوي رأي ابن العباس و المبرد، قالوا: (التفسير والتأويل والمعنى

(١) اللباس المقديس، فخر الدين الرازي (ت : ٦٠٦ هـ) ، تحق: محمد بن عمر ٨١/٧٩

(٢) البرهان في علوم القرآن : ٨٠/٢

(٣) ينظر : قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة : ٣١٣



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

واحد) نسبة التباين ، قال ابن حبيب النيسابوري: (نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتمدوا إليه) .

نسبة العموم والخصوص مطلقاً مختلفان من جانبين:-

الأول / العموم من ناحية التفسير

الثاني / العموم من ناحية التأويل

أما نسبة العموم والخصوص من وجه فلا فرض له في النطق إلا على القول بإمكان الجمع بين العموم والخصوصين مطلقاً.

ثالثاً / أقوال في الفرق بين التفسير والتأويل بين الفكرين الإسلامي والغربي :-

اختلف العلماء والباحثون في إيضاح الفارق بين مفهومي التفسير والتأويل:

حيث ذكر السيوطي عشرة فروق ،^(١) بينما أحصاها آخرون بستة عشر فرقاً ،^(٢) إلا أن أول فرق يمكن ملاحظته في القرآن الكريم لأهميته ، ورود لفظة التفسير مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٣ ، في حين وردت لفظة التأويل سبعة عشر مرة ، اختلف تعريفها الاصطلاحي باختلاف المعاني الواردة فيها ، نتجت عن هذا الاختلاف أقوال عدة ، لثلاثة أسباب:-^(٣)

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ١٦٧/٤ - ١٦٩ .

(٢) ينظر: حدائق الأنس في نوادر العرب والفرس ، العباس الحسيني الكاشاني : ٢٤٧/١٠ ، ٢٤٣ .

(٣) ينظر: التفسير، معالم حياته، منهجه اليوم ، أمين الخولي : ٦ .



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

- ١ - استعمال القرآن الكريم لكلمة التأويل معاني مختلفة عما يتعامل به الآخرون.
 - ٢ - اتخاذ أصحاب الأصول مصطلحاً خاصاً بهم
 - ٣ - شيوع كلمة التأويل على السنة المتكلمين من أصحاب المقالات والمذاهب .
- ويؤكد العلماء على وجود الخلاف بين استعمال القرآن الكريم لمفهوم التأويل وبين المعنى الاصطلاحي، والسبب في ذلك يعود إلى غياب المنهج التطبيقي الموحد عند المسلمين، كما ورد في قول الكاشاني (ينقص الثقافة الإسلامية منهج تأويلي مستل من القرآن الكريم وتراث الرسول الأعظم^(١)) وعلى الرغم من ذلك يمكننا أهم إجمال الأقوال في الفرق بين التفسير والتأويل في رأيين: (٢)

الأول / رأي القدماء ويذهبون فيه إلى الترادف بينهما والنسبة هي التساري.

الثاني / قالوا فيه: إن بين التفسير والتأويل تبايناً في المعنى ، فمنهم من يرى أن التفسير هو القطع بالمراد ، والشهادة على الله تعالى بأنه عيني اللفظ. أما التأويل فلا يقطع به على الله تعالى ولا شهادة عليه ؛ لأنه ترجيح بين محتملات. ومنهم من يقر بالإختلاف بينهما، أبرزهم ابوطالب التغلبي اذ يقول: (التفسير بيان وضع اللفظ ، أما حقيقةً أو مجازاً ، كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر ، والتأويل تفسير باطن اللفظ ويسيران على المنهج نفسه في التباين كل من البغوي

(١) حدائق الأنس في نوادر العرب والفرس : ٢٤٣/١

(٢) ينظر: كل من الإتيان في علوم القرآن : ١٦٧/٤ - ١٦٨ ، تأويل النص القرآني بين تفسيري (في ظلال القرآن ومواهب الرحمن): ١٥



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

والكاشاني على أن التأويل للآية يجب أن يراعي السياق في إيراد المعنى المراد، وذلك بلحاظ ما قبل الآية وما بعدها مع عدم مخالفة الكتاب والسنة، ويتم ذلك عن طريق الاستنباط، أما التفسير عنده فهو ما يتعلق بأسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، ومنهم من يقول أن التفسير يتعلق بالرواية والتأويل بالدراية والنسبة بينما لا تعدو التباين^(١)

ففي تفسير قوله تعالى: (ولما يأتهم تأويله) أي لم يكن معهم علم تأويله، يضيف عليها ابن منظور: (وهذا دليل على أن عالم التأويل ينبغي أن ينظر فيه)^(٢). أي عمل العقل فيه هو البحث عن الدليل الذي يكون الحجة له والمؤيد لما يذهب إليه.

أما الآلوسي فيتفق مع من قالوا بنسبة التباين بين التفسير والتأويل وان الأول. يفترق عن الثاني في معناه وميدانه وإن كانا يعملان على نفس النص، فيقول (إن التأويل إشارة قدسية ومعارف سبحانه والتفسير غير ذلك)^(٣)

وبعد حصول التطور في المعرفة الإسلامية وعلومها ، واستنباط العلماء لمعاني التأويل صار يُعبر عن مضمون القرآن الكريم، ومادته، والتفسير يُعبر عن ظاهر اللفظ^(٤)

(١) الإتيان في علوم القرآن : ١٦٨/٤

(٢) لسان العرب. مادة (أول)

(٣) روح المعاني ، الآلوسي : ٥/١

(٤) ينظر: الموسوعة الإسلامية الميسرة ، هـ. جب كالمرز : ١٩٢/١٠



ومن هذا المنطلق يتضح أن مهمة التفسير هي كشف معنى اللفظ وبيانه: (إن التفسير لعمومه أفقي المسار ، والتأويل بخصوصه عمودي المسار، وكل تماس عمودي مع النص يتقاطع هندسياً مع نقطة من سطح النص، وهو في مراحل التفكير لا يعمل ما لم يستفد من تفسير النص).^(١) و من طبيعة كل علم أن يختلف في موضوعه عن العلم الآخر، ولو لم يكن كذلك لما حصل التطور في العلوم، ولكن توجد مشتركات بين هذه العلوم وهذا ما يتضح في مفهوم التأويل عند مختلف العلوم - كعلم الكلام والأصول وغيره. والمتابع لما جاء من اختيار لبعض التعريفات التي عن طريقها يمكن الوصول إلى المعنى المراد والمقارب للحقيقة إن لم يكن مطابقاً لها، وهذا بمثابة حركة الفكر الإنساني التي يتم الوصول لها بعد حقبة ما ، لذا فمفهوم التأويل وصل إلى أنه (العدول عن المعنى الظاهر من اللفظ إلى معنى خفي يحتمله لسبب معين وبدليل صريح نقلي أو عقلي أو بكليهما)^(٢).

فعليه هل هناك الفارق الدقيق بين التفسير والتأويل من ناحية المعنى؟

ان الفارق الدقيق بين المصطلحين يعود إلى معنهما فاستكشاف الشيء على ما هو عليه من زوائد وتكثرات تفسير ، وليس هو أحسن. أما السعي إلى

(١) العقلانية والتأويل في الفكر الديني المعاصر: د. عبد الأمير كاظم زاهد : ١٠

(٢) التأويل اللغوي في القرآن الكريم ، د. حسين حامد صالح : ٢، إشكاليات القراءة واليات التأويل ، نصر حامد أبو زيد : ٧٠.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

اكتشاف مآلات الشيء وأنواعه وضروريته المجردة من المظاهر والجزئيات
والزوائد فهو تأويل (١)

فعلى أساس الرأي السابق هل هناك علاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي
للمصطلحين؟

قلنا أن التأويل هو الرجوع إلى عاقبة الأمر وأصله في الواقع بعد تجرده ممّا
علق به من احتمالات المعاني والرجوع إلى المعنى المراد، وهو معناه في اللغة
أيضاً ، أو هو من أهم معانيه اللغوية المتعددة ويشتركان كلاهما في تحقيق غاية
عظمى وهي فهم النص القرآني، وتكون البداية من التفسير وبعده تأتي مرحلة
التأويل وذات الأهمية الأكبر في عملية الفهم ، ثم المزج بينها، وبذلك تتحقق
الغاية في فهم النص المبارك (القرآن الكريم)

(١) ينظر كل من : دراسات في الفرق والعقائد ، د. عرفان عبد الحميد : ٣ ، مراتب فهم القرآن..د.
طلال الحسن : ٣٥٨ ، تأويل النص القرآني بين تفسيري في ضلال القرآن ومواهب الرحمان : ١٤



وخلاصة ما ورد عند العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل تذكر ما يأتي: (١)

١ - ذكروا أن التفسير والتأويل من المصطلحات المترادفة معناهما واحد (تفسير القرآن الكريم و بيان معاني آياته).

هذا الرأي مردود على قائله لأن التفسير والتأويل من المصطلحات القرآنية التي تمتاز بوجود فارق واضح بينهما ووارد لأنه لا ترادف في كلام الباري عز وجل.

٢ - المفسر يمتلك الدليل القاطع في بيان معاني القرآن الكريم بعكس التأويل الذي يُبين المعنى المحتمل ويغلبه الظن لعدم وجود الدليل القطعي لدى المؤول.

٣ - التفسير بيان معاني الألفاظ القرآنية الظاهرة (المعنى المقطوع) والتأويل بيان معاني الألفاظ القرآنية الباطنة (غير المقطوع).

٤ - التفسير يوضح فهم الآيات المباركات على الظاهر إلا أن التأويل يبحث في صرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى آخر تحتمله الآيات ولا يخالف الكتاب والسنة.

٥ - يقتصر التفسير على الرواية والسماع ويكتفي بما ورد من الأقوال المأثورة في بيان مُراد الآيات إلا أن التأويل يستنبط المعاني والدلالات من الآيات الكريمة عن طريق الدراية والتدبر وإعمال الفكر.

(١) ينظر كل من : الميزان في تفسير القرآن : ٦/٣ ، تأويل القرآن النظرية والمعطيات، السيد كمال الحيدري : ٣١ ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين : ٢٦ - ٢٧



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

- ٦ - التفسير بيان دليل المراد والتأويل بيان حقيقة المراد، قال تعالى: ﴿وَأِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ الفجر: ١٤ ، فتفسيرها: أن المرصاد مفعال من قولهم (رصد - يرصد) أي راقب ، وتأويله التحذير عن التهاون بأوامر الله سبحانه والغفلة عنه .
- ٧ - التفسير يبين المعاني القريبة المأخوذة من الآيات عن طريق الوضع واللغة المتعلقة بكلماتها وجملها وتراكيبها. أما التأويل فهو بيان المعاني البعيدة التي تلاحظ من الآيات وتوحي بها كلماتها وجملها عن طريق الإشارة والإيماء.
- ٨ - أما الفرق من ناحية الاستعمال فأكثر ما يستعمل التفسير في مفردات الألفاظ إلا أن التأويل يستعمل بكثرة في الجمل.

بعد ما بينا الفرق بين التفسير والتأويل السؤال الذي يطرح نفسه:-

هل التفسير والتأويل من المراحل المتتابعة ؟

نقول أن تفسير آيات القرآن الكريم: فهمها و شرحها وبيان معانيها. وتأويل آيات القرآن الكريم: فهمها الفهم الصائب والتأويل الصحيح وإزالة ما فيها من لبس وإشكال واستنباط لطائفها ودلالاتها واستخراج حقائقها وإشاراتها ، وعليه فهم القرآن الكريم وحسن تدبره يمر بمرحلتين متتابعين:

الأولى تفسير القرآن الكريم ، والثانية تأويل القرآن الكريم

ويُعد علم التفسير أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان في تفسيره للقرآن الكريم



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

و تأويله وذاك أن الصناعات الحقيقية إنما تُشرف بأحد ثلاثة أشياء: (١)

- إما بشرف موضوعاتها ، وهو المعمول فيها نحو أن يُقال: الصياغة أشرف من الدباغة ، لأن موضوعها - وهو الذهب والفضة - أشرف من جلد الميتة الذي هو موضوع الدباغة .

وإما بشرف أغراضها وكمالها - كصناعة الطب التي غرضها إفادة الصحة فإنها أشرف من الكناسة التي غرضه تنظيف المستراح.

فإذا ثبت ذلك ، فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلاث، أن موضوعها المفسر: كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، وصورة فعله إظهار خفيات ما أودعه مُنزله من أسراره ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا فناء لها، ولهذا عظم الله سبحانه محله بقوله ومن يُؤتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

(١) ينظر: مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة ، الراغب الأصفهاني ، تحقق : د. أحمد حسن إلى فرحات: ٩١-٩٢



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ولعلم التفسير في الشريعة الإسلامية مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة بوصفه المعين على فهم مُراد الله سبحانه في كتابه العزيز، وهو الفاتح لطالب العلم أبواباً يغفل عنها أكثرهم ، لذا فهناك أسباب عدة رفعت من مكانة هذا العلم (عالم التفسير) عند المسلمين أجمع ، منها:-

١- تعلق علم التفسير بكلام الله سبحانه وهو أشرف الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢

٢- قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران: ١٠١ ، في الآية بيان لكيفية الاعتصام به سبحانه و المفسر من أحسن من اعتصم بالله جل وعلا.

٣- قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المائدة: ٨٢ في الآية المباركة ثناء على من يفقه كلامه سبحانه وهم المفسرون الذين أعانهم على صلاح قلوبهم وعملهم حين تفقهوا كلامه سبحانه.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

٤- المفسر وارث النبي (ﷺ) في أعظم ارث، بيان معاني الكتاب المبارك.

٥ - و المكانة العظيمة للمفسر ، إدخاله في زمرة الخيرة من هذه الأمة لمكانته الراقية المرتبطة بأشرف كتاب (القرآن الكريم).



المطلب الثالث

الجدور التاريخية نشأة عالم التفسير

لم ينل كتاب مُنزَّل العناية و الإهتمام في التدوين والخط والحفظ و القراءة كما حظي به القرآن الكريم، الرسالة السماوية التي نزلت على نبي الرحمة ، شفيع الأمة (ﷺ) صاحب المعجزة التي تعدى بيانها وبلاغتها فصحاء العرب وبلغائهم وتعدى بمضمونها علماء الأديان الأخرى وأصحاب الملل والنحل المختلفة من مفكري وفلاسفة وأهل علم ومعرفة ليس في عصر النبوة فقط بل عبر العصور والأزمنة المختلفة قديماً وحديثاً.

وعرفنا من تتبعا للسيرة النبوية المطهرة أن جبريل (عليه السلام) كان يعرض القرآن الكريم على الرسول الأكرم (ﷺ) مرة كل سنة ، إلا أنه عرضه عليه في السنة الأخيرة من عمره الشريف مرتين فعرف الرسول (ﷺ) أن أجله قد رنا، وعرفنا أيضاً أنه (ﷺ) كلما نزلت آية مباركة أو سورة كاملة عليه (ﷺ) - وهذا مؤكد بين المؤرخين. كان يخبر بها العرب المسلمين ويأمر أصحابه بحفظها وكتابتها ووضعها في مكانها المناسب داخل السورة القرآنية المباركة لذا عندما رحل (ﷺ) إلى دار الحق كان القرآن الكريم بكل آياته و سورته محفوظاً في صدور عدد كبير من الصحابة منهم من كان يحفظه كله الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ومنهم من حفظ سوراً بعينها أو جزءاً وآفراً منه.



لذا فمسألة جمعه بعد وفاة الرسول (ﷺ) كانت ما مجموع في الرقاع والصحائف وما حفظه القراء في صدورهم وجمعها في كتاب واحد بحسب ترتيبها المعروف.

إلا أن الاختلاف بين المؤرخين كان في تاريخ الجميع ، هل في عهد الرسول (ﷺ) أم بعده، وكذا اختلافهم وقع في ترتيب السور الموجودة هل كان ذلك الترتيب توقيفياً ومعروفاً في عهد الرسول (ﷺ) أم أن المسلمين هم من رتب سور القرآن الكريم الترتيب الذي عليه الآن؟!!

لكن هذا الاختلاف لم يُشكل ذاك التأثير على حقيقة أجمع عليها المسمون بأن ما موجود بين يديهم هو كتاب الله سبحانه المحفوظ من قبله عزّ وجلّ دليل قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩

والقرآن الكريم بوصفه المنبع الأساس والمصدر الأول للأحكام والتشريعات السماوية لا يمكن إتمام أي عبادة إلا بالعودة إلى سوره المباركات، (١) لذا فالاهتمام به انطلق مبكراً جداً حين اهتمت الأمة الإسلامية بكتابته وخطه ومن ثم تنقيطه مع تشكيل أحرفه وضبط حرفه وضبط القراءة والترتيل على ما وضعه الرسول (ﷺ) من قواعد وأسس بعدها توجه العقل البشري المسلم إلى التفسير والتدبر والتمعن في آياته المباركات ونشأت علوم شتى غايتها خدمة الكتاب المبارك منها ما كان يخص النطق والترتيل والتجويد، ومنها ما يخص علوم اللغة العربية من نحو وصرف و بلاغة وإعراب ، مع الاهتمام الواضح بالخط وأنواعه المختلفة مع الإبداع بالتجليد الفني له.

(١) ينظر: مقاربات لفهم النص المقدس عبر العصور : ٨



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

لذا فهذه الجهود والحركات المبكرة المؤسسة العلوم القرآن الكريم أثمرت عن ظهور العدد الأكبر من العلماء وتفسيرهم، أبرزهم العلامة الطبري (ت: ١١٠ هـ) في تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) الموسوعة التفسيرية الكاملة للقرآن الكريم مكونة من ثلاثين جزءاً، بعده جاء الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ) في تفسيره (الكشف والبيان في تفسير القرآن) ثم البغوي (ت: ٤٢٧ هـ) في معالمه (معالم التفسير) والعلامة الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في تفسيره (التيان في تفسير القرآن)، ومن ثم العلامة الزمخشري (ت: ٥٢٨ هـ) في تفسيره (الكشاف)، و تفسير (الغيب) للعلامة الرازي (ت: ٦٠٦ هـ)، والقرطبي (ت: ٦٧١ هـ) في تفسيره (الجامع لاحكام القرآن الكريم) والعلامة الكاشاني (ت: ٩٧٧ هـ) في منهاجه (منهج الصادقين) وغيرها من التفاسير الأخرى التي تزهر بها المكتبات الإسلامية المختصة بتفسير القرآن الكريم.

فبعد هذا الطرح المبسط في التفاسير المهمة المباركة نلتفت إلى مسألة مهمة وهي التنوع المنهجي في تفكير العلماء الذي انعكس على نتاجهم الفكري الديني الواضح فضلاً عن أن أصحاب هذه التفاسير هم من مدارس فقهية وكلامية من أهل السنة والشيعنة الإمامية، وهذا ما أثمر عن ترك تراثاً تفسيرياً مهماً للقرآن الكريم وريثة الخلف الذي يُعد المنطلق المهم لهم في إكمال مسيرة تفسير القرآن الكريم حسب حاجة العصر وما يطرأ على العلوم من تطور وعلى الأفكار من إبداعات علمية مختلفة.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

و عليه فقد قسم العلماء نشأة عالم التفسير من بدايته حتى العصر الحديث إلى مراحلٍ كالآتي:

أولاً/ التفسير في عصر النبوة: ^(١) تعد هذه المرحلة الأولى في نشأة علم التفسير.

التي بدأت في عصر الرسول (ﷺ) ، وقد اختلف العلماء في مقدار ما فسره (ﷺ) من القرآن الكريم إلى قولين:

الأول / إن الرسول الكريم (ﷺ) يُبين لأصحابه معاني الكتاب المبارك كما يُبين ألفاظه.

الثاني / إن الرسول الكريم (ﷺ) لم يُبين لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات المباركات.

أما مصادر التفسير في عصر النبوة ، فهي:

المصدر الأول / القرآن الكريم بوصفه الخطوة الأولى التي يبدأ بها المفسر في طريق عمله، فما جاء على سبيل الإجمال في موضعٍ ما من القرآن الكريم يأتي مفصلاً في موضعٍ آخر

المصدر الثاني / المرجع الآخر للصحابة في فهم القرآن الكريم هو الرسول الكريم محمد: (ﷺ) فيما أشكل عليهم من القرآن الكريم يتم توضيحه لهم.

المصدر الثالث / الاجتهاد وقوة الاستنباط وهذا فيما إذا لم يرد نص من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وكان يحتاج إلى نظر واجتهاد.

(١) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل إبراهيم : ٣٤ - ٣٥



أما منهجه ﷺ في التفسير فهو:-

١ - لم يُفسر الرسول القرآن الكريم كله سورة سورة وآية آية وإنما بين ما أمر ببيانه من الوحي.

٢ - ما نزل عليه تفصيلاً لمجمل أو تخصيصاً لعام أو تقييداً لمطلق.

٣ - فسّر النبي ﷺ ما خفي على الصحابة من المعاني التي لا يمكن التوصل إليها باللغة والاجتهاد.

٤ - فسر ﷺ القرآن الكريم بالقرآن نفسه أو بأحاديثه المباركة لأنها جاءت مبنيه ومؤكدة لما في الكتاب المبارك من أحكام.

ثانياً/التفسير في عهد الصحابة: تعد هذه المرحلة الثانية من مراحل التفسير حيث كان الصحابة إذا أشكل عليهم أمر ولم يفهموا المراد منه رجعوا إلى رسول الله ﷺ فبين لهم المعنى المشكل عليهم وإذا لم يتيسر لهم الأمر رجعوا إلى اجتهاداتهم

هذا الاجتهاد الذي كان فيه من التفاوت في التبيين والتفسير راجع الى: (١)

١ - تفاوتهم في أدوات الفهم.

٢ - تفاوتهم في ملازمة الرسول الكريم ﷺ.

٣ - تفاوتهم في معرفة أسباب النزول.

(١) ينظر: القرآن وإعجازه العالمي : ٢٦.



٤ - تفاوتهم في العلم الشرعي.

٥ - تفاوتهم في مداركهم العقلية.

إلا أن التفسير في هذه المرحلة اتخذ شكل الحديث بل كان يمثل الجزء الأكبر منه ويكتب معه إلا أنه لم يكن يُدون كي لا يختلط مع القرآن الكريم فضلاً عن أنهم لم يُفسروا القرآن الكريم كله ولم يتعمقوا فيه.

ثالثاً/ التفسير في عصر التابعين: بدأت هذه المرحلة مع انتهاء المرحلة الثانية (تفسير الصحابة) هؤلاء الذين هم تلاميذ الصحابة وكانوا يعتمدون على القرآن الكريم بوصفه المصدر الأول لهم في تلك المدة من الزمن، بعدها سُنَّ النبي محمد ﷺ، التي وصلت إليهم عن طريق اساتذتهم (الصحابة) بعدها ما فسَّره الصحابة أنفسهم من اجتهاداتهم، وإذا لم يجدوا في ذلك كله اجتهادوا هم برأيهم^(١)

وقد ارتكزت تلك الحقبة على مدارسٍ عدة للتفسير في البلاد المفتوحة والأمصار المختلفة وهي كالاتي:

أولى هذه المدارس وأشهرها مدرسة مكة المكرمة على رأسها الصحابي (عبد الله بن عباس) ومن بعده تلاميذه: سعد بن جُبَيْر، وعكرمة، وطاووس بن كيسان، ومجاهد، وعطاء بن ابي رباح.^(٢)

(١) ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي : ٧٦/١

(٢) المصدر نفسه



وثانيها مدرسة المدينة وأشهر أصحابها من التابعين: ابو العالية بن مهران الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي، وزيد بن أسلم،^(١) وقد اعتمدوا على التلقي والرواية فضلاً عن الاختصاص الذي اتسمت به مدرسة التفسير التي تتبع نظام تابعة المفسر إلى الصحابي الأصل (استاذة)

أما مميزات تفسيرهم فقد بقى التفسير ينطبع بطابع التلقي (السمع) والرواية مع كثرة الخلافات التفسيرية فيما بينهم هذا ما زاد في الأقوال للمسألة الشرعية الواحدة ممّا سبب فك حلقة الخلاف المذهبي.

رابعاً/ التفسير منذ عصر التدوين إلى العصر الحديث:

بدأ عصر تدوين التفسير في بداية القرن الثاني الهجري مع بدء تدوين الحديث النبوي الشريف إذ كانت تُفرد للتفسير أبواباً خاصة ضمن كتب الحديث، وكان التدوين في هذه المرحلة يأخذ الشكل الإسنادي (التدوين بالإسناد) الذي يعمل على ذكر سند الحديث والعقل المذكور في تفسير القول المبارك إلا أن استقل العلم وانتشرت الكتابة والتدوين ووضعت كتب مؤلفة للتفسير واستقلت عن كتب الحديث الشريف واصبحت تعمل على مبدأ (اختصار الأسانيد) أي عدم اسناد القول إلى صاحبه وهي ظاهرة سلبية سمحت لدخول الوضع في الأقوال ومن ثم دخول الإسرائيليات.^(٢)

(١) ينظر كل من: الحسان في تفسير القرآن، ابو زيد الثعالبي: ٨٢/١، المنار في علوم القرآن،

محمد علي الحسن: ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي: ٣٧



إلا أن التفسير في هذه المرحلة استقل على يد عدد من العلماء أمثال (ابن جرير الطبري) و (ابن ماجة) اللذان اعتمدا على التفسير بالمأثور، بعدها ومع حلول العصر العباسي بدأ التفسير العقلي المراد منه (الفهم الشخصي) مع (الرأي و النظر) ودخول علوم اللغة العربية والفقه ودخول النزعات العقلية والمذهبية^(١)

خلاصة ما سبق يتبين أن التفسير في هذه المرحلة مرَّ بخطواتٍ عدة منها:-

١ . التناقل من الصحابة إلى التابعين.

٢ . بداية تدوين علم التفسير واستقلاله عن الحديث الشريف.

٣ . دخول الوضع واختلاط الصحيح بالفساد.

٤ . الامتزاج الواضح النقل والعقل.

أما في العصر الحديث فقد اتخذ مساراً جديداً،^(٢) بانتشار المطابع ونشاط حركة التأليف في العلوم الإسلامية مع ظهور نزعات تفسيرية جديدة ، و ثم إدخال نظريات علمية جديدة ظهرت على أساسها نزعات علمية جديدة في تفسير القرآن الكريم عالجت الصعوبة في تفسير الآيات المباركات وأصبحت أكثر سهولة وفهم لأكبر شريحة مجتمعية فضلاً عن إمتاز التفسير بسهولة العبارات وسلاسة الطرح.

(١) ينظر: علم التفسير، د. محمد حسين الذهبي : ٣٦-٣٧

(٢) ينظر : محاضرات في علوم القرآن ، غانم قدوري الحمد : ٢٠٩



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ومن هذه التفاسير على سبيل المثال: تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب وأضواء البيان للشنقيطي وغيرها من التفاسير الأخرى.

سؤال يطرح نفسه:

هل للسياق القرآني الأثر المميز في نشأة علم التفسير وازدهار حركة التأليف فيه؟ ما هو (السياق) وما آراء العلماء فيه بوصفه علماً؟

قال السيد الصدر السياق هو (كل ما يكتنف اللفظ الذي يزيد فهمه من دوالٍ أخرى سواء كانت لفظية كالكلمات التي تُشكل مع اللفظ الذي يزيد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام، وتكون ذات دلالة في الموضوع).^(١)

قال الشيخ (محمد هادي معرفة) في بحثٍ له حول الموضوع: (كان القرآن نزل نجوماً وفي فترات لمناسبات قد يختلف بعضها عن بعض وكانت كل مجموعة من الآيات تنزل لمناسبة تخصها تستدعي وجود رابط بينها بالذات، وهو الذي يُشكل سياق الآية في مصطلحهم).^(٢) وورد رأي لابن قيم الجوزية قال فيه: (السياق يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة. وهذا من

(١) دروس في علم الاصول ، السيد محمد باقر الصدر : ١٠/١

(٢) التمهيد في علوم القرآن: ٢٣٩/٥



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غلط في نظره و غالط في مناظراته (١) .

وذكر السياق وفصل فيه (رشيد رضا) في مقدمة تفسير المنار وكان رأيه: (إن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ وموافقته لما سبق من القول وانفاقه مع جملة المعنى، واثتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته) (٢)

وقال الشيخ (العك) في المنهج الواجب على المفسر إتباعه في تفسيره للآيات المباركات مراعاة التناسب بين الآيات، فَيُبين وجه تلك المناسبة ومن ثم ربط السابق من السياق باللاحق منه على آيات القرآن الكريم المرادة في موضوعه أو لتفسيره الترتيبي ، الغرض من ذلك كي يتضح للقارئ أن القرآن الكريم يربط بعضه ببعض ويكمل بعضه ببعض (٣) .

وفي كتاب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ناقش المؤلف مسألة مقتضى حال السياق بأنه سياق الواقع الخارجي المحيط باللغة المؤثر مباشرة فيها لكنه ليس من صميمها ، الا أن ذلك الأثر عائد على الظروف الخارجية المحيطة بالمتكلم ثم النص ثم المخاطب أكثر من كونه يعود على نفسه (أفاظاً ومعاني) (٤)

(١) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية ٢٠ / ٣٠١

(٢) تفسير المنار : ٢٢/١ ، وينظر : تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي(ت:٣٢٠هـ): ٧٥.

(٣) ينظر : اصول التفسير وقواعده : ٨١

(٤) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سلوى محمد العواد: ٦٣



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

إلا أن هذا الرأي فيه إشكال بأن مقتضى الحال وإن كان يُؤثر في معنى الكلام والألفاظ إلا أنه ليس بالضرورة يكون هو نفسه ، حتى وإن اتفقا واشتركا في كشف المعنى مع ربط الآيات مع بعضها

فلسياق الأثر الأكبر في بيان الواقع العلمي للقرآن الكريم ، لأن الكتاب المبارك يلاحظ ارتباط آية بأخرى ملاحظة دقيقة ولا تتلاحق الآيات ولا الكلمات داخل آية واحدة إلا بإحدى علاقيتين الأولى علمية والثانية تربوية.^(١) هذا الرأي للعلامة المدرسي ، ثم قال في العلاقة العلمية: إن القرآن الكريم يعكس واقع ارتباط حقيقة بأخرى، فيذكرهما مع بعض ، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ محمد: ١٩

فإن علاقة الاستغفار من الذنب بتوحيد الله سبحانه علاقة واقعية تفرضها الحقيقة الربانية من جهة والعبودية من جهة أخرى ، إذ أن العقيدة بوحداية الله سبحانه توجب الحقيقة بعبوديته، والعبد يجب أن يخضع لله سبحانه.^(٢) وإن للسياق القرآني دوراً مهماً في تفسير القرآن الكريم ، هذا الدور يتجسد في تعيين المحمل ، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد ، وتخصيص العام. وتقييد المطلق ، ومن ثم تنوع الدلالة.^(٣)

ومن الشواهد القرآنية التي وقف عليها العلماء لبيان أثر السياق في تفسير القرآن الكريم. وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ

(١) ينظر: علوم القرآن عند المفسرين، مركز الثقافة والمعارف الإسلامية: ٤٨٠/١

(٢) ينظر: قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة : ٢٨٠

(٣) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٦٩



جِنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿البقرة: ٢٦٦﴾ ، ليس هذه الآية بمثل. آخر كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ.....﴾ البقرة: ٢٦١ النفقة الرياء ، هذا هو مقتضى سياق الكلام، وأما بالمعنى في غير هذا السياق فتشبه حال كل منافق أو كافر عمل عملاً ، وهو يحسب أنه يُحسن صنعا، فلما جاء الى وقت الحاجة لم يجد شيئا^(١).

و في تفسير قوله تعالى ﴿بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الحجرات: ١٧ ، في إدعاء الإيمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فله المنة عليكم، وفي سياق الآية لطف ورحمة.^(٢) والعلامة الطباطبائي يهتم بشأن السياق إهتماماً كبيراً حتى صار من المكثرين فيه ، إذ تمسك بسياق الآيات في أرجاء تفسيره الميزان، فقد كانت له وقفة على سورة النبأ وتأثير السياق فيها، كالآتي:-

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ، حيث قال ان المراد

من النبأ العظيم هو نبأ البعث والقيامة، ويؤيد ذلك سياق آيات السورة بما فيه من الاقتصار على ذكر صفة يوم القيامة ، وقال: ان المراد به نبأ القرآن العظيم، ويدفعه كون السياق بحسب مصبّه أجنياً عنه^(٣)

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ ، سورة النبأ ٦، قال فيها:

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٨/٣

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل عبد الله البيضاوي : ٩٠/٤

(٣) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ١٥٩/٢٠ - ١٦٠



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

إن السياق فيما نحن فيه سياق الوقوع دون الإمكان معناه أن الآيات تكون بصدد بيان الحجّة على وقوع القيامة دون النظر إلى مكانه قط ، شأنه كذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصافات: ٩٦ () فالظاهر من الآية يدل على أن الله خالق للإنسان ولأفعاله، وهو يشعر يجبر الإنسان في أعماله ، وأما عند ملاحظة السياق فيبدو ان المراد من خلق الأعمال إنما هو الاصنام وصانعيها) (١) أما قوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ التوبة: ٣٦ الذي قال في شأنه كثير من المفسرين: إنها آية السيف وإنها نسخت كل ما جاء في القرآن الكريم من عدم قتال غير المعتدين والمقاتلين من المشركين مع أن في الآية فقرة أخرى مرتبطة أشد الارتباط بها.

فهل للسياق أقسام؟

قسم العلماء السياق على قسمين أساسيين، سياق داخلي وسياق خارجي ولكل منهما أقسام وتعريفات عدة: (٢)

أولاً- السياق الخارجي ويقسم إلى:

أ - السياق العام المشتمل على المفاهيم الإسلامية والنص القرآني كاملاً وبيانه في السنة المباركة (قولية وعملية) .

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ١٥٩/٢٠ - ١٦٠

(٢) ينظر كل من : الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : ٧٧ ، التمهيد في علوم القرآن : ١/ ٢١١



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ب- السياق الموضوعي وهو الموقف الذي سبقت الآية بها اللفظ جزءاً منه بما يميله هذا الموقف، وتحيط به من عاطفة تؤثر في اختيارات الكلمات بناء على فهم هذا الموقف كاملاً بوصفه موضوع الآية المباركة أو النص المقدس.

ج- السياق اللغوي: وهو الذي يتمثل في الألفاظ والتراكيب التي تحيط باللفظ المبارك بما هو عليه من العناصر اللغوية الأساسية التي يبدأ الفهم بها وينبغي ألا يتناقض التفسير ودلالاتها دون وجود قرينة

ثانياً/السياق الداخلي ويقسم إلى:-

أ- سياق الحروف والمراد به تنظيم الكلمات وتركيبها من الحروف التي تكون بمنزلة المواد لبنائها وبديهي إن مثل هذا السياق مسند إلى كل متكلم خاصة وإلا لم يكن المجال متوفر للبحث عنه .

ب- سياق الكلمات المراد به نظم الكلمات والاسلوب القائم في تراكيبها ومن ثم تأليف الجملة منها بل هي الخصائص المودعة في الجمل من مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل أو نائبه، أو حال وتمييز...

ج- سياق الجملة وهو النظم الكامن في تركيب الجمل وتأليف الآية من تلك الجمل.

د- سياق الآيات كون الآية قرينة على تفسير الآية الأخرى ، وهي حجة بشرطين: الأول وجود الصلة والربط الصدوري بينها (نزول دفعة واحدة) والآخر وحدة موضوعها كلياً أو جزئياً.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

هـ- سياق السور وهو ترابط السور القرآنية وتناسب بعضها ببعض والبحث عنه وعمماً قبله.

و عند الحديث عن نشأة عالم التفسير وتطوره لا بد من ذكر الصفات العامة التي يجب على المفسر أن يتحلى بها ، هذه الشروط التي تكلم عنها العلماء كادت أن تصبح الشغل الشاغل للأغلب منهم مع تأكيدهم عليها وذكروا احتياج المفسر لثقافاتٍ عدة بها يتم تفسير كلام الله سبحانه ، فمنهم من اختصر في ذكر هذه الشروط كالراغب الأصفهاني ومنهم من أسهب كالزمخشري والسيوطي في مؤلفاتهم لتفسير القرآن الكريم، وسوف نذكر ملخصاً مفيداً لأهم الشروط العامة للباحث في تفسير القرآن الكريم والغوص بآياته المباركات للعلامة الراغب الأصفهاني من كتابه (مقدمة جامع التفاسير) حين ذكر شروطاً عامة لمفسر أختصرها بمايلي :-^(١)

١ - معرفة الألفاظ وهو علم اللغة

٢ - مناسبة بعض الألفاظ على بعض وهو الإشتقاق.

٣ - معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية والتعاريف والاعراب وهو (النحو)

٤ - ما يتعلق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات.

(١) ينظر : مقدمة جامع التفاسير، ابو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقق: د،أحمد حسن الزيات ٩٤ -



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

٥- ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأقاويص التي تنطوي عليها السور من ذكر الأنبياء (عليهم السلام) والقرون الماضية .

٦- ذكر السنن المنقولة عن النبي (ﷺ) وعمّن شهد الوحي ممّن اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه ممّا هو بيان لمجمل أو تفسير مبهم، المنبأ عنه بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: ٤٤. وقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ لأنعام: ٩٠ ، وذلك علم السنين.

٧ - معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمجمل والمفسر والقياسات الشرعية، والموضع الذي يصح فيه القياس، والتي لا يصح، وهو عالم أصول الفقه.

٨ - احكام الدين و آدابه ، و آداب السياسات الثلاثة التي هي سياسة النفس والأقارب والرعية مع التمسك بالعدالة فيها وهو علم الفقه والزهد.

٩ - معرفة الأدلة العقلية والبراهين الحقيقية التقسيم والتحديد والفرق بين المقولات والمظنونات وغير ذلك وهو علم الكلام.

١٠ - علم الموهبة وذلك علم يورثه الله تعالى من عمل بما علم.

وعلى أساس ما ورد عند العلماء يمكن أن نفصل بصفات المفسر وآدابه بما يلي:

أولاً / الصفات الأخلاقية نذكر منها:

١ - أن يتحلّى المفسر بالأخلاق المستمدة من القانون التشريعي للقرآن الكريم

٢ - صاحب عقيدة صحيحة وإيمان سليم.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

٣ - ملازم لسنة الرسول الكريم (ﷺ)، إذا حرّم أمراً من الأمور الدينية كان حرام الأساس وإذا أحلّ شيئاً كان حلال الأساس.

٤ - أن يكون لديه فساد في العقيدة ، لأنه حينها يتعمد على تحريف نصوص القرآن الكريم بما يُناسب هواه ومصالحه العامة.

٥- التجرد عن الهوى.

٦- جعل الحق الهدف الأساس في تفسيره.

ثانياً / الصفات العلمية، وهي:-

١ - معرفة قواعد اللغة العربية ومعاني المفردات.

٢ - الحفاظ على السياق العام للآيات

٣ - أن يتعلم العلوم والأحكام التي تؤهله ليكون مفسراً.

٤ - معرفة أوجه الإعراب ووجوه البيان.

٥ - ذو معرفة بعلوم القرآن الكريم كأسباب النزول والمكي والمدني، وعلم القراءات و المحكم والمتشابه. وغيرها.

٦- الإحاطة بالتاريخ بالأخص تاريخ صدر الإسلام.

٧ - الوقوف على الآراء المطروحة حول النص المبارك.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ثالثاً / الشروط العقلية، ومنها:

- ١ - إمتلاك المفسر قدرة نادرة على استنباط المعاني وفهم المقاصد والمداليل
- ٢ - استنتاج ما وراء النصوص.
- ٣ - القدرة على الترجيح والموازنة عند تعارض الأدلة والأحكام أمامه.



المبحث الثاني

طرق تفسير القرآن الكريم

القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة:-

من الحقائق التي لا يشك بها المسلم ، بل كل من له مساس بعلم الأديان السماوية بأن معجزة القرآن الكريم هي المعجزة الخالدة، ولا بد أن يكون كذلك لإنصاف الدين الاسلامي بالخلود و البقاء، والشريعة المحمدية هي الشريعة الخاتمة لما سبقها من الشرائع السماوية أن يكون له بقانون البقاء والاثبات بالأدلة والبراهين.

لذا فالعلاقة الرابطة بين المعجزة والإتيان بما يخرق قوانين الطبيعة وبين حقبة دعوى الرسالة الإلهية هي إن الأنبياء والرسل (عليهم السلام) لم يأتوا بالأديان المعجزة لإثبات شيء من معارف المبدأ و المعاد، كالتوحيد والبعث وغيرها أمثالها وإنما اكتفوا في ذلك بحجة فعل المخاطبة عن طريق النظر والاستدلال بالاستناد على قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ إبراهيم: ١٠ ، وقوله تعالى في الاحتجاج الى التوحيد: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ص: ٢٧ وإنما طلب الرسل المعجزة من الله سبحانه وأتوا بها لإثبات رسالتهم وتحقيق دعواها



و دعواهم كانت بتكليم إلهي ونزول ملك ونحوهما وهذا من الأمور الخارقة في نفسها ، فتارة حاول الناس إبطال دعوة الأنبياء بالحجة، كقوله سبحانه ﴿ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ يس: ١٥ ، استدلوا بها على بطلان دعواهم بأنهم بشر كسائر الناس وما حدث معهم كان جائزاً أن يحدث مع الناس أجمع ، لذا أجاب الرسل عن حجتهم بما حكاه الله تعالى عنهم بقوله سبحانه: ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ابراهيم: ١١ فردوا عليهم بتسليم المماثلة ، وإن الرسالة من منن الله الخاصة، وإن الإختصاص ببعض النعم خاصة لا ينافي المماثلة، فللناس اختصاصات ولو شاء الله أن يمنن على من يشاء منهم فعل ذلك من غير مانع، فالنبوة مختصة بالبعض و ان جازت على الكل.



المطلب الأول

تفسير القرآن بالقرآن

من أهم الخطوات المنهجية للتفسير (تفسير القرآن الكريم) ثم (تفسير القرآن بالسنة النبوية الصحيحة) . وكل مفسر إن لم ينطلق من هاتين الخطوتين ولم يلتزم بهما يطعن في تفسيره فضلاً عن الأخطاء التي يقع فيها.

القرآن الكريم كتاب الله تبارك وتعالى المعجز الذي يمتاز بطريقة خاصة فريدة في عرض موضوعاته بمعانيها المختلفة فمن منهجيته الخاصة أنه لا يذكر الموضوع الواحد كاملاً في سورة واحدة ثم بعدها ينتقل إلى موضوع آخر وكذا لا يُصنف سوره وآياته التصنيف الموضوعي المحدد ، كتخصيص سورة لموضوعة الإيمان بالله تعالى والرسول، وأخرى للأحكام والتشريعات وأخرى للأخلاق وتوجيهاتها، أو سورة لموضوعات القصص القرآنية.. وهكذا ، ولم يصنف الآيات في السورة الواحدة التصنيف الموضوعي كأن يذكر كل ما يخص التشريعات في السورة الواحدة نفسها ثم ينهيها وينتقل إلى القصص مثلاً وينهيها وينتقل إلى العبادات... وهكذا ثم ينتقل من موضوع الى آخر كاملاً وهكذا.

وقال العلماء السبب في ذلك أن القرآن الكريم كتاب مقدس وليس كتاب أكاديمي فمنهجيته منهجية مقدسة خاصة به والتصنيف من صنع البشرية بدراساتهم الأكاديمية.(باحث - مفكر، مؤلف ، دارس ...) بمعنى ان منهجيته القرآن الكريم هي عرض المعاني والأفكار والحقائق متناسبة متناسقة .



متناقسة ومتوافقة بعضها مع البعض الواحد، بينها وحدة موضوعية متكاملة تجذبها خيوط متينة ، وخطوط دقيقة مع التكامل التام في المعاني والأفكار والحقائق مع توافقها في تكوين شخصية كاملة للصورة المراد رسمها للقارئ، ومن ثم السورة مباركة تتوافق مع السورة الأخرى في سرد موضوعاتها في عرض الموضوع الواحد في تلك السور، بمعنى آخر أن القرآن الكريم يعرض الموضوع الواحد في سورٍ عدة ويفرقه في آياتها التفريق المحكم لتحقيق وحدة موضوعية متكاملة تنصف الاعجاز والكمال وعلى سبيل المثال ترى موضوعة العبادات لم تتكامل في سورة واحدة ولم ترد سورة في القرآن الكريم بعنوان (سورة العبادات) وإنما (موضوعة العبادات) تنتشر في سور قرآنية متفرقة سواء كانت السور مكية أم مدنية ، وهكذا ، وهذه المنهجية هي منهجية التفسير الموضوعي الذي اتجه إليه العلماء حديثاً للباحث في الموضوع الواحد في القرآن الكريم ويجمع كل الآيات التي تخص ذلك الموضوع ويدرسها دراسة كاملة متكاملة ؛ لأن القرآن الكريم يُفسر بعضه بعضاً وعلى المفسر تفسير آية بآية أخرى وعليه أن يبحث في كل الآيات ذات الموضوع الواحد فتفسير القرآن بالقرآن يُعد الخطوة الأساسية والأولى في تفسير القرآن الكريم بل من أهمها و من ثم تأتي بعدها المراحل الأخرى.

ومن أحسن التفاسير في هذا الجانب:

- ١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ)
- ٢ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي (ت: ١٧٧٤ هـ)



٣ - الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)

وتعتمد قاعدة تفسير القرآن بالقرآن على أساس إن القرآن الكريم كتاب واحد من مصدر واحد ومن ثم رؤية واحدة للقضايا التي لا اختلاف فيها، والدليل قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢

والمعروف عندنا أن القرآن الكريم نزل نجوماً بنحوٍ متفرق ومنقطع لذا لا بُدَّ من اعتماد كل الآيات الواردة عن الموضوع الواحد حتى مع تباعد بعضها عن بعض لأنه لا يمكن الوصول إلى مراد الله سبحانه إلا بالنظر إليها جميعها ودراستها وفق قواعد واصول تفسير القرآن بالقرآن.

أهم القرائن المتبعة في تفسير القرآن بالقرآن، هي: (١)

١ - القرائن المتصلة: وهي تعمل لبيان المعنى بالكامل للآية إلى آية أخرى تتصل بها أو جزء منها، مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦. فقد اتصلت هذه الآيات العامة في دلالتها بآية لاحقة هي قوله سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الشعراء: ٢٢٧، فقد وضحت الأخيرة الإشكال الواقع في الأولى مع إزالة الإبهام عن القارئ أو السامع وتوضيح الحكم الشرعي بإستعمال استثناء أفاد المراد.

(١) ينظر: قواعد التفسير، خالد السبت: ٣٠/١-٣١



٢ - القرائن المنفصلة: يعتمد المفسر في هذه القرينة على اكتشاف كامل المعنى لآية ما إلى آيات أخرى منفصلة عنها وفي مواضع عدة من القرآن الكريم إلا أنها كما ذكرنا سابقاً - تتحدث عن الموضوع نفسه والفكرة نفسها، كما في قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل: ١٢٥، فالآية مطلقة بدعوتها إلى الجدل بالتي هي أحسن إلا أنها تلحق بآية أخرى في سورة أخرى تفصيلاً، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٦. وقوله جل وعلا في موضع آخر ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٧. فعندما تقرأ آية (١٥٥) من سورة النساء تجد أنها تكشف عن سبب هذا الختم فتقول: ﴿غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ النساء: ١٥٥.

٣ - القرينة الثالثة: قرينة السياق المراد منها الجو المحيط بالآية المباركة ما سبقها وما يلحقها من آيات مباركات، تساعد تلك الإحاطة في معرفة اتجاه الآية وطبيعة دلالتها، مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ البقرة: ٢٠٨، فالسياق المحيط بالآية كافياً لمعرفة المقصود من السلم.

إن لتفسير القرآن بالقرآن الصور والحالات التي قد تكون بيان المجمل أو تقييد المطلق أو تخصيص العام أو بيان المنطوق، وقد يكون تفسر لفظة بلفظة أو بيان المراد من تلك اللفظة في نفس السياق أو بسياق آية أخرى، أو قد يكون تفسير



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

معنى. بمعنى أو تفسير آية بآية أو يكون لبيان الموجز و المفصل أو يكون بجمع القراءات الصحيحة وتفسير بعضها ببعض وقد يكون بالجمع ما يتوهم إنه مختلف من آيات القرآن الكريم.

ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن تذكر:

١ - قال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ التوحيد ٧ ، فقد فسر (المنعم عليهم) بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩ .

٢ - قال تعالى: ﴿حَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَّةُ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ المائدة: ١ ، فقوله تعالى: (إلا ما يتلى عليكم) مجمل وقد جاء (ما يتلى عليكم) في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّيتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ المائدة: ٣ وهذا من باب المطلق والمقيد

٣ - قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة: ٣ فقد ورد في موضع اخر من سورة البقرة بيان ذلك الإنفاق: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ البقرة: ١٩



٤ - قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة: ١٥٥ ، فقد ورد ذكر الصابرين في الآية التي تليها: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة: (١٥٦).

٥ - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ النساء: ١٧

وذهب كثير من العلماء إلى أن كل من عصى الله سبحانه سمي جاهلاً وفعله (جهالة) ، المؤيد لذلك قوله سبحانه ﴿وَالأ تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يوسف: ٣٣ ، وقوله سبحانه في موضع آخر: ﴿أَتَّخِذُنَا هُزُؤًا أَعُودُ بِاللَّهِ أَنِ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة: ٦٧

إن تفسير القرآن الكريم بالقرآن لا يشمل فقط تفسير آيات بأخرى مماثلة وإنما يشمل تفسير إشكال معين، والبحث في القرآن الكريم عن ايجاد جواب له ، كقضية النبي يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز حيث أن القصة بينت انتصار النبي على الظروف المحيطة وعلى شيطان الشهوة الطاغي وبإسلوب رائع.

ويدخل في باب تفسير القرآن بالقرآن ومعرفة الآيات الناسخة و المنسوخة عدة المرأة المتوفى عنها زوجها ، فقد كانت سنة كاملة ثم نسخت تلك الآية بآية أخرى بينت العدة الجديدة وهي أربعة أشهر و عشرة أيام،^(١) حيث اتفق العلماء على أنه لا يقال بالنسخ إلا إذا تعذر الجمع بين الاثنين في آيات الأحكام العملية، و علم تاريخها، فعند ذلك تعتبر الآية الثانية ناسخة للآية الأولى أما آيات العقيدة والفضائل فلا يدخلها النسخ.

(١) ينظر : تفسير آيات الأحكام : ١٥ / ١٠



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ومن باب تفسير القرآن بالقرآن الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف كخلق آدم من تراب في بعض الآيات ومن طين في غيرها ومن حمأ مسنون ومن صلصال فإن هذا ذكر للأطوار التي مرَّ بها آدم من مبدأ خلقه الى نفخ الروح فيه.^(١)

لماذا يجب تقسيم الى كلمة تفسير؟

استدل العلماء على ذلك بدليلين:

الدليل الأول / لكي يتضح هذا الدليل لا بُدَّ من الإشارة إلى أمور:

إن القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه معجزة النبي الخالدة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢ ، و الباطل نقيض الحق ، وفي هذه الآية وجود لا تكذبه الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل ولا يجيء كتاب من بعده يكذبه

(١) ينظر: التفسير والمفسرون : ١ / ٧٨



فما حكم القرآن الكريم بوصفه حقاً يصير باطلاً، وما حكم بوصفه باطلاً لا يصير حقاً؟

١ - معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزيد فيه فيأتيه الباطل من خلفه.

٢ - يحتمل أن يكون المراد أنه لا وجود في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضاً له أما قوله سبحانه في ذيل الآية ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢ فهو الدليل على عدم وصول الباطل بأي طريقة إلى القرآن الكريم .

الدليل الثاني: انه لا وجود لأي اختلاف في مضامين القرآن الكريم لقوله تعالى.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

النساء: ٨٢



المطلب الثاني

تفسير القرآن الكريم بالسنة المباركة

تفسير القرآن الكريم بالسنة المباركة الخطوة الثانية من خطوات تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية هي ما أثر عن النبي محمد (ﷺ) من قول أو فعل، وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي وعلى مفسري القرآن الكريم أن يتخذوها مصدراً من مصادر تفسير الكتاب المبارك. ولو تتبعنا عمومية مفهوم السنة المباركة لوجدناها مبيّنة للكتاب المبارك موضحة لآياته، تفيد ما هو مطلق وتبين ما هو مجمل، وتخصص العام...

فعندها نزل الله سبحانه كتابه على رسوله الكريم (ﷺ) أمر بمهمة التبليغ و من ثم بيان الآيات المباركات للناس ، قال سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ لنحل: ٤٤ ، وفي موضع آخر من السورة نفسها قال جل وعلا: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النحل: ٦٤ ، وعلى أساس ذلك أمر الله سبحانه



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

المؤمنين بطاعة رسوله (ﷺ) بالتبليغ والتوضيح والبيان ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ النساء: ٥٩^(١).

فبدأ الرسول الكريم يوضح أحكام كتابه المبارك للمسلمين يبين خلاله من حرامه ، وخصوصه من عمومه، ويلفت إنتباه الناس إلى بعض من نكته البلاغية،^(٢) وقد تأتي السنة المباركة مبينة أن العام الذي ورد في القرآن الكريم إنما يراد به الخصوص، فقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ البقرة: ٤٧ خرج مخرج العموم ويراد به الخصوص، لأن المعنى: إني فضلتكم على عالم ما كنتم بين ظهرائه وفي زمانه^(٣)، فلولا توضيح الرسول (ﷺ) لهذا العام بأن المراد منه الخصوص لوقع المسلم في حرج بطريقة فهم مراد الله سبحانه.

***أوجه بيان السنة المباركة لآيات القرآن الكريم:**

إن أهم صور بيان السنة المباركة للقرآن الكريم وتفسيرها له هي: ^(٤)

١. سنة مبنية لمجمل القرآن الكريم: بعض الأوامر والتكاليف جاءت في القرآن الكريم مجملة ، لم تُبين ولم تُفصّل في كیفياتها وشروطها وأركانها فجاءت السنه وبينت ذلك الإجمال وفصلته ووضحته ، مثال ذلك (الصلاة) فقد أمر الله

(١) ومن المواضع الأخرى الواردة في القرآن الكريم التي تأمر الناس بتنفيذ أوامر النبي (ص) واتباع سنته ، نذكر على سبيل المثال: سورة النساء: ٨٠ ، سورة النور: ٦٣ سورة الحشر: ٧، سورة النحل: ٤٤

(٢) ينظر: دراسات في أصول تفسير القرآن ، د محسن عبد الحميد : ٧

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٨

(٤) ينظر: تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين : ١٧٨ - ١٩٠ ، فتح البيان محمد صديق خان : ٣٤٣/١.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

سبحانه المؤمنين بإقامة الصلاة وأخبرهم إنها موقوتة محددة فقال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ النساء ١٠٣، والسنة القولية والفعلية لرسول الله (ﷺ) بينت ذلك الإجمال القرآني، فمنها عرفنا مواقيت الصلاة وركعاتها وأركانها وشروطها وستتها وآدابها ومبطلاتها ومكروهاتها.

وكذا الزكاة والحج.. وغيرها من العبادات التي جاءت مجملة وخصصتها السنة المباركة

(٢)*١- سنة مخصصة لعام القرآن الكريم: قد يأتي لفظ في آية ظاهرة العموم ويفهم منه العموم، فيخصص رسول الله (ﷺ) ذلك العموم مثال ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨٢.

فظاهر الظلم في الآية عام، لأنه نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تكون في ألفاظ العموم. ففي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ لأنعام: ٨٢، قد فهم منها الصحابة العموم، وحملوا الظلم على أي ذنب أو معصية وهم ليسوا معصومين، فقالوا يا رسول الله: أينا لا يظلم نفسه؟ فخصص فيها بأحد افراده وأنواعه وهو الشرك.

٣- سنة مقيدة لمطلق القرآن: قد يكون لفظ مطلق في القرآن الكريم

فتقيده وتحدده السنة المباركة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ البقرة: ١٩٦



إذا أحرَم المسلم بحجٍّ أو عمرة فلا يجوز له أن يحلق رأسه، ولا أن يلبس ملابسه العادية، إلا بعد الانتهاء من مناسك الحج أو العمرة، أما إذا كان مريضاً فإنه يجوز له أن يحلق رأسه، أو يلبس ملابسه العادية مقابل أن يدفع الكفارة، وهذه الكفارة مطلقة في الآية (ففدية من صيام أو صدقة أو نسك).

٤ - سنة مفسرة لألفاظ القرآن الكريم: قد تكون بعض ألفاظ القرآن الكريم غريبة وتحتاج إلى تفسير وتحديد فتكون السنة مفسرة لتلك الألفاظ، ومبنية لمتعلقها مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ الفاتحة: ٧ ، فقد روي الترمذي وأحمد بن عدي بن حاتم الطائي قالا: قال رسول الله (ﷺ): (إن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى).. فالرسول (ﷺ) وضع وفسر بعض اصناف المغضوب عليهم وكذا الضالين.

٥ - سنة مؤكدة لحكم في القرآن الكريم: قد يرد حكم أو توجيه في القرآن الكريم ، وتأتي السنة مؤكدة للكتاب المبارك ومؤيدة له، فتقرر ذلك الحكم ، وبذا يكون الحكم قد ثبت بمصدرين أساسين: القرآن الكريم والسنة المباركة وهذا في كل الواجبات الشرعية، كالصلاة والصيام والزكاة والحج أمور واجبة في الكتاب والسنة.

فالدليل على وجوب الصلاة مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ النساء: ١٠٣ ومنع الزكاة وعدم إخراجها محرم ، وإذا لم يخرج زكاة الذهب والفضة فإنه معذب بهما يوم الحساب !!! ما الدليل على ذلك ؟ قال



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

تعالى: التوبة: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتِزُونَ﴾ ٣٤-٣٥

أما الدليل من السنة المباركة ما رواه مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله (ﷺ) إنه قال: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائح من نار فأحمر عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كل مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار) (١).

٧ - سنة مقررة لأحكام زائدة على القرآن الكريم: من أوجه بيان السنة المباركة للقرآن الكريم أنها قد تأتي بأحكام جديدة زائدة على الأحكام الواردة في القرآن الكريم.

وقد أذن الله سبحانه لرسوله الكريم بذلك، فحكم رسول الله (ﷺ) المقرر في الأحاديث هو في الحقيقة حكم الله سبحانه ، لأن السنة الشريفة وحي بالمعنى من الله تعالى، وأمر سبحانه المؤمنين بطاعة رسوله (ﷺ) واعتبر طاعته من طاعة ربه سبحانه وتعالى ، فقال سبحانه: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء: ٨٠

(١) أخرجه مسلم برقم ٩٨٧



مصادر التفسير بالسنة الصحيحة:

من الغلط المنهجي الواضح الاعتماد على جميع التفاسير المعروفة في نقل السنة المفسرة ، فلا بُدَّ للباحث أو الدارس أن يختار التفاسير التي تهتم بتمحيص الروايات وتحقيق الأسانيد وتمييز الجيد من الرديء وأول تفسير في هذا المجال تفسير (جامع البيان في تفسير القرآن) للعلامة الطبري الذي يُعتبر دائرة معرفية غزيرة الثروة، أما تفسير (معالم السنة) للبعثي فهو مختصر تفسير الثعالبي غير أنه طرح منه الروايات الإسرائيلية والأخبار الكاذبة والأحاديث الموضوعية التي يمتلئ بها الأصل فاصبح حينها من التفاسير المعتمدة الموثوقة ، ثم تفسير (أحكام القرآن) للعلامة القرطبي موثق به في هذا الباب ، إذ يعرف في كل آية ما ورد فيها من السنة المفسرة ، وهو من العلماء المحققين إمتاز بتخريج الروايات ولا ينقل الموضوعية وإن نقلها فللتنبه عليها.

صور تفسير الرسول (ﷺ) للقرآن الكريم:

- ١- كان (ﷺ) يُفسر في كثير من الأحيان آيات مباركات إن احتاج الأمر
- ٢- في البعض الأغلب يذكر تفسير الآية بعدها يذكر الآية أو بالعكس يذكر الآية ثم يذكر تفسيرها.
- ٣- كان أحياناً يبين لأصحابه معنى الآية المُشكل عليه فهمها وتطبيقها.
- ٤- كان يُفصل ويقطع الخلاف الحاصل بين أصحابه حول معنى الآية المباركة.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

٥- في كثير من الأحيان يقوم بتفسير الآية عملياً أمام المسلمين لغرض الفهم والتطبيق. (١)

والأمر الذي لا ريب فيه أن الرسول الكريم محمد (ﷺ) لم يلتحق بالباري عز وجل إلا وفسر من القرآن الكريم ما يحتاج إليه المسلمون من أمور دنياهم و آخرهم (حلال و حرام) أما غير ذلك من الأسرار القرآنية كآيات الكونية والقواعد الاجتماعية وكلمة التشريعات القرآنية وإعجاز القرآن الكريم... وغيرها فقد وكل أمرها إلى تطور حركة العقل الإنساني ، لأن من المُحال على البشرية فهم القرآن الكريم بآياته وأحكامه وعباداته كلها فضلاً عن نواحي الوجود في عصر واحد ، إذ باستطاعة كل عصر جديد أن يُضيف إلى تفسير الآيات المرتبطة بتلك الموضوعات ممّا يستجد أمامه من العلوم والمعارف نتيجة لتطور الحضارة ونمو الثقافة، بمعنى آخر أن تفسير القرآن الكريم في عصرٍ ما يتأثر تأثيراً كبيراً بالمستوى العقلي والحضاري الذي وصل ويصل إليه المسلمون، ولذلك فإنه شرع الاقتصاد العقلي لذا فكانوا ولا يزالوا يفسرون ويجتهدون في تفسير الآيات في اطار المشكلات التي ظهرت في عصرهم ولاسيما أن الثقافة الإسلامية بدأت تختلط بالثقافات الأخرى نتيجة لعصر الفتوحات التي كان من نتائجها دخول أقوام كثيرة في الإسلام محتفظة ببعض عاداتها وتقاليدها، وأنماط حياتها الاجتماعية (٢).

(١) ينظر: قواعد التفسير، السبت ١٣٠/١٠

(٢) ينظر كل من: إحياء علوم الدين: ٢٦٠/١، التفسير والمفسرون ٢٧/١



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وبرز كثير من صحابة رسول الله (ﷺ) في تفسير القرآن الكريم منهم ابن مسعود وأبي بن كعب وعبد الله بن عباس وكانوا جميعاً يعتمدون على:-

١ - القرآن الكريم المفسر بعضه البعض الآخر، فالمطلق في مكان يكون مقيداً في مكان آخر، والمفصل في سورة إلا وقد أوجز في سورة أخرى وحتى العموم والخصوص منه ما كان عموماً فخصص أو خاصاً فعمم.

٢ - السنة النبوية الشريفة التي كانوا على دراية تامة بها مع حفظهم لمحتواها بوصفهم أصحاب النبي (ﷺ) سمعوا منه القرآن الكريم (قراءة وتفسيراً) مع مشاهدتهم للوقائع وتعایشهم معها أثناء وبعد نزول القول المبارك.

٣ - اجتهاداتهم المستندة على معرفة تامة بأمور عدة منها أسباب النزول، ومعرفة اللغة العربية وبلاغتها و فصاحتها وأسرارها ، فضلاً عن تقاليد وأعراف وعادات المجتمع العربي لغرض فهم النص المبارك فهماً صحيحاً، لأن آيات القرآن الكريم تحمل كثيراً من عادات العرب وتقاليدهم وحاكتهم بها.



المطلب الثالث

التفسير بالمأثور

للتفسير بالمأثور إسمان :

التفسير بالمأثور والتفسير النقلي وللتسميتين رابط في كون المأثور اسم مفعول بمعنى (منقول)

وورد في المعجم الوسيط :- (أثر الحديث: نقله ورواه عن غيره) (١)

فالمأثور يقوم على الرواية والنقل، ويُطلق على ما ورثه الخلف عن السلف من علم وحديث وروايات وغير ذلك، إلا أنه يغلب إطلاقه عن الحديث والروايات. (٢) والتفسير بالمأثور يشمل على (ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقِلَ عن الرسول ﷺ) وما نُقِلَ عن الصحابة وما نُقِلَ عن التابعين من كل ما هو بيان و توضيح لمراد الله سبحانه في نصوص كتابه) (٣)

معنى هذا أن الذهبي جعل تفسير القرآن بالقرآن ضمن التفسير بالمأثور، إلا أن هذا الرأي عليه تحفظ بوصف القرآن الكريم كلام الله سبحانه وليس من كلام البشر ولا يخضع بأي صورةٍ كانت إلى مقاييس الروايات ونقلها والأخبار وتمحيصها، لأنه ثابت اليقين.

(١) المعجم الوسيط، أحمد حسن الزيات: ٥-٦.

(٢) ينظر: تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين : ١٩٩

(٣) التفسير والمفسرون، الذهبي : ١٥٢/١٥



مصادر التفسير بالمأثور^(١)

- ١ - ما صحَّ من الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله. (ﷺ)
- ٢ - ما صحَّ عن الصحابة من أقوال مأثورة في التفسير.
- ٣ - ما صحَّ من أقوال التابعين
- ٤ - القراءات الشاذة.
- ٥ - القراءات التفسيرية.

خطوات التفسير بالمأثور واتجاهاته^(٢)

الخطوة الأولى: التفسير بالمأثور في طور الرواية والمشافهة حيث كان التفسير في هذه الخطوة يتحقق على يد الصحابة الذين تلقوا التفسير من رسول الله (ﷺ) لأنه يُبين لهم ما كانوا يحتاجون إليه من معاني القرآن الكريم ، كما تلقوه عن بعضهم بعضا، حيث كان الصحابي يروي التفسير بالمأثور عن رسول الله (ﷺ) وعن الصحابة الآخرين.

الخطوة الثانية: تدوين التفسير بالمأثور مع الحديث، فكتابة وتدوين التفسير على أيدي علماء التفسير من التابعين وتابعيهم وهذه المرحلة كانت في عصر

(١) لمعرفة التفصيل حول هذا المصادر ينظر كل من: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، العلامة الطبري: ٤٢/١ - ٤٣، تقريب وتهذيب، صلاح الخالدي: ٩٤، الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحق: أحمد عبد القادر عطار ٣٤٣/٢، القراءات الشاذة وتوجيهها، عبد الفتاح القاضي: ١٠.
(٢) ينظر: تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين: ٢٢٤ - ٢٢٨.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

التابعين وتابعيهم في القرن الثاني الهجري في زمن العباسيين وتابعو التابعين، وكانوا يدونون ويكتبون الأقوال المأثورة في التفسير سواء كانت أحاديث مرفوعة أو روايات موقوفة على الصحابة أو أقوالاً لكبار التابعين.

الخطوة الثالثة: تدوين التفسير بالمأثور مسنداً مستقلاً عن الحديث، حيث انفصل التفسير بالمأثور في هذه المرحلة عن الحديث، وعمد أصحاب كتب التفسير المدونة إلى جمع التفسير بالمأثور خاصة، ولم يوردوا معه شيئاً من الحديث أو غيره، وكانوا يكتبون الروايات المأثورة مسندة، يذكرون في كل رواية اسنادها، ولكنهم لم يكتبوا تفسير آيات القرآن الكريم وسوره المباركة كلها وإنما كانوا يكتبون التفسير الذي وصل إليهم، فلم يكتبوا تفسير القرآن الكريم كاملاً.

الخطوة الرابعة: تأليف تفاسير كاملة منسدة وبها أصبح التفسير ذلك العلم القائم بذاته حيث انفصل التفسير في هذه الخطوة عند الحديث نهائياً واعتنى المفسرون بالمأثور في هذه المرحلة بجميع الروايات المأثورة في التفسير من الأحاديث وأقوال الصحابة وأقوال التابعين وتابعي التابعين.

ولا بُدَّ من ذكر أهم أسباب الضعف في رواية التفسير بالمأثور الي ذكرها العلماء، منها - وهو الأول والأهم - الكذب والزور في وضع الروايات في التفسير بالمأثور ونسبها إلى أعلام من الصحابة والتابعين كابن عباس وابن مسعود وغيرهم الذين نسبوا لهم روايات كثيرة فيها الكذب والزور.

ومنها الضعف في الرواية وظهور التعصب المذهبي بين المسلمين الذين انقسموا إلى أقسامٍ عدة (شيعة، خوارج، معتزلة) ووقوع خلافات سياسية بين



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

الأمويين والعباسيين هذا الوضع والضعف أدى إلى اختلاط الروايات المأثورة الصحيحة عن الصحابة والتابعين بالروايات الموضوعية والمكذوبة مما جعل من لا يعرف مدى صحتها يأخذ بها لعدم معرفتهم بالصحيح منها والموضوع.

ومن أشهر كتب التفسير بالمأثور نذكر على سبيل المثال:

- ١ - جامع البيان في تفسير القرآن للعلامة الطبري.
- ٢ - المحرر الوجير في تفسير كتاب الله العزيز للمؤلف ابن عطية
- ٣ - التفسير الثالث والأخير: تفسير القرآن العظيم لمؤلفه ابن كثير.



المطلب الرابع

التفسير بالرأي

يقصد به تفسير القرآن الكريم بالإجتهاد عد معرفة المفسر لكلام العرب وأساليهم في القول، ومن ثم معرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها ومعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ منها.

وللعلماء في اعتماد التفسير بالرأي موقفان:

الأول: يرى عدم جواز تفسير القرآن بالرأي.

الثاني: يرى جواز التفسير بالرأي عن طريق الاجتهاد^(١)

ولو تأملنا حقيقة هذا الخلاف لوجدنا أنه خلاف لفظي لا حقيقي، لأن الراي لا يُدْم بإطلاق، فهناك رأي محمود وهو ما استند إلى دليلٍ معتبر، وهذا النوع من الرأي لا خلاف في قبوله بين أهل العلم. والرأي المذموم هو ما استند إلى الهوى ولم يكن له ما يؤيده و يسدده من العقل أو الشرع.

لذا فلا شكَّ من أن الذين قالوا بجواز تفسير القرآن بالرأي لم يقصدوا تفسير القرآن الكريم بمطلق الرأي وإنما قيدوه بالرأي المعتبر والمستند إلى دليل، ولم

(١) بنظر علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ٢٢٠



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

يعتبروا أو يلتفتوا إلى الرأي المستند إلى الهوى، وبهذا يؤول الخلاف في هذه المسألة إلى خلاف لفظي.^(١)

ومن العوامل الأساسية التي أدت إلى إعاقة حركة التفسير عند علماء، بل قد تحولت في كثير من حالاته إلى مانع يصد عن الخوض في تفسير القرآن الكريم وعقبة تردع المفسرين من إرتياد معانيه المباركة والغوص في أعماقه، النصوص المستفيضة بل المتواترة،^(٢) الواردة من الفريقين عن النبي محمد (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) التي تحدثت عن ظاهرة تفسير القرآن بالرأي: (عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول الله (ﷺ) (من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب).^(٣) وفي رواية أخرى عن (سعيد بن جبيرة عن ابن عباس انه قال: إن النبي (ﷺ) قال: من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)^(٤)

وفي رواية عن المارودي ذكرها صاحب كتاب (البرهان في علوم القرآن) أنه قال: قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث (من فسر القرآن برأيه) على ظاهره و امتنع من أن يستنبط معاني القرآن بإجتهاده ولو صحبتها الشواهد، ولم يعارض شواهدا نص صريح^(٥)

(١) ينظر: علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ٢٢٠

(٢) ينظر: البيان في تفسير القرآن، ابو القاسم الخويي: ٢٦٩

(٣) وسائل الشيعة: ١٩٠/٢٧

(٤) تفسير الطبري: ٨٥/١

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٧٩ / ٢



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

لذا فالتفسير بالرأي أن يُعمل المفسر عقله في فهم النص المبارك ومن ثم الاستنباط الاجتهادي والتفسير العقلي ، أما أهم العلوم التي يدخلها الرأي في التفسير هي ثلاث: علم التوحيد ، علم الفقه، وعلم التفسير. الأول مذموم (تفسير الهوى) بينما علم الفقه ربما يكون هو المحمود وربما لا، أما علم التفسير فهو محور حديثنا وتوضيحه سنذكره في آراء العلماء التي سنذكرها وقوفاً على نصوص قرآنية واضحة ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأعراف ٣٣.

وقوله عز وجل في سورة البقرة: ﴿ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٦٨-١٦٩

والقول المبارك الثالث قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ الإسراء: ٣٦

الملاحظ فيما ورد من النهي عن القول بغير علم في الآيات المباركات فالأولى من المحرمات (من فسر القرآن برأيه) والآية الثانية الله سبحانه عبر عنهم بأنهم اتباع الشيطان بخطواته ، أما الثالثة فقال الله سبحانه بالنهي عنه.

ولإيضاح مدى مقبولية التفسير بالرأي أو رفضه عند العلماء نذكر أهم الآراء حوله من مصادرها الموثوقة وللمذهبين (السنّي والشيعي) :



١ - ما ذكره الغزالي ، ^(١) فقد قال في كتابه (إحياء علوم الدين) ما خلاصته:
إن من زعم أن لا معنى للقرآن الكريم إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن
حد نفسه وهو مصيب في الإخبار عن نفسه ، لكنه بذلك مخطئ في مسألة الحلم
برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومقامه ، بل القرآن الكريم والأخبار
والآثار تدل على أن في معاني القرآن الكريم لأرباب لفهم متسعاً بالغاً ومجالاً
رحباً ، فقد قال علي بن ابي طالب (عليه السلام) والكلام للغزالي - إلا أن يؤتى الله
عبدا فهماً أفضل من القرآن الكريم ، فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما
ذلك الفهم !؟

فالعلوم جميعها داخلية في أفعال الله سبحانه وصفاته ، وفي الكتاب المبارك
شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لانهاية لها، وفي القرآن الكريم الشادة
إلى مجامعها والمقامات في التعمق بتفصيله راجعة إلى فهم القرآن الكريم،
ومجرد ظاهره لا يشير إلى ذلك بل ان كان ما أشكل فيه على النظر واختلف فيه
الخلايق في النظريات والمقولات ففي القرآن الكريم رموز إليه ودلالات عليه
يختص أهل الفهم بإدراكها، فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ؟ ومن ثم
قال الامام علي (عليه السلام): من فهم القرآن فسّر به جمل العلم ، أشار به إلى أن القرآن
الكريم يُشير إلى مجامع العلوم كلها فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني
القرآن الكريم مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً، وإن المنقول من ظاهر التعبير ليس
منتهى الإدراك فيه.

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، ابو حامد محمد الغزالي (ت : ٥٠٥هـ) : ٢٨٩/١ - ٢٩١.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وأما قوله (ﷺ): من فسر القرآن برأيه فالنهي فيه يمكن أن ينزل على أحد وجهين:

الأول: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن الكريم على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأي و الهوى لكان لا يلوح له في القرآن الكريم ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن الكريم على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه ، ويكون قد فسر برأيه أي رأي هو الذي حمله على ذلك التفسير، ولولا رأيه بما كان يترجح عنده ذلك الوجه.

وقد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن الكريم ويستدل عليه مما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار.

فيستشهد بقوله: (ﷺ) (تسحروا فإن في السحور بركة) ، ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل والشرب وقد يستعمل في المقاصد الفاسدة لتغيير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن الكريم على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به.

فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح، والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي.



والوجه الثاني أن يتسارع إلى تفسير القرآن الكريم بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن الكريم وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير.

فمن لم يعلم بظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلظه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي، فالنقل والسماع لأبد منه في ظاهر التفسير أولاً لينفي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك ليتسع التفهم والاستنباط.

٢ - ما ذكره الآلوسي: ^(١) قال العلامة الآلوسي في أمر مقبولية التفسير بالرأي ورفضه ما يلي:-

(وأما التفسير بالرأي فالشائع المنع عنه، واستدل عليه بما أخرجه ابو داود والترمذي والنسائي من قوله (ﷺ) من تكلم في القرآن الكريم برأيه فأصعب فقد أخطأ، وفي رواية عن ابي داود: من قال في القرآن الكريم بغير علم فليتوبوا مقعده من النار ولا دليل على ذلك.

أما أولاً: فلان في صحة الحديث الأول مقالاً ، قال في المدخل: في صحته نظر، وان صحَّ فإنما أراد به - والله أعلم - فقد أخطأ الطريق، إذا الطريق الرجوع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي نحو الناسخ والمنسوخ إلى الأخبار، وفي بيان المراد منه إلى صاحب الشرع ، فإن لم يعد هناك وهنا فلا بأس بالفكرة ليستدل بما ورد وعلى ما لم يرد، أو أراد من قال بالقرآن قولاً يوافق هواه بأن يجمل المذهب أصلاً و التفسير تابع له، فيرد إليه بأي وجه فقد أخطأ ، فالباء

(١) روح المعاني في تفسير القرآن لكريم والسبع المثاني : ١٥/١



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

على ذلك سببية ، أو يقال ذلك في المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله. أو في الجزم بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل ، وأما الحديث الثاني فله معنيان:

١ - من قال في مشكل القرآن بما لا يعلم فهو متعرض لسخط الله تعالى

٢ - وصحح من قال في القرآن الكريم قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار.

وأما الثاني: فلأن الأدلة على جواز الرأي والاجتهاد في القرآن كثيرة، وهي تعارض ما يشعر بالمنع. فقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ النِّسَاءُ﴾ : ٨٣ - وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا﴾ محمد: ٢٤ ، وقال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩ ، وأخرج أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس: (القرآن ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه) ، وقد دعا رسول الله (ﷺ) لابن عباس بقوله: الله فقهه في الدين وعلمه التأويل: وقد روي عن علي (عليه السلام) أنه سئل: هل خصكم رسول الله (ﷺ) بشيء؟ فقال: ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة، أو فهم يؤتاه الرجل في كتابه الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

والعجب كل العجب ممّا يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني التراكيب ولم ينظر إلى اختلاف التفاسير وتنوعها ولم يعلم أن ما ورد عنه (ﷺ) في ذلك كالكبريت الأحمر.

فالذي ينبغي أن يعوّل عليه أن من كان متبحراً في عالم اللسان مترقياً إلى ذوق العرفان ، وله في رياض العلوم الدينية أوفى مرتع و في حياضها أصفى مكرع يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد فذاك له أن يرتقي من علم التفسير ذروته ويمتطي منه مهرته (١)

والكلام يطول للعلامة الألوسي إلا أن الواضح هو مقبولية التفسير بالرأي ورفضه بما هو شائع بالمنع عنه عن النبي (ﷺ) وأهل البيت الكرام ولا يجوز تفسير القرآن الكريم إلا بوجود دليل واضح بسند صحيح ومعتبر.

٣ - ما ذكره العلامة الطباطبائي (٢)

لخص الطباطبائي موقفه من التفسير بالرأي بأنه يحتمل أوجه عدة أهمها:-

-تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله:-
التفسير المقرّر لمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب اصلاً والتفسير تبعاً، فيرد إليه بأيّ طريقة أمكن وإن كان ضعيفاً.

- التفسير بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل.

(١) روح المعاني في تقسيم القرآن الكريم والسبع المثاني : ١٦/١

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٧٧/٣ - ٨٣



- التفسير بالاستحسان والهوى.

- القول في القرآن الكريم بما يعلم أن الحق غيره.

- القول في القرآن الكريم بغير علم وتثبت ، سواء علم أن الحق خلافه أم لا .

ثم علقَّ عليه بقوله: (وربما أمكن إرجاع بعضها إلى بعض ، وكيف كان فهم وجوه خالية من الدليل على أن بعضها ظاهر البطلان) .

ثم بعد أن استعرض النصوص الدالة على النهي في تفسير القرآن الكريم بالرأي.

قال: قوله (ﷺ) من فسر القرآن برأيه، الرأي هو الاعتقاد عن اجتهاد وربما اطلاق على القول عن الهوى والاستحسان ، وكيف كان لما ورد قوله برأيه مع الإضافة إلى الضمير، علم منه أن ليس المراد به النهي عن الاجتهاد المطلق في تفسير القرآن الكريم حتى يكون بالملازمة أمراً بالاتباع والاقصار على ما ورد في الروايات في تفسير الآيات عن النبي وأهل بيته (عليهم افضل الصلاة والسلام) على ما يراه أهل الحديث. بل بالإضافة في قوله (برأيه) تفيد معنى الاختصاص والانفراد والاستقلال بأن يستقل المفسر في تفسير القرآن الكريم بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس، فإن قطعة من الكلام من أي متكلم إذا ورد علينا لم نلبث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي ونحكم بذلك: إنه أراد كذا، كما تجري عليه في الأقارير والشهادات وغيرهما ، كل ذلك يكون بياناً مبنياً على ما نعلمه من اللغة وتعهده من مصاديق الكلمات حقيقة ومجازاً .



و البيان القرآني غير جارٍ هذا المجرى ، بل هو كلام موصول بعضه ببعض في حين أنه مفصول ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض كما قال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فلا يكفي ما يتحصل من آية واحدة بإعمال القواعد المقررة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها ، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها ويجتهد في التدبر فيها كما يظهر من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢

فالتفسير بالرأي المنهي عنه الأمر الراجع إلى طريق الكشف دون المكشوف، أي أن التفسير بالرأي مقولة في المنهج وفي طبيعة الطريق الذي يسلك في تفسير القرآن الكريم ، فإذا ما سلك الإنسان الطريق الخاطئ وقع في محذور التفسير بالرأي وترتب على ذلك خطأ النتائج وإن كان يمكن أن يُصيب الواقع أحياناً.

بعبارة أخرى: إنما نهى (ﷺ) عن تفهم كلامه تعالى على نحو ما يتفهم به كلام غيره وإن كان هذا النحو من التفهم ربما صادق الواقع. والدليل على ذلك قوله (ﷺ) في الرواية الأخيرة: من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، فإن الحكم بالخطأ مع فرص الإصابة ليس إلا لكون الخطأ في الطريق، وكذا قوله: ﴿إن أصاب لم يؤجر﴾. وليس اختلاف كلامه تعالى مع كلام غيره في نحو استعمال الألفاظ وسرد الجمل وإعمال الصناعات اللفظية ، وإنما هو كلام عربي روعي فيه جميع ما يُراعى في كلام عربي، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم: ٤ ، وقال تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣ ، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف: ٣



وإنما الاختلاف من جهة المراد والمصداق الذي ينطبق عليه مفهوم الكلام.

توضيح ذلك: إنا من جهة تعلق وجودنا بالطبيعة الجسمانية وقطوننا المعجل في الدنيا المادية، ألقنا من كل معنى مصداقه المادي واعتدنا بالأجسام. والجسمانيات، فإذا سمعنا كلام واحد من الناس الذين هم مثلنا يحكي عن حال أمر من الأمور وفهنا منه معناه، حملناه على ما هو المعهود عندنا من المصداق والنظام الحاكم فيه لعلمنا بأنه لا يعني إلا ذلك، لكونه مثلنا لا يشعر إلا بذلك، وعند ذلك يعود النظام الحاكم في المصداق يحكم في المفهوم. فربما خصص به العام أو يعمم به الخاص أو تصرف في المفهوم بأي تصرف آخر، وهو الذي نسميه بتعريف القرائن العقلية غير اللفظية.

مثال ذلك إلا عندنا خزائنه، وتعقلنا مفهوم الكلام ومعاني مفرداته حكماً في مرحلة التطبيق على المصداق إن له أبنية محصورة حصينة تسع الشيء الكثير من المظروفات، فإن الخزانة هكذا تتخذ إذا اتخذت، وإن له فيها مقداراً وأقرأ من الذهب والفضة والورق والزينة والسلاح، فإن هذه الأمور هي التي يمكن أن تخزن عندنا وتحفظ حفظاً. وأما الأرض والسماء والبر والبحر والكواكب والإنسان فهي وإن كانت أشياء لكنها لا تخزن ولا تتراكم، ولذلك تحكم بأن المراد من الشيء بعض من أفراده غير المحصورة، وكذا من الخزائن قليل من كثير، فقد عاد النظام الموجود في المصداق وهو أن كثيراً من الأشياء لا تُخزن، وإن ما تخزن منها إنما يختزن في بناء حصين مأمون عن الغارة، أو جب تقييداً عجباً في إطلاق مفهوم الشيء والخزائن.



ثم إذا سمعنا الله تعالى ينزل على رسوله قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ الحجر: ٢١ ، فإن لم ترق أذهاننا عن مستواها الساذج الأولي فسرنا كلامه بعين ما فسرنا به كلام الواحد من الناس ، مع أنه لا دليل لنا على ذلك البتة. فهو تفسير بما نراه من غير علم وان رقت أذهاننا عن ذلك قليلاً، وأدعنا بأنه تعالى لا يخزن المال وخاصة اذا سمعناه تعالى يقول في ذيل الآية: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الجاثية: ٥ ، حكمنا بأن المراد بالشيء الرزق من الخبز والماء، وإن المراد بنزوله نزول المطر لأننا لا نشعر بشيء ينزل من السماء غير المطر، فاختران كل شيء عند الله تعالى ثم نزوله بالقدر كناية عن اختزان المطر ونزوله لتهيئة المواد الغذائية. وهذا أيضاً تفسير بما نراه من غير علم؛ إذ لا مستند له إلا أننا لا نعلم شيئاً من السماء غير المطر فاختران كل شيء عند الله تعالى ثم نزوله بالقدر كناية عن اختزان المطر ونزوله لتهيئة المواد الغذائية، وهذا أيضاً تفسير بما نراه من غير علم ، إذ لا مستند له إلا أننا لا نعلم شيئاً من السماء غير المطر والذي بأيدينا هاهنا عدم العلم دون العلم بالعدم.

وإذا تعالينا عن هذا المستوى أيضاً واجتنبنا ما فيه من القول في القرآن الكريم بغير علم وأبقينا الكلام على إطلاقه التام، وحكمنا أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ الحجر ٢١ ، يبين أمر الخلق، غير أننا لما كنا لا نشك في أن ما تجده من الأشياء المتجددة بالخلق كالإنسان والحيوان والنبات وغيرها لا تنزل من السماء، وإنما تحدث حدوثاً في الأرض حكمنا بأن قوله سبحانه في سورة الحجر آية (٢١) الآنف الذكر كناية عن مطاوعة الأشياء في وجودها لإرادة الله تعالى ، وان الإرادة بمنزلة مخزن مخترن فيه جميع الأشياء المخلوقة ، وانما



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

يخرج منه وينزل من عنده تعالى ما يتعلق به مشيئته تعالى. وهذا أيضاً كما ترى تفسير للآية بما نراه من غير علم ، إذ لا مستند لنا فيه سوى أننا نجد الأشياء غير نازلة من عند الله بالمعنى الذي نعده من النزول ولا علم لنا بغيره.

وإذا تأملت ما وصفه الله سبحانه في كتابه من أسماء ذاته وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله والقيامة وما يتعلق بها وحكم وأحكامه وملائكته وتأملت ما نرومه في تفسيرها من أعمال القرائن العقلية، وجدت أن ذلك من قبيل التفسير بالرأي من غير علم وتحريف كلامه عن مواضعه.

إن التفسير بالرأي كما بيناه لا يخلو عن القول بغير عالم كما يشير الحديث النبوي (من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار) ، بالمقابل فإن ذلك يؤدي الى ظهور التنافي بين الآيات القرآنية من حيث ابطاله الترتيب المعنوي الموجود في مضامينها فيؤدي إلى وقوع الآية في غير موقعها ووضع الكلمة في غير موضعها، ويلزم ذلك تأويل بعض القرآن أو أكثر آياته بصرفها عن ظاهرها، كما يتأول المجبرة آيات الاختيار، والمفوضة آيات القدر، وغالب المذاهب في الإسلام لا يخلو عن التأول في الآيات القرآنية وهي الآيات التي لا يوافق ظاهرها مذهبهم فيتشبتون في ذلك يزيل التأويل استناداً إلى القرينة العقلية وهو قولهم إن الظاهر الفلاني قد ثبت خلافه عن العقل فيجب صرف الكلام عنه.

٤ - ما ذكره السيد الصدر: ^(١) قال الشهيد الصدر في بحوثه الاصولية إن هناك احتمالين في المراد بالتفسير بالرأي في قبال الاجتهاد الشخصي:

(١) ينظر: بحوث في علم الأصول ، السيد محمود الهاشمي :٤/٢٨٧.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

الأول / أن يراد به إعمال الجانب الذاتي في التفسير في قبال الجانب الموضوعي ، أي تحكيم موقف مسبق على النص القرآني ومحاولة تأويله بما ينسجم مع الرأي المتبني والمرغوب للمفسر ، فإنه قد شاعت مواهب واتجاهات وآراء حول صاحب كل منها أن يستدل للقرآن الكريم على مذهبه ورأيه ، وهو استقلال للقرآن الكريم في واقعه ولكن بصورة استدلال.

والحاصل المراد هو التفسير بما يرغبه الإنسان وما يوافق مصلحته لا ما يقتضيه الموضوع في نفسه ، وهذا من أشنع الأعمال وجدير أن يُعبر عنه بالكفر والهوى: إذ هو مساوق لتحريف الحقائق والدلائل ومن ثم عدم الإيمان بمرجعية القرآن الكريم، والفرق بينه وبين الاجتهاد الشخصي، إن الأخير قد يكون موضوعاً على أساس البرهان والدليل العقلي كما في تفاسير المعتزلة ، بخلاف هذا المسلك في تفسير القرآن الكريم.

وهذا رأي ذهب إليه أغلب المسلمين في مقام فهم هذه النواهي وهذا الإحتمال لو لم يحصل القطع بإدارته في ضوء بعض الشواهد والقرائن ، فلا أقل من أنه محتمل قريباً في جملة منها.

الثاني / أن يراد بالرأي المدرسة الفقهية المعاصرة لعصر الصادقين (عليهم السلام) وهو الاتجاه الذي بني على العمل بالتخمينات والظنون الناشئة منها كالقياس والإستحسان والاستصلاح ، فإنه كان قد بدأ انقسام خطير بين المسلمين إلى إتجاهين ومدرستين، مدرسة الرأي ومدرسة الحديث، لذا فمن المحتمل قوياً أن يكون المراد بالرأي في روايات النهي عن التفسير بالرأي هذا المعنى، ولا أقل من احتمالاه وهو كاف في الإجمال.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

والشاهد على ذلك أن كلمة الرأي وإن كان معناها اللغوي الأصلي هو النظر مثلاً أو ما يقرب من ذلك المعنى إلا أن الذي يطالع مجموع الروايات الواردة في باب الرأي ويطالع عصر هذه الروايات، يعرف أن هذه الروايات كانت ملقاة من قبل الأئمة (عليهم السلام) على أناس كانوا يعيشون ويفكرون في جو علمي خاص له مصطلحاته الخاصة وتعبيراته الخاصة وله مسائله المطروحة للبحث ثباتاً ونفيّاً ومن أهم تلك المسائل مسألة الرأي ففي عصر الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) وجدت مدرسة علمية في صفوف علماء السنة بعنوان مدرسة الرأي في مقام الاستنباط والتفسير وإخراج الأحكام من النصوص، وكانت هذه الكلمة مصطلحاً لمذاهب استحدثت وراحت و عمّت وانتشر الحديث عنها وتشعبت فروعها.

فمن يدعي الاطمئنان بأن كلمة الرأي التي ترد في كلام الأئمة (عليهم السلام) الملقاة على مثل هؤلاء الذين يعيشون في مثل هذا الجو لم يكن يفهم منها إلا نفس ذلك المصطلح الذي كان عنواناً لإتجاهات معينة و مشخصة في الفقه والاستنباط والتفسير ليس بمجازف.

وهذا الإحتمال قريب روحاً من الأول ، لأن أعمال الظنون يستبطن لا محالة جانباً ذاتياً غير موضوعي ، وهو ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر في مقام التفسير بلا دليل وعلم ، وهو نحو من الذاتية في التفسير.



المطلب الخامس

التفسير بأقوال أهل البيت (عليهم السلام).

حديث الثقلين هذا الحديث يكاد يكون متواتراً بل هو متواتر بالفعل إذ لوحظ مجموع رواته من الشيعة والسنة في مختلف الطبقات واختلاف بعض الرواة في زيادة النقل ونقيضته، تقتضيه طبيعة تعدد الواقعة التي صدر فيها ونقل بعضهم له بالمعنى وموضوع الالتقاء بين الرواة متواتر قطعاً.

وبحسب الحديث لأن يكون موضع اعتماد الباحثين حيث أن رواته كل من الصحيح و مسلم و سنن الدارمي ، وسنن ابي داوود، وابن ماجه ، ومسند أحمد، والمستدرک (الحاكم) وغيرها ، وأن تعني بروايته كتب التفسير أمثال الرازي والثعلبي والنيسابوري وابن كثير وغيرهم ، فضلاً عن كثير من كتب التاريخ واللغة والسير و التراجم^(١).

ولسان الحديث كما ورد في رواية زيد بن أرقم : (قال رسول الله ﷺ): إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيها).^(٢) أما وجه دلالة هذا الحديث على

(١) ينظر : دراسات في أصول تفسير القرآن : ١١٩ .

(٢) كتاب فضائل الصحابة، ابو عبد الله أحمد بن حنبل (٥٣٤١ هـ) ، تحقق : وصي الله محمد بن عباس : ١٥ ، السنن الكبرى، ابو بكر أحمد بن علي البيهقي (ت: ٥٤٥١ هـ) ، تحقق : محمد عبد القادر عطا : ١٤٨/٢ ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقق : د. مصطفى جواد : جميل سعيد : ٣٢٨/ ٥



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

حجية ظواهر الكتاب: إن معنى التمسك بالكتاب، الذي هو أحد الثقلين ليس مجرد الاعتقاد بأنه قد نزل من عند الله تعالى بأنه حجة على الرسالة ودليل قاطع على النبوة وبرهان واضح على صدق النبي (ﷺ)، بل مُضي التمسك به الموجب لعدم الانصاف بالضلالة أصلاً هو الأخذ به والعمل بما فيه من الأوامر والنواهي والاستناد إليه في كل اعتقاد أو قول أو فعل. (١)

وكان أروع وصف للقرآن الكريم على لسان الرسول الكريم محمد (ﷺ)، فقد ورد(عن السكوني عن أبي عبد الله الصادق عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله(ﷺ): فإذا ألتبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحلٌ مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهذا الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق له نجوم وعلى نجومه نجوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه). (٢)

وروي عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله(ﷺ) أنه قال: (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة بمن تبعه لا يعوج فيقوم، ولا يزيخ فيستقى). (٣)

(١) ينظر: دراسات في اصول تفسير القرآن: ١٢٠.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: ٧٠، شواهد التنزيل، النيسابوري: ٦٢/٢

(٣) المصدر نفسه: ٧.



وفي قول للإمام الصادق (عليه السلام) قال فيه: (قال رسول الله (ﷺ) : القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى، واستقامة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الملكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار). (١)

وروي عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) إنه قال في فضل القرآن وبيانه: (كتاب الله بين أظهرهم وناطق لا يعيي لسانه وبين لا تقوم أركانه، وعز لا تهزم أعوانه.... كتاب الله ينصرون به... وتنطقون، به وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله) (٢)

وفي مورد آخر قال (عليه السلام): (وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور) (٣)

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل، والمحدث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه زيادة أو نقصان، زيادة في هدى أو نقصان من عمى). (٤)

(١) الأصول في الكافي، ابو جعفر محمد بن اسحاق الرازي، كتاب فضل القرآن: ٦٠٠/٢.

(٢) نهج البلاغة - الإمام علي بن ابي طالب (ع) رقم الخطبة: ١٣٣

(٣) المصدر نفسه، الخطبة: ١١٠

(٤) المصدر نفسه، الخطبة: ١٧٦



فكل ما ورد من أقوال وأحاديث مباركة كانت بياناً لمكانة القرآن الكريم وأهميته في حياة المسلمين بوصفه دستور الأمة الباقي والمتجدد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيك من عزيز حميد.

و بعد كل ما ورد من أقوال تبيين مكانة وفضل القرآن الكريم نذكر النماذج الآتية من تفسير أهل البيت (عليهم السلام) للقرآن الكريم:

روي عن جابر قال: (سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام) عن شيء من تفسير القرآن فأجابني ثم سألته ثانياً فأجابني بجواب آخر - فقلت ، جعلت فداك كنت أجبت من هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ؟ فقال عليه السلام): يا جابر إن للقرآن بطناً و للبطن بطناً، وله ظهر وللظهر ظهر)، وقد روي عن عبد الله بن سنان عن ذريح المحاربي قال: قُلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام): ان الله أمرني في كتابه بأمر ، فأحب أن أعلمه ، قال: وماذاك ؟ قلت: قول الله عز وجل: (ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم) قال ثم (ليقضوا تفثهم) وقال الإمام (وليوفوا نذورهم) تلك المناسك. (١)

وجاء في كتاب (الفروع من الكافي) قول لعبد الله بن سنان: (فأتيت أبا عبد الله الصادق عليه السلام) فقلت: جعلت فداك ، قول الله عز وجل: (ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم) قال: أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك، قال: قلت جعلت فداك إن ذريح المحاربي حدثني عنك بأنك قلت له: (ليقضوا

(١) ينظر: نهج البلاغة - الإمام علي بن ابي طالب (ع): ٤٢٩.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

تفهم) لقال الإمام... فقال: صدق ذريح وصدقت أن للقرآن ظهراً وبطناً ومن
يحتمل ما يحتمل ذريح). (١)

و من الروايات الأخرى التي تثبت أن للقرآن الكريم ظهر وبطن ما روي عن
محمد بن منصور قال: سألت الإمام الكاظم (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿قُلْ
إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾ الأعراف: ٣٣ فقال: ان للقرآن ظهر
بطن). (٢)

ويؤكد الروايات السابقة في أن للقرآن ظهر وبطن ما روي عن سيد البلغاء
أمير المؤمنين (عليه السلام) حديثاً عن تأويل القرآن الكريم وضرورة اتباع الصحيح منه ،
حيث قال: (ما من آية إلا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلع ، فالظاهر
التلاوة، والباطن الفهم، والحد هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله
تعالى). (٣)

فالمراء من هذه الروايات ذات الدلالة القطعية على عمق القرآن الكريم كما
ورد في حديث رسول الله (ﷺ) قال: وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم،
ظاهرة أنيق وباطنه عميق.

السؤال هنا:

هل هذا العمق هو من نسخ المعاني الذهنية والمفاهيم النظرية والفكرية
المتسمة من اللفظ أم هي حقائق وراء اللفظ لها استقلالها عن الألفاظ ، وعلاقة

(١) الفروع من الكافي، أبو جعفر بن اسحاق الكليني الرازي (ت : ٣٢٨ هـ) : ٤٤٩/٤

(٢) دراسات في اصول تفسير القرآن : ٤٢٩

(٣) المصدر نفسه : ٤٢١.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

تركيبية من نوع ما ، ما بين الاثنين؟ بتعبير آخر^(١): ما هو منشأ هذا العمق، وما هو سر اختصاص القرآن الكريم بالبطون وتوافره على شمولية المعنى؟ أ يعود ذلك إلى كينونة القرآن الكريم وأن يتألف من حقائق ذات مراتب عدة تكمن وراء اللفظ ولا يكون اللفظ إلا التعبير الأخير عن تلك الحقائق أم أن الذي ينشئ عمق القرآن الكريم ومعانيه وثراء مفاهيمه وتعددتها ، هو اللفظ وكيفية استعماله وتركيبه ، ومن ثم فإن البطون والمعاني المترتبة على بعضها هي من مقولة المفاهيم والتأويلات الذهنية التي تنبثق من دلالة اللفظ وطبيعة التركيب أو ممّا يحتمله اللفظ القرآني ويكون أحد مدلولاته وتخضع عملية نيلها ووضع اليد عليها إلى بذل الجهد العقلي والنشاط الذهني والاتصاف بحدة الذكاء وعمق التفكير وما إلى ذلك.

*المصحف الذي جمعه الامام علي (عليه السلام):

روى الفريقان أن الإمام أمير المؤمنين (ع) اعتزل الناس بعد رحيل النبي (ﷺ) ولم يرتد إلا للصلاة حتى جمع القرآن الكريم ثم حمله إلى الناس وأعلمهم أنه القرآن الذي أنزله الله سبحانه على نبيه (ﷺ) وقد جمعه، فردوه واستغنوا عنه بما جمعه لهم (زيد بن ثابت) ولو لم يكن بعض ما فيه مخالفاً لبعض ما في مصحف زيد لم يكن لحمله إليهم وإعلامهم ودعوتهم إليه والروايات الدالة على ذلك كثيرة ، منها رواية احتجاج أمير المؤمنين على جماعة من المهاجرين والأنصار حيث قال (عليه السلام): (ياطلحة أن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد (ﷺ) عندي بإملاء رسول الله (ﷺ) وخط يدي ، وتأويل كل آية أنزلها الله

(١) ينظر : دراسات في أصول تفسير القرآن : ٤٣٣



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

تعالى أنزلها على نبيه محمد (ﷺ) وكل حلال أو حرام أو حد أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة الى يوم القيامة ، فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله (ﷺ) وخط يدي). (١)

إن جمعه (ﷺ) للقرآن الكريم وحمله إليهم وعرضه لا يدل على مخالفة ما جمعه لما جمعه في شيء من الحقائق الدينية الأصلية أو الفرعية إلا أن يكون في شيء من ترتيب السور أو الآيات من السور التي نزلت نجوماً بحيث لا يرجع إلى مخالفة في بعض الحقائق الدينية ، ولو كان كذلك لعارضهم بالإحتجاج ودافع فيه ولم يقنع بمجرد إعارضهم عمّا جمعه واستغنائهم عنه، كما روي عنه (ﷺ) في موارد شتى ولم ينقل عنه (ﷺ) فيما روي من احتجاجاته أنه قرأ في أمر ولايته ولا غيرها آية أو سورة تدل على ذلك. (٢)

لذا قال بعض الأعلام المعاصرين (الظاهر أن تلك الإضافات والزوائد لا تكون جزءاً للقرآن وإطلاق (التنزيل) عليها لا يدل على كونها من القرآن! لعدم اختصاص هذا الوصف بالقرآن وكان المتعارف نزول بعض الأمور بعنوان التوضيح والتفسير للقرآن، وكان بعض الكتاب يكتبه معه من دون علاقة لكونهم آمنين من الالتباس، ولأجله حكى ابن مسعود قرأ وأثبت في مصحفه: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في موسم الحج) (٣) ويؤيده التأمل في بعض الروايات المتقدمة الواردة في هذا الشأن الدال على أن التنزيل والتأويل ،

(١) البرهان في تفسير القرآن : ٦٦ (المقدمة)

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ١١٦/١٢

(٣) اصول التفسير والتأويل : ٥٢١



والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وظاهره وباطنه جميعها واردة في ألفاظ ومعاني القرآن الكريم ومشهرة بوقوع التحريف فيه لكن تقييدها بقوله (ظاهره وباطنه) أفادت المراد هو العلم لجميع القرآن الكريم من حيث معانيه الظاهرة عن طريق الفهم المتعارف. ومعانيه المستنبطة بالنسبة إلى الفهم العادي وكذا قوله (عليه السلام) في بعض رواياته بأنه مجموع ومحفوظ دليل على أنه (عليه السلام) قد قيد لفظ الجمع بلفظ الحفظ أي مجموع ومحفوظ.

* من هم الراسخون في العلم؟

(الراسخون في العالم) هذا التعبير القرآني ورد في القرآن الكريم بموضعين أحدهما في سورة آل عمران الآية (١٧) والثاني في سورة النساء آية (١٦٢). قال تعالى: ﴿ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ آل عمران: ٧. هذا الموضع الأول، أما الموضع الثاني قوله تعالى: ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ النساء: ١٦٢

وبحسب المعنى اللغوي لهذه الكلمة فإنها تعني الذين لهم قدم ثابتة في العلم والمعرفة.

طبيعي أن معنى الكلمة له سعة بوصفه يضم جميع العلماء والمفكرين، إلا أن بين هؤلاء أفراداً متميزين لهم مكانتهم الخاصة، ويأتون على رأس مصاديق الراسخين في العلم وتنصرف إليهم الأذهان عند استعمال هذه الكلمة قبل غيرهم. (١)

(١) ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٧٧/٢



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

و هذا هو الذي تقول به بعض الأحاديث التي تفسر الراسخين في العلم. بأنهم النبي و أئمة الهدى (عليهم السلام) ، فقد سبق أن قلنا: إن لكلمات القرآن الكريم ومفاهيمه معاني واسعة ، ومن مصاديقها البارزة الشخصيات النموذجية السامية التي تذكر أحياناً وحدها في تفسير تلك الكلمات والمفاهيم^(١)

ويعد الرسوخ في العلم السبب الأوضح في زيادة الإنسان معرفة بأسرار القرآن الكريم، ومما لا شك فيه إن الذين رسخوا في العلم أكثر من غيرهم (النبي الأكرم ﷺ) والأئمة الأطهار) يعلمون الأسرار الربانية القرآنية جميعها لا مقارنة مع غيرهم الذين لا يعلمون إلا مقداراً منه، وهم الذين تمكنوا في عالم الكتاب ومعرفة محامله، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله سبحانه ، بحيث لا تروج عليهم الشبهة ، لأن الرسوخ في كلام العرب: الثبات والتمكن في المكان، يُقال: رسخت القدم ترسخ رسوخاً إذا ثبتت عند المشي ولم تتزلزل، واستعير الرسوخ لكمال العقل والعلم بحيث لا تضلله الشبه ، ولا تتطرقه الأخطاء غالباً، وشاعت هذه الاستفادة حتى صارت كالحقيقة.^(٢)

لذا فقوله سبحانه (والراسخون) معطوف على اسم الجلالة، وفي هذا العطف تشريف عظيم، كقوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ آل عمران: ١٨. وإلى هذا التفسير مال أغلب الصحابة ومن تبعهم.^(٣)

(١) ينظر الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٧٧/٢

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير : ٢٥/٣

(٣) ينظر: تفسير التحرير والتنوير : ٢٥/٣



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ومما يؤيد هذا الكلام إن الله سبحانه أثبت للراسخين في العلم فضيلة ووصفهم بالرسوخ، فأذن بأن لهم مزية في فهم المتشابه، لأن المحكم يستوي في علمه جميع من يفهم الكلام، ففي أي شيء رسوخهم. (١)

أما أهم الأحاديث والأقوال الواردة التي تثبت أن الراسخين في العلم الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، نذكر منها:

١- روي عن ابي سعيد الخدري: قال: (سألت رسول الله ﷺ) عن هذه

الآية قال: ذاك أخي علي بن ابي طالب. (٢)

٢ - روي عن الإمام علي بن ابي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العالم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستقضى الهوى وتتجلى العمى) . (٣)

٣ - روي عن (أحمد بن محمد بن الحسن بن سعيد... عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله) . (٤)

٤ - وروي و بسلسلة طويلة عن بُريد بن معاوية عن أحد الإمامين الصادق والباقر (عليهما السلام) في قوله عزّ وجل (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) فرسول (ﷺ) الله أفضل الراسخين في العلم قد علمه الله عز وجل

(١) ينظر: مصدر سابق تفسير التحرير والتنوير : ٢٥/٣

(٢) شواهد التنزيل : ١ / ٤٠٠

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٤٤

(٤) الكافي : ٢١٣/١



جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله ينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله. والذين لا يعلمون تأويله، إذا قال العالم فيهم بعلم فأجابهم الله بقوله (يقولون آمنا به كل من عند ربنا) . والقرآن خاص وعام ، و محكم ومتشابه، و ناسخ و منسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه). (١)

وذكر صاحب الكافي أيضاً قولاً للإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) برواية الحسين بن محمد عن محمد بن أورمة إنه قال: (الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام) (٢). وذكر العياشي في تفسيره رواية عن بريد بن معاوية إنه قال: (قلتُ لأبي جعفر الباقر (عليه السلام): قول الله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العالم) قال: تعني تأويل القرآن كله، إلا الله والراسخون في العلم ، فرسول الله أفضل الراسخين ، وقد علمه جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل وما كان الله ميزة عليه شيئاً لم يعلمه وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله (٣). وقد احتدم النزاع عبر قرون في تفسير الآية المباركة، وقد وقفت طائفة على لفظ الجلالة، وهذا الوقوف حرم (الراسخون في العلم) من تأويل المتشابه، أما الطائفة الأخرى فقد عطفت (الراسخون في العالم) على لفظ الجلالة و أشركتهم في العلم بها، وعليه لم تنزل هذه المسألة مورد البحث و النقاش إلى عصرنا هذا، وان حل هذه المشكلة تكمن في تفسير المتشابه، فمن فسر المحكم بكل ما أمكن تحصيل العلم به بدليل جلي أو خفي، والمتشابه لاسبيل الى العلم

(١) الكافي: ١/٢١٣

(٢) المصدر نفسه : ١/٢١٣

(٣) ينظر المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ١٧.



به كوقت قيام الساعة وحقيقة الجن والملك وسائر الأمور غير المحسوسة ، فلا محيص له عن الوقف ، لأنه سبحانه استأثر بها على غيره.^(١)

والرسوخ في العالم هو الغاية المبتغاة في ذلك العلم وهو في الوقت نفسه يعد وسيلة لنيل ذلك العلم ، بوصف الرسوخ سبب من أسباب التقوى والتي تعد وسيلة من وسائل العلم، والمتقون هم الراسخون الموعودون بالعلم من الله سبحانه هذا العلم من عند الله سبحانه ويحكمته أو هو مكتسب إذا كان بحكمة الله عز وجل نتيجة صفة التقوى التي يمتلكونها بينهم وبين الله سبحانه ، وإذا كانت مكتسبة فبسبب التواضع بينهم وبين الخلق ، لذا فالراسخ في العلم هو الثابت على الإيمان بالله سبحانه العارف بتأويل آياته وهم النبي وآل بيته الاطهار.

(١) ينظر المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ١٧ .



المطلب السادس

التفسير بأقوال الصحابة والتابعين

وهم جماعة من صحابة رسول الله (ﷺ) الذين وقفوا على تفسير القرآن الكريم المراد بهم غير أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) فإن له وللائمة من ولده مكانة خاصة ذكرناه سابقاً ، هؤلاء الصحابة الذين سمعوا عن رسول الله (ﷺ) وأخذوا أحاديثه وتفسير الكتاب منه (ﷺ)، كأبن عباس و عبد الله بن عمر وأبي بن كعب وغيرهم. فقد اعتنوا بتفسير القرآن الكريم وكان تفسيرهم وبحثهم لا يتجاوز بيان أسباب النزول والناسخ والمنسوخ... و الاستدلال على أمر معين بآية على آية أخرى أو ما كان تفسيراً بالروايات المأثورة عن النبي (ﷺ) وذكرهم لتفسير القصص والمبدأ و المعاد وغيرها.

فما المقصود بالصحابي، وما المقصود بالتابعي؟

الصاحب بحسب معاجم اللغة اسم مشتق من كلمة (صحب) فهو صاحب والجمع اصحاب ، والتابع من يتبع فلاناً في أمرٍ ما أو أكثر يأخذ بما جاء به وما تكلم عنه^(١)

والصحابي هو من لقي رسول الله (ﷺ) آمن به وبما أنزل عليه ومات على الإسلام. ومعروف عنه طول مصاحبته ومجالسته للرسول (ﷺ) سواء شاهده أم لم

(١) ينظر: لسان العرب ، مادتا (صحب) و (تبع).



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

يشاهده بسبب عجزه كالعمى ونحوه، سواء غزا معه أم لم يغزو، وسواء روى عنه الأحاديث أم لم يروها...^(١)

وتفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة هو مصدر آخر من مصادر تفسير القرآن الكريم وذلك لأن الصحابة شاهدوا التنزيل وأخذوا القرآن الكريم غصاً طرياً من الرسول (ﷺ) لذلك كانوا هم أعلم الناس بعد رسول الله (ﷺ) بألفاظه ومعانيه.^(٢) والمقصود بأن تفسير الصحابة يُعد مصدر من مصادر التفسير عن طريق الرجوع لأقوالهم وآثارهم عند بيان معاني القرآن الكريم، والسبب في ذلك لأن الصحابة شاهدوا التنزيل وأخذوا القرآن الكريم غصاً طرياً من رسول الله (ﷺ) وكانوا أعلم الناس بألفاظه ومعانيه، ومن أهم أسباب رجوع المفسر لأقوال الصحابة أنهم شهدوا التنزيل وعرفوا أحواله، وهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن الكريم وأنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود مع وجود صفة سلامة المقصد عندهم مع حسن الفهم.^(٣)

وكان الصحابة يرجعون إلى مصادر معينة للإفادة منها حال تفسيرهم للقرآن الكريم وكانوا في هذه المصادر أدق من غيرهم في الإفادة منها.

(١) ينظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن. الثعالبي: ١٧٩

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٠

(٣) ينظر فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان الطيار، ٥١.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

ومن أشهر هؤلاء الصحابة: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وتفسير هؤلاء الصحابة مهم لأنهم صحبوا رسول الله (ﷺ) وتعلموا منه الكثير ومن أمثلة تفسيرهم للقرآن الكريم، نذكر:

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥.

روي عن ابن عباس وغيره معناه (ارتفع) ثم نقل ابن عباس قول أم سلمة وربيعة، ومالك وغيرهم بـ (الاستواء غير معقول والافراد به إيماء والجحد به كفر) (١)

قال سبحانه: ﴿أَوْ لَمْ يَسْتَمِ الْنِّسَاءُ﴾ النساء: ٤٣.

فقد نقل ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس إنه قال: (الجماع) وقال ابن عباس أيضاً (اللمس والمس والمباشرة) الجماع، ولكن الله يكتفي بما يشاء، ثم قال: وقد صحح من غير وجه عن عبد الله بن عباس انه قال ذلك ثم ذكر قول ابن مسقول قوله: اللمس: مادون الجماع. (٢)

ومن أهم مصادر التفسير عند الصحابة هي:

١- القرآن الكريم: فسر رسول الله (ﷺ) القرآن بالقرآن وقد سلك الكثير منهم هذا المنهج ففسروا به، وكان ذلك منهم اجتهاداً، ومن أمثلة ذلك. نذكر تفسير قوله تعالى: (والسقف المرفوع) الطور: ٥١، قال خالد بن عرعر سمعت علياً

(١) تفسير البغوي: ٤٠٦/١٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤٠٦/١٣.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

يقول السقف: المرفوع هو السماء^(١) ، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴾ (٣٢) الأنبياء: ٣٢

وقد فسر الصحابة قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ التكوير: ٧.

فقالوا هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة، وقال تعالى: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ الصافات: ٢٢ ، قالوا (ضربائهم).^(٢)

السنة النبوية: أفاد الصحابة من السنة النبوية في تفسيرهم للقرآن الكريم وهم في بعض الأحيان يروون ما وصلهم أو سمعوه من تفسير النبي (ﷺ) للقرآن الكريم ، وفي أحيانٍ أُخرى يذكرونه دون إسنادٍ إلى الرسول (ﷺ) وهذا يدل على اعتمادهم السنة النبوية .

ومن أمثلة ذلك تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ ق: ٣٠ ، قال فيه: فوضع قدمه فقالت حين وضع قدمه فيها موقد، فأبى ابن عباس قسم هذه الآية بما جاء عن النبي الأكرم (ﷺ) وان لم يسنده مباشرة إليه، وهذا يأتي غالباً فيما لا مجال للعقل فيه.^(٣)

(١) البغوي: ٤٠٦ / ١٣ .

(٢) ينظر : فتح الباري ، ابن بحر العسقلاني : ٤١٨ .

(٣) المصدر نفسه: ٤١٨ .



٣ - اللغة العربية: نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وهي لغة الصحابة الأم لذا فهم قد فهموا الخطاب الرباني القرآني أحسن الفهم لأنه نزل بلغتهم، ففسروا القرآن الكريم بلغتهم. (١)

٤ - الفهم والاجتهاد: أعمل الصحابة عقولهم في فهم القرآن الكريم واستنبطوا منه وكان اجتهادهم مبنياً على علم ولذا حلوا ما أستشكل على غيرهم فهمه ، وأوضحوا لهم هذا المشكل، مثال ذلك ما ذكر عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا* رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا* وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا* وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ النازعات: ٢٧ ، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض. (٢)

من بعد ذلك جرى الحال بين المفسرين من التابعين كمجاهد وقتادة وابن أبي ليلى و الشعبي والسدي وغيرهم في القرنين الأولين من الهجرة، فإنهم لم يزيدوا على طريقة سلفهم من مفسري الصحابة شيئاً غير أنهم زادوا في التفسير بالروايات فأوردوها في القصص والمعارف الراجعة إلى الخلق كابتداء السموات وتكوين الأرض والبحار وعثرات الأنبياء، وتحريف الكتاب وأشياء أخرى من هذا النوع، وقد كان البعض من ذلك يوجد في المأثور عن الصحابة في التفسير، (٣) أمام المحدثين فقد اقتصروا على التفسير بالرواية عن السلف من الصحابة والتابعين فساروا وجدوا في السير حيث ما يسير بهم المأثور ووقفوا

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير: ٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٣١



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

فيما لم يؤثر فيه شيء ولم يظهر المعنى ظهوراً لا يحتاج الى البحث ، آخذاً بقوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران: ٧. هذا الأمر فيه نقاش:

الله سبحانه يبطل حجة العقل في كتابه المبارك وكيف يفعل ذلك وحجية القرآن الكريم إنما تُثبت بالعقل، ولم يجعل حجية في أقوال الصحابة والتابعين وأنصارهم على هوى اختلافهم الفاحش، ولم يندب إلا الى التدبر في آياته، فرفع به أي اختلاف يتراءى منها، وجعله هدى ونوراً وتبياناً لكل شيء فما بال النور يستنير بنور غيره، أو ما شأن الهدى يهتدي بهداية سواه وكيف يتبين ما هو تبيان كل شيء دون نفسه؟

أما بالنسبة للمتكلمين والمنصوفة نقول: ^(١) فقد رعتهم الأقوال والمذاهب على اختلافها أن يسيروا في التفسير ما يوافق مذاهبهم وإتجاهاتهم الكلامية بأخذ ما وافق وتأويل ما خالف على حسب ما يجوزّه ويرتضيه قول المذهب ، والفلاسفة عرضوا كما للمتكلمين من المفسرين من الوقوع في ورطة التطبيق وتأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسكرات في فنون الفلسفة بالمعنى الأعم أعني الرياضيات والتطبيقات والإلهيات والحكمة العملية، فقد تأولوا الآيات الواردة في حقائق ما وراء الطبيعة وآيات الخلقة وحدثت السماوات والأرض وآيات البرزخ وآيات المعاد، حتى أنهم ارتكبوا التأويل في الآيات التي لا تلائم الفرضيات والأصول الموضوعية التي نجدها في العالم الطبيعي.

(١) ينظر: البحث كاملاً في كتابي التفسير والمفسرون: ١٠ / ٣٦ - ٤٠ ، وفصول في أصول التفسير : ٥٣ - ٥٤.



أما المتصوفة فبسبب اشتغالهم بالسير في باطن الخلقة واعتنائهم بشأن الآيات الأنفسية دون عالم الظاهر وآياته الآفاقية، اقتصرُوا في بحثهم على التأويل ورفضوا التنزيل، فاستلزم ذلك اجترأ الناس على التأويل وتلفيق جمل شعرية والاستدلال من كل شيء على كل شيء أن الأمر آل إلى تفسير الآيات بحساب الجمل ورد الكلمات إلى الزبر والبيانات والأحرف النورانية والظلمانية إلى غير ذلك. لذا فمن الواضح أن القرآن الكريم لم ينزل هدى للمتصوفة خاصة ولا أن المخاطبين به هم أصحاب علم الأعداد والأوقاف والحروف، ولا أن معارفه مبنية على أساس حساب الجمل الذي وضعه أهل التنجيم بعد نقل علم النجوم من اليونانية وغيرها إلى العربية. نعم قد وردت روايات عن النبي (ﷺ) وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) كقولهم: (إن للقرآن ظهراً وبطناً إلى سبعة أبطن أم إلى سبعين بطناً) لكنهم اعتبروا الظهر كما اعتبروا البطن واعتنوا بأمر التنزيل كما اعتنوا بشأن التأويل والذي يقضي به في ذلك الكتاب والسنة وإن القول ان تحت ظواهر الشريعة حقائق هي باطنها حق، والقول بأن للانسان طريقاً إلى نيلها حق و لكن الطريق إنما هو استعمال الظواهر الدينية على ما ينبغي من الاستعمال لا غير، وحاشا أن يكون هناك بطن لا يهدي إليه ظاهر والظاهر عنوان الباطن وطريقه.



الصحابة درجات عند الله سبحانه:

قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ص: ١٩١

لاشك أن الصحابة كانوا هم مراجع الأمة بعد الرسول (ﷺ) إذ كانوا حاملتي لوائه. ومصادر شريعته إلى الملأ، ليس يعدل عنهم إلى الأبد، نعم كانوا على درجات، من العلم والفضيلة حسبما أوتوا من فهم، وذكاء وسائر المواهب والاستعدادات، قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ الرعد ١٧. وقوله سبحانه في موضع آخر: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ البقرة: ٢٦٩ (١)

قال مسروق بن الأجدع الهمداني وهو من التابعين: (جالس أصحاب النبي محمد ﷺ) فوجدتم كالإخاذ - يعني الغدير من الماء - فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم (٢).

ويعني مسروق بـ (أصدرهم) الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم قال في حقه (عليه السلام): انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعالم بالعراق عبد الله بن مسعود، وعالم بالشام أبي الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة وهو لم يسألهم (٣).

(١) التفسير والمفسرون: ٣٦/١٠ وما بعدها.

(٢) سيرة أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي: ٦٤/٤

(٣) ينضر: أصول التفسير والتأويل: ١٥٨



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وقال الاستاذ محمد حسين الذهبي: (الحق أن الصحابة كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن الكريم وبيان معانيه المرادة منه وذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم ، فقد كانوا يتفاوتون في العالم بلغتهم فمنهم الواسع الاطلاع (كعبد الله بن عباس) ومنهم من لازم النبي ﷺ) فعرف من أسباب النزول ما لم يعرفه غيره (كعلي بن أبي طالب) (١)

الواضح في الآراء السابقة أجمع أن المشهور بالتفسير من الصحابة أربعة لا خامس لهم وهم: علي بن ابي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين (عليه السلام) وهو على رأسهم وأعلمهم ، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وعبد الله بن عباس كان أصغرهم وأوسع باعاً في نشر التفسير، وهؤلاء هم المخصوصون بكثرة الرواية في التفسير.

قال الإمام بدر الدين الزركشي في البرهان: (صدر المفسرين من الصحابة علي بن ابي طالب) (عليه السلام) ثم ابن عباس والمحمفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي (عليه السلام) إلا أن ابن عباس كان قد أخذ عن الامام علي أمير المؤمنين (عليه السلام). (٢)

كان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بحراً من العلم، فضلاً عن كونه قوي الحجة سليم الاستنباط ، أوتي الحظ الأوفر من الفصاحة والبلاغة والخطابة و كان صاحب العقل الناضج والبصيرة النفاذة إلى بواطن الأمور. (٣)

(١) التفسير و المفسرون: ٣٨/١٠

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن

(٣) ينظر: التفسير و المفسرون: ٣٩/ ١٠



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وأما وصفه (ﷺ) لنفسه وعلمه فيقول في ذلك: (سلوني عن كتاب الله فانه ليس آية إلا وقد عرفت بليل أم بنهار، في سهل، أو جبل ، والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت، وان ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤالاً).^(١)

فمعنى قوله (ﷺ) في الحديث السابق الذكر إنه عارف بحقائق التنزيل ومكانه وزمنه ، أما معنى (قلباً عقولاً ولساناً سؤالاً) فقد كان عليه السلام كثيراً ما يسأل رسول الله (ﷺ) عن كل صغيرة وكبيرة، في القرآن الكريم لفهم معانيه وغاياته ومراد الله سبحانه فيما نزل والدليل على ذلك قوله عليهم الصلاة والسلام (كنت أول داخل على النبي (ﷺ) ، وآخر خارج من عنده ، وكنت اذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت ، وكنت أدخل على رسول الله في كل يوم دخلة ، وفي كل ليلة دخلة وربما كان ذلك في بيتي يأتيني رسول الله أكثر من ذلك في منزلي، فإذا دخلتُ عليه في بعض منازل له أخلى لي، وأقام نساءه، فلم يبق عنده غيري، وإذا أتاني لم يقم فاطمة ولا أحداً من ولدي، فإذا سألته أجنبي وإذا سكت ونفدت مسألتي ابتدأني ، فما نزلت على رسول الله (ﷺ) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملأها على وكتبها بخطي ، فدعا الله أن يفهمني ويعطيني فما نزلت آية من كتاب الله إلا حفظتها وعلمني تأويلها).^(٢)

كل ما ورد في الروايات السابقة وغيرها الكثير دلالة قاطعة على منزلة الامام

أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ﷺ) عند رسول الله (ﷺ) ومن ثم معرفته

(١) بحار الأنوار: ١٩٠/٤٠

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٠/٤٠



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وعلمه بعلوم القرآن الكريم وآياته وسوره المباركة من قراءة وتفسير وسبب نزول و ناسخ و منسوخ... وغيرها ليس بوصفه أحد الصحابة بل هو الأخ وابن العم والصاحب الأقرب إلى قلب نبي الرحمة، لذا فياجماع كل الصحابة والتابعين أخذوا من علمه (عليه السلام)



المبحث الثالث

الخطابات القرآنية وأثرها في التفسير

المطلب الأول / مصطلح (الخطاب) بين اللغة والاصطلاح

لارتباط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي ذكرنا بعضاً من تعريفات الخطاب في اللغة (توجه الكلام نحو الغير للإفهام)^(١) ومنه تشتق المخاطبة

(وهي الكلام بين متكلم وسماع)^(٢). ويُقال إن الخطاب هو مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان بوصفه مشتق من الفعل الثلاثي (خطب) أي تكلم وتحدث للملأ (أجمع من الناس على أمرٍ ما) أو ألقى كلاماً.^(٣)

والخطاب - بكسر الخاء - في اصطلاح العلماء هو أقسام الكلام، وقال الكفوي (هو الكلام الذي يقصد به الإفهام أو هو اللفظ المتواضع عليه والمقصود به إفهام من هو مهياً لفهمه)^(٤).

(١) مجمع البحرين الشيخ فخر الدين الطريحي، مادة (خطب)

(٢) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، مادة (خطب)

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (خطب)

(٤) الكليات، أبو البقاء الكوفي، تحقق: د. عدنان درويش، محمد المصري ٢٨٥/٢ - ٢٨٦.



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وورد عند بعضهم بأنه مجموع خصوصي لتعابير تتحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الايديولوجي (١)

والخطاب هو الكلام الموجه من المتكلم إلى المخاطب ويراد به الإفهام لأغراض معينة جاء بها ذلك الكلام.

ويشير مصطلح (الخطاب) في معناه الأساس على كل كلام تجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوباً أو ملفوظاً غير أن الاستعمال الاصطلاحي في تجاوز ذلك إلى مدلولٍ آخر أكثر تحديداً يتصل بما لاحظته الفيلسوف (هـ. ب. غرايس) عام ١٩٧٥م. (٢)

من ان للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة. (٣)

مثال ذلك أن يقول شخص لآخر (الا تزورني؟) فلا يفهم السامع من الجملة انها سؤال ، على الرغم من أن ذلك هو شكلها النحوي، وإنما يفهم أنها دعوة للزيارة.

وقد اتجهت البحوث لما يُعرف بتحليل الخطاب إلى استنباط القواعد التي تحكم مثل هذه الإستدلالات أو التوقعات الدلالية.

(١) ينظر:معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.سعيد علوش:٨٣.

(٢) ينظر: دليل النقد الادبي، د.ميجان الرويلي ،د.سعيد البازعي:١٥٥

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٥



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وللعلماء آراء في الخطاب من ناحية اللفظ و المعنى فجعلوها ثلاثة آراء: (١)

الأول / مارفل ثوب لفظ على جسد معناه وهذا هو الإشهاب

الثاني / ماثوب لفته كثوب المؤمن وهذا هو الإيجاز

الثالث / ما خيط ثوب لفظ على جسد معناه وهذا هو المساواة

وهناك أيضاً خطاب بأقوال إضطرارية وأخرى مشهورة ومن ثم من الممكن أن تكون مقبولة أو أقوال كاذبة مخيلة وأقوال كاذبة ، ولكل لون فن، فالأول هو البرهان والثاني هو الجدل ومن ثم الثالث وهو الخطابة والرابع من الشعر ثم الخامس والأخير هو المغالطة. (٢)

وللخطاب المباشر صفات ومزايا عدة من ناحية اللفظ والمعنى منها: (٣)

١ - خطاب يمتلك إحالات بسيطة على الشيء.

٢ - يُعارض الخطاب المباشر الخطاب الضمني وفي ضوء هذا التعارض يمكن أن يتحدد تعريفه الأساس.

(١) أحكام صنعة الكلام، محمد عبد الغفور الكلاعي الأندلسي، تحق: د. محمد رضوان الداية: ٨٩

(٢) ينظر: الروض المريع في صناعة البديع، ابن البناء المراكشي، تحق: رضوان بن شقرون .٨١:

(٣) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : ٨٣



٣ - الخطاب المباشر يمتاز بالحوارية حيث تميز بالاستغناء عن تقنيات مجازية كثيرة

أما أجزاء الخطاب فهي:

١ - الألفاظ المفردة التي تتألف منها الجمل المفيدة.

٢ - أجزاء الخطاب في النحو الكلاسيكي هي: (اسم - أداة ، صفة ، ضمير، فعل ، ظرف ، حرف جر ، عطف، استفهام ، صيغ التعجب ..)

٣ - وظيفة الكلمة وخصوصيتها التركيبية وهو ما يسمى ب (أنماط الكلمة) .

ولللخطاب أربعة اركان وهي:

الأول: المُخاطَب بضم الميم وكسر الطاء (المتكلم)

الثاني: المُخاطَب بضم الميم وفتح الطاء (المتلقي)

الثالث: وسائل الخطاب (أدواته)

الرابع: المضمون وهو الغرض الذي جاء من أجله الخطاب

فهل للخطابات القرآنية مكانة في تفسير القرآن الكريم وفهم مضمونه؟

أجاب العلامة السيوطي عن هذا السؤال بقوله:

(تأمل في خطاب القرآن تجد ملكاً له المُلْك كُلُّهُ، وله الحمد كله ، أزمة الأمور كلها بيده، و مصدرها منه، و موردها إليه ، مستويّاً على العرش لا تخفى عليه



خافية من أقطار مملكته ، عالماً بما في نفوس عبيده ، مطلقاً على اسرارهم
وعلاانيتهم) (١).

وقال في طريقة عتاب الخطاب القرآني لأحبابه: (وتشهد في خطابه عتابه
لأحبابه ألطف عتاب، فإذا تشهد القلوب من القرآن الكريم ملكاً عظيماً رحيماً
جميلاً هذا شأنه، فكيف لا تحبه وتنافس في القرب منه، وتنفق أنفاسها في التودد
إليه ويكون أحب إليها من كل ما سواه) (٢).

نرى في هذا الوصف دقة التعبير الموضح لجمالية الخطاب القرآني بعتاب
الله سبحانه لنبي البشرية بوصفه الرحيم العطوف الجميل.. الداعي إلى اتباع
أوامره ونواهيه للعيش بسلام في الدنيا والفوز بجنت الخلد في الآخرة والواجب
علينا مقابلته بالحب الأكبر تاركين من سواه للفوز برضاه سبحانه.

(١) الإتيان في علوم القرآن : ٤٥/٢

(٢) المصدر نفسه



المطلب الثاني

أقسام الخطاب وأنواعه

ذكر صاحب كتاب (البرهان في علوم القرآن) شرحاً وافياً مفصلاً لأقسام الخطاب وأنواعه المختلفة مع ذكره شواهد قرآنية توضح ما ذهب إليه^(١).

١ - خطاب العام المراد به العموم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ الروم: ٤٠

٢ - خطاب العام والمراد به الخصوص، تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ النساء: ١

٣ - خطاب الخاص المراد به الخصوص، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧

٤ - خطاب الخاص المراد به العموم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ الطلاق: ١

٥ - خطاب الجنس قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء: ١

المشهور أن هذا النوع من الخطاب موجه بالأعم الأغلب الى اهل مكة إلا أننا نلاحظ وجود سورتين في القرآن الكريم من السور المدنية تبدأ بـ (يا أيها الناس)

(١) ينظر: البرهان في تفسير القرآن ٢/٢١٧-٢٤٠



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وهما سورة النساء وسورة الحج ف (يا أيها الناس) خطاب للناس جميعاً بلا استثناء وهو دليل واضح على عدم التفريق بينهم من ناحية العنصر، واللغة، والزمان ، و الأماكن الجغرافية، والطوائف والقبائل ، فهو موجه للجميع: المؤمن ، والكافر ، الكبير والصغير ، الشيخ والشاب، والرجل والمرأة على امتداد العصور^(١)

والآياتان تدعوان للتقوى: (اتقوا ربكم) باعتبارها أساساً لأي برنامج إصلاحي للمجتمع ، فأداء الحقوق والتقسيم العادل للثروة ، وحماية الأيتام، ورعاية الحقوق العائلية وما شابه ذلك كلها من الأمور التي لا تتحقق إلا بالتقوى ، لذا دعا الله سبحانه إلى الالتزام بها.^(٢)

٦ - خطاب النوع ، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ البقرة: ٤٠

٧ - خطاب الصنف: قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ... ﴾ البقرة: ١٨٣ .

ومن قبيل هذا خطاب الأقوام في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ الأعراف: ٥٩ .

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠ / ١٩١

(٢) المصدر نفسه: ٥٥/٣



٨ - الخطاب إلى شخص ما المسمى (خطاب العين) : قال تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ
أَعْرَضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ هود: ٧٦. ومن قبيل هذا الخطاب الموجه
إلى النبي محمد (ﷺ) بقوله سبحانه:-

(يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ)، (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) ، (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)
وغيرها من الخطابات الأخرى.

٩ - خطابا الصنف كقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣. ليس المراد من القول
المبارك الإنسان بما هو إنسان ولا نوعاً منه ولا شخصاً معيناً، بل المراد صنف
من الانسان وهو ما اتصف بصفة (الإيمان) .

١٠ - خطاب المدح: كقوله سبحانه يمدح الذين آمنوا بطريقة النداء: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا﴾ البقرة: ١٨٢

١١ - خطاب الذم: وهو عكس الخطاب السابق يذم الكفار بطريقة النداء كقوله
سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ الكافرون: ١ .

١٢ - خطاب الكرامة: كالخطاب الموجه إلى آدم يراد به الكرامة له ولزوجه قال
تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ البقرة: ٣٥

١٣ - خطاب الإهانة: عكس الخطاب السابق ، مثاله قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَاعْرِضْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ مِنْهَا﴾ الحجر: ٣٤-٣٥:

١٤ - خطاب التهكم، قال تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ
بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ الدخان: ٤٩. الله سبحانه استخف وسخر بطريقة التهكم.



١٥ - خطاب التلوين ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ الطلاق: ١

١٦ - خطاب التنفير: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات: ١٢، فحالة التنفير والاشمزاز دقيقة في وصفه سبحانه لمن يغتاب الناس فجعله الله سبحانه مكروهاً كأنه أكل لحم الميت.

١٧ - خطاب التهيج: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٢٧٨ ، فإن الله سبحانه وصفهم بالايمان عند الخطاب. ثم قال إن كنتم مؤمنين فقد حثهم على ترك الربا و العمل بتقوى الله.. (١)

١٨ - خطاب التشجيع: كقوله تعالى في هذا المورد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ : الانفال: ٦

١٩ - خطاب التجنب: قال جل شانه: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يوسف: ٥.

٢٠ - خطاب التعجيز: قال سبحانه في هذا النوع من الخطاب يتحدى به الكفار بأن يأتوا بمثل آيات القرآن الكريم ، فقال جل وعلا: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٢٤٧



نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿البقرة: ٢٣﴾

٢١ - هذا النوع وهو الأخير فيما ذكره العلماء هو خطاب التشريف ، فقال سبحانه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الاخلاص: ١ . وكذا كل آية مباركة فيها كلمة (قل) وهو من باب التشريف

وهناك خطابات في القرآن الكريم تكون بلفظ مفرد ويُرَاد بها الجميع التي من الممكن تقسيمها إلى ما يلي: (١)

١ - خطاب الجمع بلفظ الواحد: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ الإنشقاق: ٦ ، فإن قوله سبحانه (إنك) دلالة على أن المراد بالإنسان فرد واحد لكن يبدو من القرائن أن المراد منه الجمع كقوله سبحانه ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ العصر: ٢ - ٣

ولا يدل الاستثناء هنا - وفي مورد خاص - على إرادة الجمع في الموارد كلها بل لا بد من فقدان القرينة على إرادة الخاص في الأقل.

٢ - خطاب الواحد بلفظ الجمع، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ المؤمنون: ٥١ ، إن هذا الخطاب للنبي وحده إذ لا نبي معه ولا بعده.

٣ - خطاب الإثنين بلفظ الواحد. كقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ طه: ٤٩ - ٥٠

(١) ينظر كل من الإتيان في علوم القرآن: ٣ / ٤٥ البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٢٤١.



٤ - خطاب الجمع بعد الواحد المفرد ، قال سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
يونس: ٨٧ ، فثنى أولاً ثم جمع ثم أفرد.

٥ - خطاب المُعَيَّن ويراد به غيره، مثال ذلك في قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ الأحزاب: ٢ الخطاب للنبي والمراد به (المؤمنون) لأن النبي تقياً ولا يتسم بسمة الطاعة للكافرين والمنافقين بل حاشا شخصه الكريم من ذلك..

هذه التقسيمات الأساس من ناحية الإفراد والجمع ، فعليه يمكن القول إن الخطاب القرآني الكريم ثلاثة أقسام أساسية: قسم لا يصح ولا يكون إلا للنبي. (ﷺ) وقسم لا يصح ولا يكون إلا لغيره ، وقسم ثالث لهما معاً.



المطلب الثالث

مكانة الخطابات القرآنية

إن الإهتمام بالخطاب القرآني ومكانته له من الأهمية الموجبة لمعرفة الله سبحانه فنرى العلامة السيوطي ذكر هذا الأمر في دعوته للتأمل في الخطابات القرآنية حيث ذكر ذلك بقوله: (تأمل في خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله، وله الحمد كله، أزيمة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، و موردها إليه ، مستويّاً على العرش لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته عالماً بما في نفوس عبيده ، مطلعاً على أسرارهم وعلانيتهم... وتشهد من خطابه عتابه لأحبابه ألطف عتاب. فإذا تشهد القلوب من القرآن ملكاً عظيماً جواداً رحيماً جميلاً هذا شأنه، فكيف لا تحبه وتنافس في القرب منه وتنفق أنفاسها في التودد إليه، ويكون أحب إليها من كل ما سواه).^(١)

والواضح من رأي العلامة السيوطي الآنف الذكر إنه حصر الخطابات القرآنية بمعرفة الله سبحانه بوصفه (الملك، الجواد، الرؤوف، العطوف، الجميل...) إلا أن الأهم معرفة مراد الله سبحانه عن طريق خطابه بوساطة خطابه المستعملة في النص المبارك من (مُخَاطَب، ومُخَاطَب، وخطاب) ومن ثم معرفة ما أمر به الله سبحانه وما نهى عنه عقيب ذلك الخطاب.

(١) الإتيقان في علوم القرآن: ٢/ ٤٥



المطلب الرابع

جمالية الخطاب القرآني

الخطاب القرآني فيوضات ربانية ولمع قدسية استشرفت الآفاق في اللجج العميقة في الذات الإنسانية التي ألهمها خالقها فجورها وتقواها. فبكلمة (كن فيكون) كانت كينونة الكون والطبيعة والإنسان، وسميت آياته بالمعجزات وانفلق كل شيء من حبة إلى كوكب ليصير وجوداً وفتق للكائنات لغات، تحاور بها وبواسطته باسمه الأعز الأَعْظَم وكانت لغة الحيوانات أصوات وإشارات، فالحيوانات تخرج أصواتاً متباينة في ارتفاعها وانخفاضها للتعبير عن أحوالها النفسية في الهول أو الفرح.^(١)

فبالحروف التي تشكل الكلمات، وبالكلمات التي تشكل التراكيب حاور الإنسان هذا العالم وتفلسف في حركة التاريخ فأدهشه خلق الله في السموات والأرض، فحاور الوجود في الفلسفة والعلم وفي اللغة تحقق له ما أراد فإنشغل بأحواله: أشجانه وأفراحه، انتصاراته وانكساراته ليصورها شعراً أو نثراً، وكانت الأمة العربية التي أنزل فيها القرآن أمة شاعرة متبصرة بأسرار اللغة فأبدعت اسمى صورة للغة البشرية الإلهية، بيد أن أساطين اللغة الكونية من الشعراء وحكام بلغاء وشعراء في قريش وفي غيرها من المفوّهين ضلوا باهتين حين واجهوا النص الإلهي في الخطاب القرآني ذلك الخطاب الرقيق العميق مع وجوده في لغتهم،

(١) ينظر: جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصرة، د.سلام كاظم الأوسي: ٧ (المقدمة)



الفصل الأول: النص القرآني وعلاقته بالتفسير والتأويل

وتأتيه في أساليبهم ولكنهم وجدوه يجري على غير نظمهم ويتسلل في غير سبلهم في الشعر والنثر.

وإنه شاملٌ جامعٌ مانعٌ، ليس فيه تفاوتٌ ولا مزاج، إنه ليس من صنع بشر، ولو كان من صنعهم لتفاوت، واختلف باختلاف أمزجة البشرية فما عارضوا النص القرآني وإن تحداهم من أن يأتوا بمثله ولو في آيات متفرقات

الفصل الثاني

النص القرآني وعلوم القرآن الكريم



المبحث الأول

علوم القرآن الكريم وأهميتها في التفسير

المطلب الأول: الدعوة القرآنية للعلم والمعرفة :

نزل القرآن الكريم من إله الرحمة على نبي الرحمة ونزلت مع هذه الرحمة العلم والحضارة والمعرفة، فاصبحت الدنيا جديدة بتعاليمها وعلومها وخرجت من الظلم إلى النور الساطع الذي نور حياة الأمة العربية بنود الإسلام وولى الظلام وانتشر الدين بقرآنه العظيم ، داخل وخارج الجزيرة العربية بمدّة قصيرةٍ لدخول دين الرحمة في أعماق البشرية بما حمله من نورٍ ساطع و كتابٍ مبين فأحبه الناس و آمنوا به وتمسكوا بتعاليمه التي غيرت حياة أمة كاملة بإخراجهم من الظلمات إلى النور.

لذا فمع انتشار الدين الإسلامي انتشرت العلوم بكل أنواعها وانتشرت المعرفة والدعوة للثقافة بكل جوانبها (علمية، فكرية، معرفية، أخلاقية) ومع إهتمام القرآن الكريم بالعلم كان للآخر الحظ الأوفر بالدراسات والأبحاث الداعية إلى الإهتمام بعلوم اللغة العربية التي هي علوم القرآن الكريم في الأساس، مع وجود الآيات المباركات الداعية للعلم والمعرفة والعقل والتفكير السليم الموافق مع ما أراده الله سبحانه في كتابه الكريم.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

فمع تأكيد القرآن الكريم للعلم بدأ تأكيده واضحاً للتفكير بالعقل السليم الصحيح وترك ما كان عليه الآباء الأولين ونرى ذلك مؤكداً في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة : ١٧٠

هذا التأكيد واضح على ترك الجاهلية الأولى والتمسك بالعلوم والمعارف الإسلامية النابعة من روح الآيات المباركات المطاوعة للفهم والتفهم بتوظيف حواس الإنسان المختلفة الأمر لها العقل. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النحل: ٧٨ ، مع التأكيد على استعمال هذه الحواس الاستعمال الصحيح الذي أراده الله سبحانه وأكد عليه القرآن الكريم. لأن هذه الحواس محاسبة أمام الله سبحانه إذا لم تتحمل المسؤولية الكاملة التي حملها الله سبحانه لما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء: ٣٦ ، أي لا تقل سمعت ولم تسمع، ولا رأيت ولم تر ، ولا علمت ولم تعلم ، وبمعنى لا تقل ما لم تعلم لأن كل حواسك مسؤولة عن ذلك.

ومن الآيات الأخرى الدالة على العلم والمعرفة المنزلة على نبي الرحمة

قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة ٢: فليل في تفسير القول المبارك أن الأميون هم العرب كلهم من يعرف الكتابة منهم ومن لم يعرف ، وقيل أنهم الذين لم يعرفوا الكتابة ، وراي ثالث قالوا فيه



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

الأمي هو الذي يقرأ ولا يكتب، فالله سبحانه بعث النبي ليطهركم من دنس الكفر و الذنوب ويجعلكم أذكيا القلوب بالإيمان والطاعة.

وفي موضع آخر من القرآن الكريم قال سبحانه: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ الكهف: ٦٦ .

ولو تتبعنا الآيات المباركات الداعية للعلم والتعلم لخدمة القرآن الكريم أولاً والأمة الإسلامية ثانياً فنراه سبحانه يبدأ من العلم وما يُسَطَّر من علم ومعرفة وينتهي بعدم استواء الذي يعلم من الذي لا يعلم ، فقال سبحانه في وصف القلم والقسم به ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ إقرأ: ١ . فالقلم هو الأداة التي كتب الله سبحانه بها الذكر. ويقال هو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض، والقلم هو أول ما خلق الله سبحانه وأمر الملائكة بأن تكتب أعمال بني آدم.

بعدها أكد سبحانه على القراءة بمخاطبته الرسول (ﷺ) بآية (اقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) القلم: ١ ، ثم دعا سبحانه إلى العلم والتعلم بقوله عز وجل ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤ معناها سل يا محمد الله زيادة العلم والمعرفة ، مع وجود التعبير القرآني الرائع في رفع مكانة العلم والعلماء بقوله جل وعلا: ﴿ لِيَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ المجادلة: ١١ مع الذكر الصريح منه سبحانه بعدم تساوي العالم والجاهل ولكل منهما قدره عند الله سبحانه بأنه يرفع العالم ويزيد من شأنه ومكانته في الدنيا والآخرة، قال سبحانه: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) الزمر: ٩ .



المطلب الثاني

القرآن الكريم نزل بلغة العرب (بقلمها ومدادها)

مما لا ريب فيه ان الإسلام لم يخترع لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده ومعانيه ، بل طرح ما أراد للناس بالطريقة المتداولة بينهم و المعروفة عندهم لغرض فهم المقاصد والأغراض باستعمال وسائله المعروفة من ألفاظ وعبارات وهذا ما أعدته الآيات المباركات بأن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣ وقوله جل وعلا في موقع آخر: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ الشعراء ١٩٣-١٩٥

بعدها جاءت الآيات المباركات الحاثثة على تدبر قراءة القرآن الكريم، فقال سبحانه في هذا المورد: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ محمد: ٢٤ وفي موضع آخر قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء: ٨٢ فالآيات الواردة فيها الحث على تدبر قراءة الكتاب الكريم والوقوف على معانيه وأحكامه وفهمها الفهم الصحيح.

و من الأوصاف المباركة التي ذكرها الله سبحانه في كتابه العزيز المرتبطة بالإيمان بحجية الظواهر نذكر بعضاً منها:-

قال سبحانه: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ ابراهيم: ١ الوصف هنا: إن القرآن الكريم هو



المخرج من ظلمة الإنسان إلى نوره، قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الزمر: ٢٧.

فالله سبحانه مثل للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجاً على كفرانهم وتنبهها لهم على وحدانية الله سبحانه.

والوصف الآخر ورد في قوله تعالى: ﴿فَأَنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدخان: ٥٨ ، فالقرآن الكريم مبشر نزل باللسان العربي، أي سهلنا القرآن الكريم بلسانك يا محمد، ولسانك ولغتك لسانهم ولغتهم لعلهم يتعظون ، فلماذا نزل القرآن الكريم باللسان العربي ولم ينزل بلسان أعجمي؟

ولماذا لم تكن لغة القرآن الكريم اللغة الفارسية أو الرومية مثلاً بل هي اللغة العربية حصراً؟

ان القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين لأن اللغة العربية هي اللغة الأم للنبي محمد (ﷺ) وهو آخر الأنبياء والرسل (نبي آخر الزمان) وأول بعثته كانت للعرب وقومه الذين يتكلمون لعربية، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إبراهيم: ٤

وإن لغة العرب هي أقدم وأعرق وأقوى وأوسع وأوضح... لغة على وجه الأرض، والقرآن الكريم يُفهم باللسان العربي المبين الناطق بها، والذي أسس مع آيات القرآن الكريم نغماً فريداً معجزاً خاصاً به وحده، مع تقديم اللغة العربية، الخدمة الأكبر للمفسر في فهم آيات القرآن الكريم ومعانيه وبقي القرآن الكريم



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

محافظاً على اللغة العربية كما هو محفوظ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ابراهيم: ٤.

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ولا تجوز قراءته بغيرها، وذهب معظم العلماء إلا أن القرآن الكريم ليس فيه ما هو خارج عن اللغة العربية، لأنه تحدى العرب بإسلوبه وكلماته وصياغته وبلاغته وفصاحته و لو اشتمل على غير لغة العرب لما تحقق ذلك الإعجاز الاسلوبي،^(١) وقال ابو عبيد القاسم بن سلام في كتابه، (فضائل القرآن) : (من زعم أن للقرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول) (٢)

والعرب الذين نزل القرآن الكريم بلغتهم كانت لهم مخالطة مع سائر البشرية ، لتجارتهم ورحلاتهم المستمرة، فعليه دخلت بعضاً من الكلمات الأعجمية - ليست عربية الأصل - في اللغة العربية واستعملها العرب وبعضها غيروا فيها حتى تبتعد عن الهجمة فاصبحت شأنها شأن المفردة العربية بوصفها عربية الإستعمال.

وقال أبو عبيد في موضع آخر: (والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فقربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ المعجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال إنها أعجمية فهو صادق).^(٣)

(١) ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم ، د. محمد فاروق النبهان : ٤٠ .

(٢) فضائل القرآن ابو عبيد القاسم بن سلام. موقع مكتبة العلوم الإسلامية.

(٣) المصدر نفسه



ونزل القرآن الكريم بلغة قريش وحكي عن أبي الأسود الرؤلي أنه نزل بلسان الكعبيين كعب بن لؤي جد قريش وكعب بن عمر جد خزاعة (١)

وقال ابو عبيد في كتابه فضائل القرآن: نزل بلغة الكعبيين كعب قريش وكعب خزاعة، قيل وكيف ذلك؟ قال: لأن الدار الواحدة، وفضلّ القراء لغة قريش على سائر لغات العرب لأنهم كانوا يسمعون كلام العرب فيختارون من كل لغة أحسنها فصفا كلامهم. (٢)

ولو تتبعنا أسباب نزول القرآن الكريم بلغة العرب لوجدنا الأسباب كثيرة مختصرها:

١ - إن القرآن الكريم نزل باللغة العربية لما للغة العربية من خصائص مختصرها وميزان لا تتواجد في لغة أخرى ، فاللغة العربية من أغنى اللغات كلها وأغربها نطقاً وأسهلها ، اسلوباً وأغرزها مادة ولها من عوامل النمو ودواعي البقاء والرقى ما قلما يتهيأ لغيرها ، وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع الدلالة و التعريف والاشتقاق ...

٢ - اللغة القرآنية وسيلة من وسائل التفاهم مع القوم الذين أرسل إليهم الرسول ﷺ وبدأت الدعوة الإسلامية في محيطهم قبل أن تبلغ لغيرهم ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم: ٤

(١) ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم : ٤١ .

(٢) ينظر : فضائل القرآن (موقع الكتروني)



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

٣ - إن القرآن الكريم نزل باللغة العربية لإثبات إعجاز القرآن الكريم ومن ثم اثبات صدق الرسالة المحمدية ، فقد بعث النبي محمد (ﷺ) في قومٍ فصحاء بلغاء يتبارى فصحاءهم في نثر الكلام ونظمه في مجامعهم وأسواقهم ، فجاء (ﷺ) بالقرآن الكريم آية قاطعة وحجة باهرة على ثبوته.

إن عملية انتعاش العلوم والمعارف في الكتاب المبين تحتاج إلى شيئين هما: (القلم والمداد) وهذا المعنى تنهض ببيانه الكتب الروائية للفريقين على نحو مشترك. فعن سفیان بن سعيد النوري عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (وأما نون فهو نهر في الجنة، قال عز وجل: إجمد فجمد فصار "مداد" ثم قال عز وجل للقلم: أكتب فسَطَّر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فالمراد مداد من نور و القلم قلم من نور واللوح لوح من نور).^(١) وفي رواية أخرى (عليه السلام) عنه قال: (ان الله خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد ، ثم قال لنهر في الجنة كن مداداً فجمد النهر وكان أشد بياضاً من البلح وأحلى من الشهد، ثم قال للقلم: أكتب، قال يارب ما أكتب ؟ قال أكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فكتب القلم في رق أشد بياضاً من الفضة وأصفى من الياقوت ثم طواه فجعله في ركن العرش، ثم ختم على فم القلم فلن ينطق ابداً)^(٢)

وفي نهج البلاغة ورد قول للإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) أكد فيه على العلم في خطابه كميل بن زياد النخعي، جاء فيه:

(الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، ياكميل: العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تنقصه النفقة. والعلم يزكو على الإنفاق ، وصنيع المال يزول بزواله.

(١) البرهان في علوم القرآن: ٨٤/٨

(٢) تفسير القمي، أبو الحسن القمي: ٣٨٠ / ٢



يا كميل معرفة العلم دين يُدان به ، به يكسب الإنسان لطاعة في حياته
وجميل الأحداث بعد وفاته ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل: هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر
:أعانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة (١)

(١) نهج البلاغة : ٤٩٦



المطلب الثالث

التعريف بعلوم القرآن الكريم.

القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ، ثم نقل من معناه اللغوي إلى معناه الإصطلاحي الدال على الكلام المعجز المنزل على النبي محمد (ﷺ) وهو اسم غير مشتق من شيء، وهو خاص بكلام الله تعالى مثل التوراة والانجيل ، وهو اسم غير مضمور ولم يُؤخذ من قرأت، ولو أُخذ من قرأت، لكان كل ما قرئ قرآناً، وهو بغير همز مأخوذ من القرائن لأن الآيات منه يهدف بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً (١)

ومصطلح (علوم القرآن) مصطلح مركب من كلمتين (علوم) و (قرآن) ، فالعلوم جمع علم وهو عكس الجهل وبمعناه المعروف (الفهم والمعرفة) وتجمع على (علوم) ويراد بها المباحث التي تتناول موضوعاً معيناً ، لذا إضافة (القرآن) إلى كلمة (علوم) دلالة على أن المراد بها العلوم الخاصة بالقرآن الكريم ومباحث تختص به من ناحية نزوله. وجمعه. وقراءته وتفسيره وناسخ ومنسوخه واسباب نزوله ومكيه ومدنيه...ونحو ذلك:

وهو لفظ مركب تركيباً إضافياً مكون من جزئين، مضاف وهو علوم ومضاف إليه وهو قرآن، ويُعرف بأنه جميع العلوم والبحوث المتعلقة بالقرآن الكريم وكل ما يتصل به.

(١) ينظر: المدخل إلى علوم القرآن الكريم : ٤٥.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

و مباحث علوم القرآن الكريم تتعلق بالكتاب المبارك من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابه وقراءته وتفسيره واعجازه و ناسخه و منسوخه ومكيه ومدنيه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك ، وموضوعه مجموع موضوعات تلك العلوم المتضوية تحت لوائه ، وموضوع كل واحد منها هو القرآن الكريم من ناحية واحدة من تلك النواحي. فعلم القراءات مثلاً موضوعه القرآن الكريم من ناحية لفظه وأدائه وعلم التفسير موضوعه القرآن الكريم من ناحية شرحه ومعناه. (١)

فعلم التفسير يشتمل على دراسة القرآن الكريم باعتباره كلاماً ذا معنى فيشرح معانيه ، ويوضح مدلولاته ومقاصده وعلومه المختلفة لذا أصبح علم التفسير أهم علوم القرآن الكريم وجامعها وأساساً لتلك العلوم.

أما أهم فوائد دراسة علوم القرآن الكريم ، فهي :

- ١ - تيسير تفسير القرآن الكريم فهي مفتاح باب التفسير ولا يصح لمن يفسر القرآن الكريم قبل أن يتعلم علومه المختلفة.
- ٢ - معرفة الجهود العظيمة التي بذلها السلف لدراسة القرآن الكريم وعنايتهم الكبرى به وبعلمه المختلفة التي تركت الأثر الواضح على حفظه وتفسيره
- ٣ - التسليح بجموعة من المعارف القيمة التي تمكن من الدفاع عن القرآن الكريم ضد المتعرضين له أعداء الإسلام البائين الشكوك والشبهات في العقائد والأحكام القرآنية وتعاليمه المقدسة.
- ٤ - توضيح وبيان الثقافة العامة في القرآن الكريم.

(١) ينظر : مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني : ٢٧.



المطلب الرابع

نشأة علوم القرآن الكريم وتطورها عبر العصور

مرت نشأة علوم القرآن الكريم بمراحل عدة: (١)

١ - عهد النبي محمد (ﷺ): - كان الناس في عهد النبي (ﷺ) يستمعون إلى القرآن الكريم ويفهمونه بذوقهم العربي الخالص ويرجعون إليه (ﷺ) في توضيح ما يُشكل عليهم فهمه أو ما يحتاجون فيه إلى شيء من التفصيل والتوسع.

فعلم القرآن الكريم نشأت منذ وقت مبكر في الإسلام، منذ عهد الرسول (ﷺ) ومع نزول أول آية، فإن حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره وتفسيره من أهم وقع علوم القرآن الكريم، فكان أول علم من علومه هو حفظه في الصدور وأول من حفظه هو الرسول الكريم (ﷺ).

٢ - عهد الصحابة: كانوا يتعلمون علوم القرآن الكريم مشافعة ولم يُعرف عندهم

تدوين علوم القرآن الكريم لأسبابٍ عدة أهمها -:

أ- إن أغلب الصحابة كانوا أميون لا يعرفون القراءة ولا الكتابة.

ب- عدم توفر أدوات الكتابة آنذاك

(١) ينظر كل من: الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا: ٣٥، المدخل إلى علوم القرآن الكريم: ٤٥.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

ج- نهى الرسول (ﷺ) عن تدوين أي شيء غير القرآن الكريم وهذا النهي لأن الرسول (ﷺ) كان يخشى على القرآن الكريم أن يلتبس بغيره فضلاً عن أنه أراد أن تتوزع المسؤولية من ناحية التبليغ على جميع الصحابة وهذا لم يكن يحصل لو قاموا بتدوين الحديث أو العلوم المختلفة

٣ - عصر التابعين: ظهرت في هذا العصر مدارس لتفسير القرآن الكريم وهي:

المدرسة المكية مؤسسها ابن عباس.

المدرسة المدنية مؤسسها أبي بن كعب.

المدرسة الكوفية مؤسسها ابن مسعود.

وامتاز عصر التابعين بميزات عدة، منها:

أ- لم يكن هذا العصر مقتصرًا على علم التفسير بمعناه الخاص بل كان يشمل مع هذا علم غريب القرآن وعلم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني...

ب- غير شامل لكل علوم القرآن الكريم

ج - لم يكن مدوناً بل كان ينتقل بالرواية والتلقين.

وفي هذا العهد دونت بعضاً من علوم القرآن الكريم كالقراءات وغريب القرآن والناسخ والمنسوخ وعلوم المكي والمدني ونحو ذلك ، أما التفسير فكان تدوينه حين بدأ تدوين الحديث النبوي الشريف ، وقد مرَّ بمراحل قبل أن يكون على ما هو عليه الآن.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

٤ - عهد التدوين، أهم مراحل تدوين التفسير هي:

أ - بدأ تدوينه أول ما بدأ على أنه باب من أبواب الحديث ولم يكن جمعاً للتفسير على استقلال وانفراد ، وجميع ما نقلوه فيها كان بالإسناد ولم يصل إلينا شيئاً منه
ب - دوّن التفسير مستقلاً وأصبح علماً قائماً بنفسه.

وأشهر من دونه على هذا النحو:

- يحيى بن سلام البصري.

- ابن ماجة.

- ابن جرير الطبري.

- ابو بكر بن المنذر النيسابوري.

- ابن ابي حاتم... وغيرهم وكل ما في هذه التفاسير كان بالإسناد.

أما ظهور اصطلاح علوم القرآن الكريم فلم يكن خافياً على العلماء البارزين قبل التدوين بل كانت مجموعة في صدورهم إلا أن اصطلاح (علوم القرآن) لم يظهر عناوين مؤلفاتهم إلا في مدة متأخرة، حيث ظهر هذا الاصطلاح حين ألف (محمد خلف بن المرزبان) كتابه (الحاوي في علوم القرآن).

وكانت علوم القرآن الكريم تؤخذ وتروى عادة بالتلقين والمشافهة حتى مضت لسنوات على استشهاد الرسول وتوسعت الفتوحات الإسلامية وبودرت بوادر تدعو إلى الخوف على علوم القرآن الكريم والشعور بعدم كفاية التلقي عن طريق التلقين والمشافهة، نظراً إلى بُعد العهد بالنبي (ﷺ) نسبياً واختلاط العرب



بشعوب أخرى لها لغاتها وطريقتها في التكلم والتفكير فبدات لأجل ذلك حركة في صفوف المسلمين الواعين لضبط علوم القرآن والعمل على وقايته وصيانه من التحريف.

أما السباق إلى ذلك فهو أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)

فقد سبق غيره في الإحساس بضرورة اتخاذ إجراء سريع بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) فانصرف إلى جمع القرآن الكريم

فقد ورد أن علياً أمير المؤمنين (عليه السلام) حين رأى من الناس عند وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) ما رأى أقسم أن لا يضع عليه رداء ، حتى يجمع القرآن الكريم فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمعه. (١)

فهكذا كانت بدايات علوم القرآن الكريم وأسسها الأولى على يد الصحابة والطلبة من المسلمين في الصدر الأول الذين أدركوا النتائج المترتبة للبعد الزمني عن عهد النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) والاختلاط مع مختلف الشعوب ، فظهرت العلوم المختلفة كعلم رسم القرآن الكريم وتنقيط الحروف ووضع أساس النحو العربي في عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعد أن وجه أمره لأبي الأسود الدؤلي أن يضع بعض القواعد لحماية لغة القرآن الكريم من العجمة واللحن ، وفي عهد الدولة الأموية ساهم عدد من الصحابة والتابعين في وضع

(١) ينظر: الفهرست ، ابن النديم: ٣٠



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

الأساس الأول لعلم التفسير وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن الكريم.^(١)

وقد ألفت الكتب في أنواع علوم القرآن الكريم، فكانت بداية التأليف في علم التفسير في عصر التابعين مثل تفسير مجاهد وتفسير مقاتل وتفسير سقبة الحجاج وسفيان بن عتبة ثم تلاهم الطبري الذي أنهى كتابة تفسيره سنة (٢٧٠هـ)

بعد ذلك قام علي بن المديني (ت: ٢٣٤هـ) بتأليف كتابه (أسباب النزول)^(٢)

ووضع أبو عبيد القاسم بن سلام (ت: ٢٢٤هـ) ، وكتابه في الناسخ والمنسوخ ثم ألف أبو بكر السجستاني كتابه (نزهة القلوب في تفسير علام الغيوب) ثم وضع أبو الحسن الكوفي (البرهان في إعراب القرآن).^(٣)

أما التأليف في مباحث علوم القرآن الكريم فظهر في القرن الخامس الهجري وأول من كتب فيه أبو الحسن الكوفي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) الذي يقع في ثلاثين مجلداً، ثم ألف ابن الجوزي كتابين هما (فنون الأفتان في علوم القرآن) و (المجتبي في علوم تتعلق بالقرآن) ، وفي القرن السابع الهجري ألف علم الدين السخاوي كتابه (جمال القراء) ، وألف أبو شامة المقدسي كتاب (المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز).^(٤)

(١) ينظر: الواضح في علوم القرآن، مصطفى اديب البغا : ٣٥

(٢) ينظر: معجم الأدباء ، ياقوت الحموي : ٦ / ٢٤٥ .

(٣) ينظر : الواضح في علوم القرآن : ٣٥

(٤) المصدر نفسه: ٣٦



أما أشهر كتاب ألف في علوم القرآن الكريم هو كتاب (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين الزركشي ، وجاء من بعده في ترتيب الشهرة جلال الدين السيوطي في كتابه (الاتقان في علوم القرآن) وهو من أوسع الكتب في هذا الباب ، ومن ثم كتاب محمد هادي معرفة (التمهيد في علوم القرآن) الذي يُعد موسوعة كاملة في علوم القرآن الكريم.

أما أشهر العلوم المنبثقة من القرآن الكريم نذكر:

- علم نزول القرآن الكريم.
- علم القراءات.
- علم جمع القرآن وتدوينه.
- علم الرسم والضبط.
- علم فضائل القرآن الكريم.
- علم خصائص القرآن الكريم.
- علم مبهمات القرآن الكريم.
- علم سور القرآن الكريم وآياته.
- علم الوقف والابتداء.
- علم أسباب النزول.
- علم اصول التفسير ومناهجه.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

- علم أقسام القرآن الكريم.
- علم الأحكام الفقهية.
- علم النسخ والمنسوخ.
- علم الخاص والعام.
- علم المطلق والمقيد.
- علم المجمل و المبين.
- علم المحكم والمتشابه.
- علم معاني القرآن الكريم
- علم متشابه القرآن الكريم.
- علم إعراب القرآن الكريم.
- علم أساليب القرآن الكريم.
- علم غريب القرآن الكريم.
- علم الاعجاز العلمي في القرآن الكريم.



المبحث الثاني

علوم القرآن الكريم وأثرها في التفسير

المطلب الأول

أسباب نزول الآيات القرآنية ومناسبتها وأثرها في التفسير

١- أسباب النزول وأثرها في التفسير: لا ريب في أن القرآن الكريم نزل نجوماً على مدار سنين الوحي في مناسبات مختلفة وقسم من هذا النزول كان لأغراض تبليغ العبادات والإرشادات التي أرادها الله سبحانه ، و القسم الآخر كان يعقب حوادث ووقائع دعت إلى نزول قول مبارك فيها ، لذا فمعرفة أسباب النزول لها الأثر المهم في عملية التفسير لفرض كشف مراد الله سبحانه من تلك الآية على وفق سبب نزولها.

فما المقصد من أسباب النزول وكيف عرفها العلماء؟

هي جمع لكلمة سبب والأخيرة في اللغة ترد بمعنى الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ، ثم أستعير بها لكل ما يتوصل به إلى شيء كقوله سبحانه: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ البقرة: ١٦٦. (١)

(١) ينظر: لسان العرب - مادة (سبب).



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

أما اصطلاحاً فلم يتعرض تعريفه الباحثون في شؤون القرآن الكريم قديماً وحديثاً إلا أن السيوطي أشار إليه بالإجمال، فقال: (والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه) (١)

وأسباب النزول عبارة (عمّا يوجب نزول الآية و الآيات أو السورة لأجله في زمن الرسول (ﷺ) ، كالحوادث الخطيرة أو أسئلة الناس مع النبي (ﷺ) أو ما حدث للمسلمين من الأوضاع والأحوال التي يجب أن يتخذ النبي (ﷺ) تجاهها مواقف جديدة) .. (٢)

ويعد سبب النزول بمنزلة الهوية للآية المباركة التي تجيب عن خمسة أسئلة:

لماذا نزلت؟ ومتى نزلت؟ وفي أي مكان نزلت؟ وفيمن نزلت؟ وكيف نزلت؟ وهذه الهوية ترشيد المفسر إلى ما هو الواقع، فقال السيد الصدر (قدس سره): (أسباب النزول هي: أمور وقعت في عصر الوحي، واقتضت نزول الوحي بشأنها). (٣)

ونزول الآية المباركة كان لتبلغ الأمر الذي أراده الله سبحانه في زمن عصر الوحي في محيطي مكة والمدينة، ونزلت في أمر رباني بحسب مناسبتها واقتضى الأمر نزولها عن طريق الوحي المرسل.

أما عن مكانة أسباب النزول وأهم فوائدها، فقد ذهب البعض من الباحثين في مجال علوم القرآن الكريم إلى أهمية ومكانة أسباب النزول في الوقوف على

(١) الإتيان في علوم القرآن : ٤٢/١

(٢) أسباب النزول، محمد باقر حجتي : ٢٠

(٣) المدرسة القرآنية : ٢٢٧



تفسير الآيات المباركات وفهمها الفهم الصحيح ، فذهب الاستاذ محمد هادي معرفة إلى أن سبب النزول يُعد (بمنزلة القرينة الدالة على بيان المعنى المراد من الآية ورفع الإبهام عنها) (١)

وقال العلامة الطباطبائي: (ان الآيات مستقلة في بيانها غير مُقيدة فيما أفادها بسبب النزول، وهذا شأن الآيات القرآنية مما نزلت لأسباب خاصة من الحوادث الواقعة ليس لأسباب نزولها منها إلا ما لواحد من مصاديقها الكثير من السهم) (٢)

ثم قال: (إن الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالمية الدائمة لا تحتاج كثيراً أولاً تحتاج أبداً إلى أسباب النزول) (٣)

وللواحد رأي في هذا المجال قال فيه: (إن أسباب، النزول هي أول ما يجب الوقوف عليها وأولى ما تصرف العناية إليها لامتناع معرفة تفسير الآية قصد سبيلها دون الوقوف على قصتها و بيان نزولها). (٤)

وإن معرفة أسباب النزول (توجب الوقوف على المعنى، وبيان أسباب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز) (٥).

(١) علوم القرآن ، محمد هادي معرفة : ٩٧

(٢) القرآن في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٢٠

(٣) المصدر نفسه : ١١٨

(٤) أسباب النزول ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري : ٤

(٥) المصدر نفسه : ٥



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

أما من جانب فوائد أسباب النزول ، نذكر:

أ - حصول العلم بالحكمة الباعثة على التشريع ومراحله.

ب- الوقوف على أن أحكام الله سبحانه إنما وضعت للمصالح العامة.

ج- إزالة الإشكال. قال تعالى : ﴿لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَ تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾

البقرة: ١١٥

فإن اللفظ يقتضي جواز الصلاة من دون استقبال القبلة في كل حال والسبب بين الحكم الواقعي.

د- معرفة فائدة أسباب النزول عن طريق ما رواه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب

(عليه السلام): -

(ما نزلت في القرآن الكريم آية إلا وقد علمت أين نزلت وفيمن نزلت ، وفي أي شيء نزلت أفي سهل نزلت أم في جبل) .^(١)

٢- لأسباب النزول أقسام عدة، هي كالاتي:

أ- السبب العملي: قال السيوطي في مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المائدة: ٥٥ ، حيث وقف بعلي بن ابي طالب أمير المؤمنين (عليه السلام) سائل وهو راکع في صلاة تطوع ، فنزع خاتمه فأعطاه السائل فأتى رسول الله (ﷺ) فأعلمه بذلك ، فنزلت الآية على النبي (ﷺ).

(١) بحار الأنوار: ٧٩/٩٢



نفهم أن السبب العملي المراد به العمل الذي سبب نزول الآية عقيبها.

ب- السبب السؤالي: المراد به السؤال الذي سبب نزول الآية جواباً له كالسؤال عن الهلال المسبب نزول قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ البقرة ١٨٩: (١) فسبب نزول الآية واضح بوصفه كان رداً للسؤال عن الأهلة ومواقيتها وفائدة تلك المواقيت.

وهناك أسباب أخرى للنزول قُسمت على أساس وحدة السبب ووحدة النزول وهي: (٢)

- وحدة السبب مع وحدة النزول ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ آل عمران: ٦١ ، فالواضح من الذكر الحكيم أن النزول واحد والسبب واحد - وحدة السبب مع تعدد النزول ، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ آل عمران: ١٩٥ ، فإن الذكر الحكيم نزل عقيب سؤال أم سلمة للنبي (ﷺ): (يا رسول الله لا أسمع الله ذكر السماء في الهجرة بشيء) . (٣)

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ٣٩/١

(٢) ينظر : قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة : ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٣) أسباب النزول ، الواحدي النيسابوري: ٩٣



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

ومثاله أيضاً قول سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب: ٣٥. بعدها قالت أم سلمة للنبي (ﷺ): (يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يُذكرن في الخير كما يُذكر الرجال) (١)

- تعدد السبب وتعدد النزول، المراد من هذا القسم بأن الصورة تعدد الأسباب والنزول مع تكرير الآيات، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧.

- تعدد السبب مع وحدة النزول، روى الواحدي بأن جمع من الناس جاءوا إلى الرسول الله (ﷺ) وطلبوا منه أن يصف الله لهم فنزلت سورة التوحيد (٢)

٢- مناسبة الآيات وترابطها: وقف العلماء على المناسبة والترابط بين الآيات بوصفها - أي المناسبة - علم من علوم القرآن الكريم التي لها الدور المميز في تفسير الكتاب العزيز والوقوف على مقاصد الآيات عن طريق التعرف على مناسبة نزولها شأنها شأن سبب ذلك النزول.

(١) أسباب النزول، الواحدي النيسابور، ٢٤٠.

(٢) ينظر: أسباب النزول: ٣٠٩.



نتعرف أولاً على معنى المناسبة ومكانتها عند العلماء قديماً وحديثاً فرى الزركشي صاحب تفسير البرهان قال: (المناسبة علم الشريف تحرز به العقول و يعرف به قدر القائل فيما يقول) . (١)

المناسبة في اللغة المقاربة ومن النسب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينها وهو القرابة^(٢)، والمناسبة في اللغة المقاربة ومنه المنسب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه. وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة. (٣)

والمناسبة أمرٌ معقول إذا عرض على العقول تلقت بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآيات و خواتمها، ومرجعها إلى معنى ما رابط بينها عام أو خاص (عقلي - حسي - خيالي) ، أو التلازم الذهني: كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه ، أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الخارجي في باب الخبر. (٤)

وأضاف السيوطي على كلام صاحب البرهان بأنه خص المناسبة بباب الآيات وقال مرجع المناسبة إلى رابط بين الآيات نحو عام أو خاص. (٥)

(١) البرهان في علوم القرآن : ٣٥/١

(٢) ينظر : لسان العرب. مادة (نسب).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن : ٣٥/١

(٥) المصدر نفسه : ١٣٩/٢



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وقال الشيخ الطوسي بإثبات المناسبة إجمالاً فأشار إلى موارد عدة منها وقوفه على قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ البقرة: ١٨٩ ، فقال: (فإن قيل: أي تعلق لقوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ بسؤال القوم عن الأهله ؟ قلنا: لأنه لما بين ما فيه من وجه الحكمة اقتضى لتعلموا على أمورٍ مقدرةً ولتجري أموركم على استقامة ، فإنما البر أن تطيعوا أمر الله). (١)

أما الطبرسي فإهتم كثيراً بالمناسبة بين السور وورد قوله بالمناسبة بين الجمل واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنِّي وَثَلَاثَ وَرِيَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ النساء: ٣ ، فقال أختلف في سبب النزول وكيفية النظم وأنها على ستة أقوال أحدها إنها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بدون صداق مثلها ، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال مهور أمثالهن. (٢)

وقال العلامة الطباطبائي بقبول المناسبة في الجمل والآيات ونفاها في غيرهما فوقف على المناسبة في البسمة وفسرها: (إن لكل طائفة من هذه الطوائف نوعاً من وحدة التأليف والتمام ، لا يوجد بين أبعاض من سورة ولا بين سورة وسورة ، ومن هنا تعلم أن الأغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة ، وان كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص ولغرض محصل لاتتم السورة إلا

(١) البيان في تفسير القرآن: ١٤٢/٢

(٢) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/٢ - ٥



بتمامه ، وعلى هذا فالبسملة في مبتدأ كل سورة راجعة إلى الفرض الخاص من تلك السورة) . (١)

نفهم ممّا ورد أن بين الآيات الواقعة في كل سورة مناسبة نوعية وارتباط محدد، والعلاقة وطيدة بين الإثنين بحيث يختل المعنى إذا انقطع الارتباط.

وكان الشيخ ابو بكر النيسابوري إذا قرئت عليه الآية يقول لو قيلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟

فخالف الأمر بعضهم فقالوا: المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمرٍ متحدٍ مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.

ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يُصان عنه، حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل. والأسباب ، كتصرف الملوك والحكام... وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها وان الآية لا يطلب مناسبة لها ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة. (٢)

(١) الميزان في تفسير القرآن : ١ / ١٦ .

(٢) ينظر كل من : البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣٦-٣٧ ، قواعد الترجيح عن المفسرين، حسن الحربي : ١٢٥/١



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وتكمن أهمية علم المناسبة القرآنية فيما يلي:

أ- إن قيمة كل علم تكمن في أهمية مادته التي يدرسها، وعلم المناسبة علم يتناول أعظم كلام وأصدق وأعجزه.

ب- المناسبة علم يغوص في عمق المعاني القرآنية فضلاً عن ترتيب الآيات وعللها ليكشف جوهرها وكنوزها الكامنة في ترابطها والبحث في مناسبة هذه الترابط

ج- إن هذا العلم يتناول المناسبة بين الآيات والسور على أنها حالة إعجازية في كتاب الله سبحانه.

د- اعتماد المفسر والباحث على مناسبة الآيات والارتباط بينهما لذا فهو من أهم العلوم وأدقها.

ولعلم المناسبة الأثر الواضح والأساس في فهم كتاب الله عز وجل، كما نبه إلى ذلك كل من الزركشي والسيوطي فقالا^(١): وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً باعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

(١) ينظر كل من: البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٥- ٤٠ الاتقان في علوم القرآن: ٢/ ١٣٩



والواضح ممّا سبق أمور عدة: (١)

أ- علم المناسبة يكشف عن لطائف القرآن الكريم (أكثر لطائفه مودعة. الترتيبات والروابط).

ب - ينبغي التزلزل عن التفسير (يصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء)، فمعنى هذا الكلام أن المعنى المستفاد من الآية من دون ملاحظة المناسبات نظرية متزلزلة وغير قويمة إذ لا معنى للعناية ببعض الأجزاء المتلائمة من دون بعض.

ج - المناسبة تُظهر مواقف الكلمات والجمل تكمياً أو تأكيداً أو بدلاً، فذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلام ببعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على وجه التأكيد أو التفسير والبدل. وإما أن لا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وإنها خلاف النوع المبدوء به.

وإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الكلم أولاً فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٥/١ - ٤٠، الاتقان في علوم القرآن ١٣٩/٢



٣ - أقسام المناسبة القرآنية وأثرها في التفسير:

للمناسبة القرآنية أقسامٌ عدة ولكل قسم حكم خاص به، وهي كالآتي:

أ- تناسب الحروف: ويراد به القسم الذي ينظم الكلمات وتركيب حروفها من حروف المباني التي تكون بمنزلة المواد للبناء، وهذه المناسبة مسندة إلى المتكلم؛ لأنه لفظ اختاره الأخير لإبراز ما يريد من تناسب حروفه بوصفه قالب للمعنى لا غير فهي حجة بل شك، وكذا في انتخاب الكلمات سواء في الأفعال أو الأسماء أو الحروف (١)

ب - تناسب الكلمات: المراد به نظم الكلمات والإسلوب القائم في تراكيبها ومن ثم تأليف الجملة منها، بل هي الخصائص المودعة في الجمل: من مبتدأ وخبر وفعل وفاعل ونائبه، والحال والتمييز... وغيرها، ونحن على اعتقاد إن هذا النوع من النظم القرآني كان من صنع الوحي لا غير. (٢)

كقوله تعالى: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ يوسف: ٨٥ ، جاءت هذه الألفاظ يلائم بعضها البعض الآخر وذلك بأنه أتى في الآية بألفاظ متناسبة في القرابة.

ج- تناسب الجمل: المراد بهذا القسم النظم الكامن في تركيب الجمل، ومن ثم تأليف الآية من تلك الجمل وهذا مقبول بشرط عدم وجود دليل قطعي على انفصال الجملة من سابقتها ولا حقتها لأسباب:

(١) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة : ٣١٩

(٢) ينظر: التمهيد في علوم القرآن : ٤٤٢/١



- ❖ - كون الانفصال معلوماً فحكمه معلوم.
- ❖ - كون الإتصال معلوماً فحكمه معلوم.
- ❖ التردد بين الإتصال و الانفصال فهنا يكون الحكم بأصالة الاتصال. (١)

د- تناسب الآيات: ويراد به ربط الآيات بعضها ببعض بشرطين :-

الأول وجود صلة بينهما والثاني وحدة الموضوع:

فمن الضرورة أن تشتمل كل سورة على نظام خاص يستوعب تمام السورة من مفتحتها حتى نهاية المطاف، وهذا هو الذي اصطلحوا عليه من الوحدة الموضوعية التي تحتضنها كل سورة بذاته مضافاً إلى ما لكل سورة من حسن مطلع ولطف ختام ، فلا بُدَّ من أن تحتضن مقاصد هي متلائمة مع هذا البدء والختام فبذلك يتم حسن الانسجام (٢).

وقال الزركشي في هذا الأمر: (إما أن يظهر الارتباط بينهما ، لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم إتمامه بالأولى فواضح ، وكذلك ، اذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد أو التفسير أو الاعتراض والتشديد وهذا القسم لا كلام فيه.

وإما أن لا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف، وإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أو لا). (٣)

(١) ينظر: قواعد تفسير لدى الشيعة والسنة: ٣٢.

(٢) ينظر: التمهيد في علوم القرآن: ٢٤٧/٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٧/٥.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

ومن الأمثلة على تناسب السور والآيات المباركات قوله تعالى: ﴿الم ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿^(١) البقرة: ١ - ٥ ، وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ٦ .

يُلاحظ أنه سبحانه ذكر أوصاف المؤمنين بعدها ذكر حال الكافرين مع انقسامهم إلى معارضين ومنافقين ، والمنافقون بدورهم انقسموا على قسمين: الجهال من مشركي العرب، والعلماء من كفار بني إسرائيل.

هـ- تناسب السور القرآنية: المقصود منه الترابط الوثيق بين السور القرآنية وتناسب بعضها ببعض، قال الزركشي: (ومن أسرار القرآن مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها ، حتى ان منها ما يظهر ما تعلقها لفظاً كما قيل في قوله سبحانه ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: الفيل: ٥

مع قول سبحانه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ قريش: ١ ، وختم سورة النساء بأمر بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ المائدة: ١^(٢)

وتكلم الشيخ (معرفة) عن رأي ناقش فيه إنكاره للمناسبة ، فقال: ((أما التناسب بين السور بعضها مع بعض حسب ترتيبها الراهن في المصحف الشريف

(١) البرهان في علوم القرآن : ٥/٢٤٦ .

(٢) المصدر نفسه: ١٨٦/١



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

لا ضرورة ندعو إليه وان تكلفه أناس، إذ هذا النظم السوري القائم شيء صنفه أصحاب الجمع بعد وفاة الرسول (ﷺ) (وليس مستنداً الى وحي السماء) (١)

هذا الرأي غير مستند إلى دليل قطعي ثابت لأننا نعلم جيداً أن القرآن الكريم وُضع في أماكن خاصة جمعت فيه الآيات المباركات بحسب سورها هذا أولاً، وثانياً حتى وإن قلنا أن القرآن الكريم قد جُمع بعد وفاة الرسول (ﷺ) وأنه قبل وفاته لم يكن مرتباً أو مجموعاً من الأصل إلا أنه قد جُمع على ما أراده الرسول (ﷺ) وأوصى به أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)

و - تناسب فواتح السور و خواتمها: فواتح السور المباركة تتناسب مع خواتمها وهي تحمل براعة الاستهلال فهي أول ما يقع في الذهن والنفس ومن ثم خاتمة السورة كذلك المتضمنة المعاني البديعية مع إعطاء انتباه للسامع بإنهاء السورة المباركة (٢)

و من الأمثلة المباركة على هذا القسم من أقسام التناسب نذكر قوله سبحانه في سورة الروم: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ الروم: ٦.

فالله سبحانه يأمر نبيه الأكرم (ﷺ) بالصبر ويذكر أن وعد الله حق وهو واقع لا محالة وتحذره من فتنة المنافقين والكافرين، لأنهم ليس لديهم يقين منافقون شاكون بطبعهم وكاذبون لوعد الله سبحانه للمؤمنين الوارد ذكرهم أول السورة،

(١) التمهيد في علوم القرآن: ٢٤٦/٥

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٢٩٢/٢.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الروم: ١ - ٤

وقال تعالى في سورة البقرة، الذي يُعد المِثال الأنسب حول تناسب بداية الآية بخاتمتها - آية (٣٧) : ﴿فَتَلَقَى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧ ، فإن هذه الصفات (التواب و الرحيم) تتناسب مع قبول التوبة من الله سبحانه.

ي - تناسب مجموعة من السور مع بعضها البعض، قال العلامة الطباطبائي في هذا النوع من المناسبة: (إذا تدبرت في السور التي تشترك في الحروف المفتوح لها من الطواسين والحواميم... وجدت في السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين و تناسب السياقات مالميس بينها وبين غيرها من السور)^(١)

يلحظ القارئ أن قول العلامة يفسر بعضه البعض فهو يُحيل القارئ إلى تدبر السور القرآنية المباركة المبدوءة بالأحرف المقطعة بوصفها متناسبة من ناحية المضمون و السياق مقارنة مع غيرها التي لا تبدأ بتلك الأحرف كأنه يُحيل القارئ إلى ضرورة فهم تلك الأحرف المقطعة في تلك البدايات ومعرفة معانيها والغاية منها لفهم مناسبتها حتى وإن كانت تلك الأخرى وجه من أوجه الإعجاز الإلهي إلا أن المناسبة بينها من الأمور الضرورية التي من الواجب الإلتفات لها ودراستها بالدقة المتناهية.

(١) الميزان في تفسير القرآن ٨/١٨



المطلب الثاني

المحكم والمتشابه والحاجة إلى تفسيرهما

من غير المنطقي الفصل بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحكم والمتشابه بسبب الترابط الكبير بين المعنيين، نقف على بعض آراء العلماء في معانيها : فالإحكام في اللغة الاتقان^(١)، وبهذا المعنى كان القرآن الكريم كله محكماً ومتشابهاً كما ورد في قوله سبحانه: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس: ١، وهو بهذا المعنى يُقابل الخلط والالتباس وعدم الإتقان.

ويأتي الإحكام في اللغة أيضاً بما يُقابل التفصيل ، ومنه قوله سبحانه:

﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١.

أما التشابه فهو التماثل والتقارب في الصورة وقد يبلغ درجة الالتباس وضياح الفرق بين المتشابهين ومنه يأتي الشبه والاشتباه والشبهة ولكن التشابه بالأصل يعني أكثر من التماثل وتقارب المفردات، فقد أعتبر القرآن الكريم، كله متشابهاً، وقال المفسرون في ذلك أنه بمعنى تماثل الآيات القرآنية وتقاربيها من حيث لغتها وسياقها وأهدافها. (٢)

وعلينا ملاحظة أن القرآن الكريم وصف نفسه بالتشابه الكامل كما في الآية المباركة من السورة الزمر التي قال فيها سبحانه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ الزمر: ٢٣ ، إلا أنه وصف بعض الآيات بخصوصية (المتشابهات) وجعلها في مقابل المحكمات كما في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ

(١) ينظر: لسان العرب. ماده (حكم).

(٢) ينظر : المصدر نفسه، المادة نفسها.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ آل عمران: ٧. هذا يعني أن التشابه المقصود هنا الدرجة العليا من التشابه الذي يؤدي إلى فقدان الوضوح لذا فالذي تدل عليه الآية أنه أمر يخص بعض الآيات المباركات لا كلها^(١)

لذا فالمقصود من الإحكام والتشابه في الاستعمال القرآني هو فهم المقاصد القرآنية بدليل (هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ).

وقد وقف العلامة الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) في تفسيره الكبير على الآية المباركة السابقة الذكر، فقال: (إن التشابه هو الإجمال والآية المتشابهة هي الآية المجملة في مقابل الآية المبينة).^(٢)

وقال: إن المقصود بالمجمل هو اللفظ الذي تشترك فيه معانٍ عدة متقابلة لم يترجح أحدها على الآخر من حيث دلالة اللفظ بل نحن بحاجة إلى قرائن خارجية من وراء الكلام لتحديد المعنى المقصود بالضبط وترجيحه على الآخر. أما المبين فهو اللفظ الذي له معنى واحد ظاهراً فيه، وربما كان له معنى آخر إلا أنه معنى مغلوب من حيث دلالة اللفظ.^(٣)

ولصاحب كتاب (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) رأي في المحكم والمتشابه قال فيه (الآيات المحكمات هي الآيات ذات المفاهيم الواضحة التي

(١) ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي: ٤٥/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤٦/٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٦/٢.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

لا مجال للجدل والخلاف بشأنها كآية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الاخلاص: ١ ، وقوله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى: ١١ ، وفي موضع آخر قال عز وجل ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ الزمر: ٢٦ ، وفي النساء آية ١١ قال سبحانه: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ وآلاف أخرى مثلها مما يتعلق بالعقائد والأحكام والمواعظ والتواريخ ، فهي كلها من المحكمات والتي تسمى (أم الكتاب) وهي الأصل والمرجع و المفسرة والموضحة للآيات الأخرى. (١)

(المتشابه) هو ما تشابه أجزاءه المختلفة ، ولذا فالمجمل والكلمات التي تكون معانيها معقدة وتنطوي على احتمالات مختلفة، توصف بأنها (متشابهة) وهذا هو المقصود في وصف بعض آيات القرآن الكريم بأنها (متشابهات) أي الآيات التي تبدو معانيها لأول وهلة معقدة وذات احتمالات عدة ولكنها تتضح معانيها بعرضها على الآيات المحكمات.

وقد وصف الله سبحانه كتابه الكريم بالإحكام بقوله: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود: ١ ، والمراد من ذلك أنها أُحْكِمَتْ في نظمها بأنها جاءت على أبلغ وجوه الفصاحة والبيان حتى صار معجزاً ثم فُصِّلَتْ بالبيان، فالقرآن الكريم محكم النظم ، مفصل الآيات ، أو أتقنت آياته فليس فيها خلل ولا باطل؛ لأن الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فُصِّلَتْ وجُعِلَتْ متتابعة بعضها أثر بعض ، فعلى الأول يكون الإحكام صفة اللفظ، فالقرآن الكريم بجزالة نظمه وإتقان أسلوبه محكم ومتقن لا

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٧٣/٢



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

يمكن تحديده ، وعلى الثاني وصف لمعناه بوصفه يشمل: التوحيد، والأخلاق،
وسُنن أخرى على أصول محكمة لا تنقص ولا ترد. (١)

أما وصفه سبحانه لكتابه بالمتشابه، فقال عز شأنه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ
كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾
الزمر: ٢٣

أما الشاهد القرآني في تفسير الآيات إلى محكمات و متشابهات قال تعالى :
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى
مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ال عمران: ٧ ، يصف الله سبحانه الإحكام بالإلتقان
فالآية المباركة توصف بأنها ذات دلالة واضحة لا تحتمل إلا وجه المنع عن اتباع
المتشابه فقط وإن المتبع زاغ قلبه يبتغي الفتنة والتأويل غير السليم.

فالآية المباركة محكمة الدلالة مُتَقَنَّة والذي يُقَابِل الإحكام الآخر المتشابه
المأخوذ من الشبه أي التماثل والمراد به أن لا يكون للآية دلالة ثانية بل يحتمل
فيها وجوه عدة مع أن المراد هو واحد منها.

فعلى أساس ذلك ما الذي يدل على أن الإحكام والتشابه وصف للدلالة ؟

(١) ينظر كل من : المحكم والمتشابه في القرآن الكريم : إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة : ١١ - ١٢
المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ١٥٩ .



الذي يدل على ذلك أمور عدة، نذكر منها:

أ - ﴿ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ وصف الله سبحانه الآيات المحكمة بأنها أم الكتاب معنى ذلك أن المتشابه يجب أن يعود إلى الأصل (الأم) فإذا كان الأمر كذلك حسب التعبير القرآني يجب أن تكون الأم المحكمة واضحة الدلالة لغرض تفسير المتشابه على أساس احكامها.

ب - (يتبعون ما تشابه منه) إما ابتغاء الفتنة والسعي إلى فساد المجتمع وإضلال الناس ، أو ابتغاء تأويله والسعي إلى أهدافهم الفاسدة المتوافقة مع غاياتهم ، وفي الأمرين سواء الفساد والسعي للفساد هو ما يعرب عن أن التشابه يكون في دلالة الآية فيأخذون ما يخدم فتنهم ويجعلون من الآية المباركة حجة لأهوائهم.

٣ - (ابتغاء تأويله) التأويل يبحث في الآية المتشابهة ولست المحكمة بوصف الأخيرة واضحة الدلالة ثابتة المعنى ، لذا فالتأويل هو إرجاع الآية عن طريق التدبر فيها إلى المعنى المقصود وهو دلالة الآية المباركة ، لذا فتتقسم الآيات إلى محكمة ومتشابهة بسبب كون الآيات ليست على درجة واحدة في الإفهام المراد منها ، معنى هذا أن المحكم لا يحتمل إلا معنى واحداً والمتشابه يحتمل وجوه عدة بالتدبر الخالي من الشبهة والمراد من قبل الله سبحانه الموضوع الآية.

د- ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾



من هم الراسخون في العلم ؟

هذا التعبير القرآني ورد في موضعين الأول في سورة آل عمران آية (٧) ،
والثاني في سورة النساء آية (١٦٢) وهما:

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ آل عمران: ٧.

قال تعالى: ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ النساء: ١٦٢.

قلو نأتي للمعنى اللغوي لمفردة (الرسوخ) فتعني الثبات،^(١) أي الذي له قدم
ثابتة، وفي الآية المباركة تعني الذي له قدم ثابتة في العلوم والمعارف المختلفة.

ومن الطبيعي أن يكون معنى الكلمة واسعاً يضم جميع العلماء والمفكرين،
إلا أن بين هؤلاء أفراداً متميزين لهم المكانة الخاصة التي يكونون بها على رأس
مصاديق الراسخين في العلم والذين تتوجه نحوهم الأذهان عند ورود عبارة -
(الراسخون في العلم) .

ونورد حديثاً للإمام الباقر (عليه السلام) (ذكر فيه تفسير الآيات المتحدثة عن
الراسخين في العلم بأنهم النبي (صلى الله عليه وآله) وأئمة الهدى (عليهم السلام)) روي (عن بريد بن
معاوية قال: قلت لأبي جعفر الباقر (عليه السلام): قول الله وما يعلم تأويله إلا الله
والراسخون في العلم) قال: يعني تأويل القرآن كله إلا الله والراسخون في العلم
، فرسول الله أفضل الراسخين، وقد علمه جميع ما أنزل عليه من التنزيل

(١) ينظر: لسان العرب.. مادة (رسخ).



والتأويل، وما كان الله منزلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياؤه من بعده يعلمونه
(كله) (١)

الراسخون في العلم يعرفون معنى المتشابهات: (٢)

ثمة نقاش هام يدور بين المفسرين والعلماء حول ما إذا كانت عبارة (الراسخون في العلم) بداية جملة مستقلة أم أنها معطوفة على عبارة (إلا الله)؟. وبعبارة أخرى: هل أن معنى الآية أنه (ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) أم انه (وما يعلم تأويله إلا الله) و(الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)؟ إن لكل فريق من مؤيدي هذين الاتجاهين أدلته وبراهينه وشواهدة أما القرائن الموجودة في الآية والأحاديث المشهورة المنسجمة معها فتقول أن (الراسخون في العلم) معطوفة على (الله) وذلك:

١ - يستبعد كثيراً أن تكون في القرآن الكريم آيات لا يعلم أسرارها إلا الله وحده. ألم تنزل هذه الآيات لهداية البشر وتربيتهم؟ فكيف يمكن أن يعلم بمعانيها وتأويلها حتى النبي الذي نزلت عليه؟ هذا أشبه بمن يؤلف كتاباً لا يفهم معاني البعض من أجزائه سواه!!

٢ - كما يقول العلامة الطبرسي في (مجمع البيان): لم يسبق إن رأينا بين علماء الإسلام والمفسرين من يمتنع عن تفسير آية بحجة أنها من الآيات التي لا يعرف

(١) تفسير العياشي: ١/ ١٦٤.

(٢) البحث للعلامة الشيرازي في تفسير الأمثل الجزء الثاني صفحة (٢٧٨)



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

معناها سوى الله سبحانه، بل كانوا جميعاً يجدون ويجهدون لكشف أسرار القرآن الكريم ومعانيه.

٣ - إذا كان القصد هو أن الراسخين في العلم يسلمون لما لا يعرفونه لكان الأولى أن يُقال: والراسخون في الإيمان يقولون آمناً به؛ لأن الرسوخ في العلم يتناسب مع العلم بتأويل القرآن الكريم ولا يتناسب مع عدم العالم به والتسليم له.

٤ - إن الأحاديث الكثيرة التي تفسر هذه الآية تؤكد كلها أن الراسخين في العالم يعلمون تأويله، وعليه فيجب أن تكون معطوفة على (الله) سبحانه.

وفي بحث آخر لصاحب تفسير (التحرير و التنوير) في توضيح المراد من الراسخين في العلم ، قال فيه :- (١)

المراد من الراسخين في العالم الذين تمكنوا من علم الكتاب ومعرفة علومه، وقام عندهم من الأدلة ما أرشدهم إلى مراد الله تعالى بحيث لا تروح عليهم الشبهة، والرسوخ في كلام العرب: الثبات والتمكن في المكان ، يُقال: رسخت القوم ترسخ رسوخاً إذا ثبت عند المشي ولم تتزلزل، وأستعير الرسوخ لكمال العقل والعلم بحيث لا تضلله الشبهة ولا تتطرقه الأخطاء غالباً وشاغل هذه الاستعارة حتى صارت كالحقيقة ، فالراسخون في العلم والثابتون فيه والعارفين بحقائقه، فهم يحسنون مواقع التأويل ويعلمونه ولذا فقوله (والراسخون) معطوف على اسم الجلالة، وفي هذا العطف تشريف عظيم كقوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، آل عمران: ١٨

(١) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٤/٣



وإلى هذا مال ابن عباس و مجاهد والربيع بن سليمان والقاسم بن محمد والشافعية وغيرهم.

إن الله تعالى أثبت للراسخين في العلم فضيلة ووصفهم بالرسوخ فأذن بأن لهم مزية في فهم المتشابه، لأن المحكم يستوي في عمله جميع من يفهم الكلام، ففي أي شيئاً رسوخهم؟؟

وحكي عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: أنا ممّن يعلم تأويله، وقيل: الوقوف على قوله (إلا الله) وأن جملة (والراسخون في العلم) مستأنفة وهذا مروى عن جمهور السلف، وهو قول عمر وعائشة وابن مسعود ورواه أشعب بن مالك وقاله عمرو بن الزبير والكسائي والأخفش والفراء، ويؤيد الأول وصفهم بالرسوخ في العلم، فإنه دليل بيّن على أن الحكم الذي أثبت لهذا الفريق هو حكم من معنى العلم والفهم في المعضلات، وهو تأويل المتشابه، على أن أصل العطف هو عطف المفردات دون عطف الجمل، فيكون الراسخون معطوفاً على اسم الجلالة فيدخلون في أنهم يعلمون تأويله، ولو كان (الراسخون) مبتدأ وجملة (يقولون آمنا به) الخبر لكان وحاصل هذا الخبر ممّا يستوي فيه سائر المسلمين الذين لا زيغ في قلوبهم فلا يكن لتخصيص الراسخين فائدة، قال ابن عطية: تسميتهم راسخين تقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في عمله جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلمه الجميع، وما الرسوخ إلا المعرفة بتصاريف الكلام.

وفي رأي آخر للعلامة الرازي بيّن فيه الاختلاف في موضع إتمام الكلام أو بكونه معطوف بـ (الواو) حيث قال: (ما يعلم تأويله إلا الله) اختلف الناس في هذا الموضع فمنهم من قال تم الكلام ها هنا ، ثم الواو في قوله والراسخون



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

في العلم واو ابتداء ، وعلى هذا القول لا يعلم المتشابه إلا الله وهذا قول ابن عباس وعائشة ومالك بن أنس والكسائي والفراء ، والقول الثاني: إن الكلام إنما يتم عند قوله تعالى: (الراسخون في العلم)^(١) وعلى هذا القول يكون العلم بالمتشابه حاصل عند الله تعالى وعند الراسخون في العالم.

نتيجة الكلام في تفسير الآية: (٢)

من كل ما مر نستنتج أن آيات القرآن الكريم قسمان: قسم معانيها واضحة جداً بحيث لا يمكن إنكارها ولا إساءة تأويلها وتفسيرها، وهذه هي الآيات (المحكّمات) وقسم آخر مواضعها رفيعة المستوى ، أو أنها تدور حول عوالم بعيدة عن متناول أيدينا ، كعلم الغيب ، وعالم يوم القيامة ، وصفات الله تعالى ، بحيث أن معرفة معانيها النهائية وإدراك كنه أسرارها يستلزم مستوىً عالياً من العلم، وهذه هي الآيات (المتشابهات).

المنحرفون والشواذ من الناس يسعون لإستعمال إبهام هذه الآيات لتفسيرها حسب هواهم وخلاف الحق ، لكي يثيروا الفتنة بين الناس ويضلّوهم عن الطريق المستقيم، بيد أن الله تعالى والراسخون في العلم يعرفون أسرار هذه الآيات ويشرحونها للناس. فهم بعلمهم الواسع يفهمون أسرار هذه الآيات وليشرحونها للناس، فهم بعلمهم الواسع يفهمون المتشابهات كما يفهمون المحكّمات، ولذلك فإنهم يسلمون بها قائلين إنها جميعاً من عند الله تعالى: (يقولون آمنا به كل من عند ربنا)

(١) ينظر: التفسير الكبير او مفاتيح الغيب : الفخر الرازي: ١٥٢/٧

(٢) ينظر كل من : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٢٧٩/٢ ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور : ٢٤/٣ - ٢٥



وعلى هذا يكون الرسوخ في العلم سبباً في أن يزداد الإنسان معرفة بأسرار القرآن الكريم ولا شك إن الذين رسخوا في العالم أكثر من غيرهم كالنبي (ﷺ) وأئمة الهدى يعلمون جميع أسرار القرآن الكريم، بينما الآخرون يعلمون منها كل بقدر سعة علمه ، وهذه الحقيقة هي التي تدفع الناس ، وحتى العلماء منهم للبحث عن المعلمين الإلهيين ليتعلموا منهم أسرار القرآن الكريم.

إذن فما الحكمة من وجود التشابه في القرآن الكريم ؟

نستخلص ممّا ورد من آراء العلماء والمفسرين أن الحكمة من وجود التشابه في القرآن الكريم تتمثل في الأمور الآتية:

أ- إن الله سبحانه وتعالى أنزل المتشابه ليمتحن قلوب عباده بمدى التصديق به

ب - إن وجود المتشابه في الكتاب المبارك حافزاً لعقل المؤمن كي يمعن النظر في حكمته سبحانه.

ج- إن الأنبياء بعثوا إلى أصناف البشر عامة وخاصة منهم الجاهل ومنهم العالم ومنهم البليد ومنهم الذكي وفيه من المعاني ما تكون واضحة للجميع ومنها ما تكون صعبة تحتاج الى فهم لمن صعبت عليه لذا فوجود المتشابه يوضح اختلاف مستويات العباد .

د- ذكر العلامة الطباطبائي وجهاً رابعاً لبيان الحكمة من وجود التشابه بل جعل المتشابهات أمراً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

هـ - المتشابه كما فهمنا على نوعين نوع لا يفهمه إلا الله سبحانه وهو مرتبط بعلم الغيب والثاني لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم المرتبط بتعليم الله سبحانه لهم.

وللإحكام والتشابه في القرآن الكريم إطلاقات عدة :- (١)

جُعِلَ الإحكام والتشابه وصفاً للكتاب كله، الإحكام في قوله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١ ، والمراد بالإحكام بقرينة مقابله للتفصيل الذي هو إيجاد الفصل بين أجزاء الشيء المتصل بعضها ببعض للفرقة بين الأمور المندمج كل منها في آخر ، وهو ربط بعض الشيء ببعضه الآخر وإرجاع طرف إلى آخر بحيث يعود الجميع شيئاً واحداً بسيطاً غير ذي أجزاء وأبعاض

من المعلوم الكتاب إذا اتصف بالإحكام والتفصيل بهذا المعنى الذي مرَّ فإنما يتصف بهما من جهة ما يشمله من المعنى والمضمون لا من جهة اللفظ أو غير ذلك ، وإن حال المعاني في الإحكام والتفصيل والاتحاد الاختلاف غير حال الأعيان ، فالمعاني المتكررة إذا رجعت إلى معنى واحد كان هذا الواحد هو الأصل المحفوظ في الجميع وهو بنى عليه بنیان الدين وهو توحيده تعالى - توحيد الإسلام بأن يعتقد أنه تعالى هو رب كل شيء لارب غيره ويسلم له من كل جهة فيوفي له حق ربوبيته ولا يخشع في قلب ولا يخضع في عمل إلا له جلَّ أمره.

(١) اصول التفسير والتأويل : ٢٤٣ .



والتشابه وقع وصفاً للكتاب كله أيضاً ، كما في قوله تعالى ﴿ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَفْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ الزمر: ٢٣

والمراد به كون آيات الكتاب ذات النسق الواحد من حيث جزالة النظم وإتقان الإسلوب وبيان الحقائق و الحكم والهداية إلى طريق الحق كما تدل عليم العقود المأخوذة في الآية ، فهذا التشابه وصف لجميع الكتاب ، قال ابن عباس: (معناه ان يشبه بعضه بعضاً) (١)

لذا فهو - أي التشابه - يحصل في أمور:-

أ - الكاتب البليغ الفصيح الفاهم العارف... إذا ألف كتاباً في اختصاصه يكاد يكون هذا الكتاب طويلاً في محتواه وأفكاره، يقع في بعض المطبات أما في اللغة أو في الإسلوب ، مثلاً يخطأ في استعمال كلمات فصيحة مرة وغير فصيحته أخرى إلا أن القرآن الكريم يُخالف ذلك فإنه كتاب فصيح تام الفصاحة بليغ تام البلاغة عالي السبك بإسلوبه الواضح المفهوم لدى الجميع.

ب - القرآن الكريم بكل آياته يؤكد بعضه البعض ومرتبط بعضه مع بعض.

ج- مقصد الله سبحانه من العلوم المختلفة التي ذكرها العلماء من متشابه ومحكم وغيره هو الدعوى الى دين الله سبحانه و بيان عظمة الباري عز وجل والإقرار بهذه العظمة.

(١) اصول التفسير والتأويل : ٢٤٣ - ٢٤٤.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

اتضح ممّا سبق أن للقرآن الكريم محكمه ومتشابهه تأويلاً وتفسيراً وإيضاحاً ، وهذا كله أمراً يقصر عن نيّله الإيفهام إلا نفوس طهرها الله سبحانه وأزال عنهم الرجس فإن لهم القابلية على الوقوف على حقائقه وهو في الكتاب المكنون، واللوح المحفوظ كما دل عليه قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) الواقعة: ٧٧- ٧٩

فقوله (في كتاب مكنون) وصف لشان القرآن الكريم أي محفوظ مصون عن التغيير والتبديل ، وهو اللوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ البروج: ٢١ - ٢٢ ، وقوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ صفة الكتاب المكنون ، ويمكن أن يكون وصفاً ثالثاً للقرآن الكريم ، ومثال الوجهين على تقدير كون (لا نافية) (والمعنى لا يمس الكتاب المكنون الذي فيه القرآن الكريم إلا المطهرون ، أو لا يمس القرآن الكريم الذي في الكتاب إلا المطهرون) .^(١)

والمطهرون اسم مفعول من التطهير وهم الذين طهر الله تعالى نفوسهم من أرجاس المعاصي وقذارات الذنوب ، أو ممّا هو أعظم من ذلك وأدق وهو تطهير قلوبهم من التعلق بغير الله تعالى وهذا المعنى من التطهير هو المنافس للمس الذي هو العلم دون الطهارة من الخبث والحدث كما هو ظاهر.

ومن هنا لا بدّ من الإجابة ومعرفة من هم (المطهرون) الوارد ذكرهم في القرآن الكريم؟

(١) ينظر : اصول التفسير والتأويل : ٨٧. ينظر الميزان في تفسير القرآن : ١٩/٢٧



قال تعالى في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣، فكلمة (إنما) تدل على حصر الإرادة في أذهان (الرجس والتطهير) وكلمة (أهل البيت) سواء كان لمجرد الاختصاص أو المرح أو النواء بل على اختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمخاطبين بقوله (عنكم)

ففي الآية المباركة ورد قصران:-

أ - قصر الإرادة في إذهاب الرجس و التطهير.

ب - قصر إذهاب الرجس و التطهير في أهل البيت.^(١)

وقد ذكر العلامة الآلوسي روايات في هذا المورد نذكر منها:^(٢)

الرواية الأولى: أخرج الترمذي والحاكم وابن جرير... عن طريق أم سلمة قالت: في بيتي نزلت الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٢٢. وفي البيت فاطمة وعليها والحسن والحسين فجللهم رسول الله (ﷺ) بكساء كان عليه، ثم قال: (هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٢٠٩/١٦

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ابو الثناء الآلوسي: ١٢٠



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

الرواية الثانية: ورد عن رسول الله (ﷺ) انه أخرج يده من الكساء وأوما بها إلى السماء، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس طهرهم تطهيرا) ثلاث مرات

الرواية الثالثة: روي عن رسول الله (ﷺ) أنه ألقى عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال: (اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.)

الرواية الرابعة: أخرجه الطبراني عن أم سلمة أنها قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم. فجنبه رسول الله (ﷺ) وقال: (إنك على خير) وفي رواية أخرى رواها ابن مردويه منها أنها قالت: أأنت من أهل البيت؟ فقال (ﷺ) (إنك على خير إنك من أزواج النبي (ﷺ))

الرواية الخامسة: رواها الترمذي إكمالاً لما ورد في الرواية الرابعة أن أم سلمة قالت: وأنا معهم يا نبي الله؟ قالت: (أنت على مكانك وإنك على خير.)

وأخبار إدخاله (ﷺ) كل من (علي وفاطمة وابنهما الحسن والحسن) عليهم السلام) تحت الكساء وقوله (ﷺ): (اللهم هؤلاء أهل بيتي) ودعائه لهم وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان فالمراد بهم من شملهم الكساء ولا يدخل فيه أزواجه (ﷺ).

وقال الطباطبائي في ميزانه:

وهي روايات قيمة تزيد على سبعين حديثاً روتها أهل السنة بطرق كثيرة عن أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن جعفر... في قريب من أربعين طريقاً وروتها الشيعة عن علي والسجاد والباقر والصادق والرضا أئمتي (عليهم



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم) وأم سلمة وأبي ذر وأبي الأسود الدؤلي وسعد بن ابي وقاص في بضع وثلاثين طريقاً، فإن قيل: إن الروايات إنما تدل على شمول الآية لعلي وفاطمة والحسين (عليهم السلام) ولا يُنافي ذلك شمولهم لأزواج النبي (ﷺ) كما يقيد وقوع الآية في سياق خطابهن ، قلنا أن كثيراً من هذه الروايات وخاصة ما رويت عن أم سلمة تشمل لاختصاصها بهم وعدم شموله لأزواج النبي (ﷺ) قال: قيل هذا مرفوع بنص الكتاب على شمولها كوقوع الآية في سياق خطابهن ، قلنا إنما الشأن كل الشأن في اتصال الآية بما قبلها من الآيات، فهذه الأحاديث على كثرتها البالغة خاصة في نزول الآية وحدها ، ولم يرد حتى في رواية ونزول هذه الآية في ضمن آيات النساء، ولا ذكره أحد حتى القائل بإختصاص الآية بأزواج النبي (ﷺ) كما ينسب إلى عكرمة وعروة ، فالآية لم تكن بحسب النزول جزءاً من آيات النساء (نساء النبي) ولا متصلة بها، وإنما وضعت بينها بأمر من النبي (ﷺ) ويؤيده أن آية (وقرن في بيوتكن) على انسجامها واتصالها لقد قدر ارتفاع آية التطهير من بين جملها، فموقع من آية التطهير آية (وقرن في بيوتكن) كموقع آية (٣) من سورة المائدة. (١)

بناءً على ما تقدم فإن لفظة (أهل البيت) اسماً خاصاً في القرآن الكريم لهؤلاء الخمسة وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم) ، لا يُطلق على غيرهم ولو كان من أقربائه المقربين وإن صح بحسب العرف العام اطلاقه عليهم.

(١) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٣١١/١٦



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

لذا لم تدع واحدة من نساء النبي (ﷺ) شمول هذه الآية لها، وقد اعترفت عائشة وأم سلمة فيما تحدث به من حديث الكساء بعدم إذن رسول الله (ﷺ) لهن بالدخول تحت الكساء



المطلب الثالث

القراءات القرآنية وأثرها في التفسير

في البدء نتعرف على معنى القراءة وأهم آراء العلماء فيها:
القراءة في اللغة: مصدر قولهم (قرأ) فلان الكتاب قراءة وقرآناً، بمعنى تلاه تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع^(١)

قال ابن الأثير (ت: ٦٣٧ هـ): (الأصل في هذه اللفظة الجمع ، وكل شيء جمعته فقد قرأته).^(٢)

أما القراءة في الإصطلاح:

فقد عُرِّفت القراءة بأنها علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوة إلى ناكلها و عُرِّفت كذلك بأنها اختلاف ألفاظ الوحي وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرها^(٣)

قيل هي النطق بألفاظ القرآن الكريم من قبل الرسول الكريم (ﷺ) أو كما نُطقت أمامه فأقرأها.^(٤)

(١) ينظر : لسان العرب.. مادة (قرأ).

(٢) الكامل في التاريخ ، ابوالحسن علي بن الأثير (ت: ٦٣٠)، تحق: عمر عبدالسلام تدمري، مادة (قرأ).

(٣) ينظر: الاتقان في علوم القرآن : ٨٠.

(٤) ينظر : القراءات القرآنية(تاريخ وتعريف)، د. عبد الهادي الفضلي: ٦٣.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وتلتقي هذه التعريفات وغيرها في أن القراءة القرآنية ناتجة عن مخالفة الأداء النطقي للموضع القرآني المعبر عنه بكلمات القرآن الكريم وألفاظه، أو بألفاظ الوحي مع خلاف بين عزو هذا الأداء الى ناقل القراءة أو راويها، أو إلى النبي (ﷺ) سواء قرأها هكذا أو قرئت أمامه فأقرها وهي في ضوء ما ورد تحد مظاهر الاختلاف بالحروف والتخفيف والتشديد وغير ذلك.^(١)

ويرتبط تاريخ القراءات القرآنية ببداية نزول الوحي وتلاوة سور القرآن الكريم بوصف التلاوة ألى وسائل الدعوة إلى الدين، فكانت قراءة القرآن الكريم في المراحل المتقدمة من الدعوة تخطى بحرص كبير على الإتيان وتحري الدقة والضبط، وكان الرسول (ﷺ) يلقي بالتلاوة على الناس في الموسم ويقرأ عليهم آيات من الذكر لأجل الهداية إلى الدين الجديد، وكان الداخل للإسلام يقرأ القرآن الكريم أو يتلى عليه لمعرفة تعاليم الإسلام ومتطلبات الإيمان والتعبد بهذه التلاوة.^(٢)

وكان الرسول (ﷺ) يوجه الصحابة المتقين للقرآن الكريم أن يعلموا الداخلين في الإسلام القراءة الصحيحة، كما أرسل (ﷺ) بعضاً من الصحابة إلى الأمصار المختلفة ليعلموا المسلمين القراءة المتقنة للقرآن الكريم، حتى اصبحت هناك العديد من المدارس (مدارس القراءة) وظهرت بقوة آداب قراءة القرآن الكريم على يد الصحابة المعروفين بقراءتهم المشهورة، وتم نشرها في الأمصار الثلاثة النازلين فيها (الكوفة - الشام - المدينة).

(١) ينظر: القراءات القرآنية، منتظر حسن علي : ٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه : ٨.



إذن القراءات علم يُعرف به كيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها ومن ثمَّ ينسب إلى ناقلها.

وهذه القراءات تمَّ تداولها منذ الصدر الأول للإسلام اشتهرت منها سبع قراءات وينتمي أغلب أصحاب هذه القراءات إلى القرن الأول الهجري على الرغم من أن التأليف في كيفية هذه القراءات وضبطها وذكر أصحابها تبلور في بدايات القرن الثالث للهجرة على يد (القاسم بن سلام الأنصاري ابو عبيدة ت: ٢٢٤هـ) المعروف عنه بأنه تلميذ الكسائي الذي ألف كتابه في القراءات وبعده جاء (ابو جعفر الكوفي ت: ٢٥٨ هـ) الذي ألفا في القراءات وأصحابها ، ثم تبعه (القاضي اسماعيل بن إسحاق المالكي ت: ٢٥٨ هـ) الذي ألف كتاباً جمع فيه قراءة عشرين إماماً ، وبعده (ابو جعفر الكوفي ت : ٣١٠) وثم (ابو بكر بن عمر) الذي جمع كتاباً في القراءات وغيرهم.

❖ القراء السبعة ، هم : (١)

١ - عبد الله بن عامر الدمشقي: ولد في العام الثامن من الهجرة وتوفي عام - (١١٨) وتنتهي قراءته إلى عثمان بن عفان وله روايات هما: هشام وابن ذكوان.

٢- ابن كثير المكي : وهو عبد الله بن كثير بن عمرو المكي الداري، فارسي الأصل ولد عام (١٩٥ هـ) وتوفي عام (٢٩١ هـ) . تنتهي قراءته إلى أبي لهو راويان هما: النبيري وقنبل

(١) ينظر كل من : البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣٣٨-٣٣٩ ، المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ١٨٠ وما بعدها.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

٣- عاصم الكوفي: ابن ابي النجود ابو بكر الأسري مولا هم الكوفي توفي عام (١٢٨ هـ) تنتهي قراءته إلى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) وله راويان هما: حفص و ابو بكر.

٤ - ابو عمر البصري: هو زيان بن العلاء بن عمار المازني البصري ولد عام (٦٨ هـ) وتوفي عام (١٥٤ هـ) تنتهي قراءته إلى أبي وله راويان هما: الدوري والسوسي.

٥- حمزة الكوفي: هو ابن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي ولد عام (٨ هـ) وتوفي عام (٥٦ هـ) وتنتهي قراءته إلى ابن مسعود ، وله روايات هما: خلف بن هشام و قلاده بن خالد

٦ - نافع المدني: هو نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم ، قال ابن الجزري أحد القراء السبعة والأعلام ، ثقة صالح ، أصله من أصفهان توفي عام (١٦٩ هـ) تنتهي قراءته إلى أبي ، وله راويان هما: قالون وورش.

٧ - الكسائي الكوفي: هو لاء هم علي بن حمزة بن عبد الله الأسردي مولا هم من أولاد الفرس توفي (١٨٩ هـ) .

هؤلاء هم القراء السبعة، ونذكر ثلاثة آخرين عدوهم ضمن غير المعروفين وهم:

٨ - خلف بن هشام البزاز: هو خلف بن هشام البزاز، وهو ابو محمد الأسدي

البغدادي أحد القراء العشرة ، كان يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه في مائة وعشرين حرفاً ، ولد سنة (١٥٠ هـ) وتوفي سنة (٢٢٩ هـ) وله راويان هما: إحسان و ادريس



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

٩- يعقوب بن إسحاق: هو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، مولاهم البصري(ت: ٢٠٥هـ) وله ثمان وثلاثون سنة ، وله روايات :هما رويس وروح.

١٠ - يزيد بن القعقاع: هو ابو جعفر المخزومي المدني ، توفي بالمدينة سنة (١٣٠ هـ) وله راويان هما: عيسى و ابن جماز.

بعد ذكر القراء العشر المشهورين نتطرق الآن الى صور الاختلاف في القراءة بين هؤلاء القراء فللاختلاف في قراءة النص القرآني صورٌ عدة وأشكالٌ مختلفة ، يكون بعضها بزيادة في النص المقروء أو تغيير في حركة اعرابية...

نذكر بعضاً من نماذج وصور ذلك الإختلاف:

أ - التغيير في أصل الكلمة ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ المزمّل: ٦ ، قرئت (ان ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأصوب قيلاً)

ب - التغيير في هيئة الكلمة أو حركتها، مثال ذلك قوله سبحانه: ﴿لَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ البقرة: ١١٩ ، قرئت (لا تسئل عن أصحاب الجحيم) .

ج - التغيير بإضافة حرف للكلمة عينها ، مثال هذه القراءة قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ البقرة: ٢٢٢ ، حيث قرئت بإضافة التاء وتشديد الطاء ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾

د- التغيير في تركيب الجملة مثالها قوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ ق: ١٩ - قرئت (وجاءت سكرة الحق بالموت)



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

هـ - التغيير بالزيادة في النص، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف: ٨٠ ، قرئت (وأما الغلام فكان كافرًا وكان أبواه مؤمنين) .

و- التغيير في اللهجة ، مثالها قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الاخلاص ، ٤ قرئت بسكون الفاء (كفووا) .

ي - التغيير في موضع الوقف، المثال القرآني قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ﴾ البقرة: ٢ . قرائت: (ذلك الكتاب لا ريب) .

ومن أهم عوامل نشوء الاختلاف في القراءات، قال العلماء:

لقد عمد جماعة من كبار الصحابة بعد وفاة النبي (ﷺ) إلى جمع القرآن الكريم في مصاحفهم الخاصة كعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل ، والمقداد بن أسود وهؤلاء قد اختلفوا في ثبت النص أو في كيفية قراءته ، ومن ثم اختلفت مصاحف الصحابة الأولى ، وكان كل قطر من أقطار البلاد الإسلامية يقرأ بحسب المصحف الذي جمعه الصحابي النازل عندهم. فكان أهل الكوفة يقرأون على قراءة ابن مسعود، وأهل البصرة على قراءة أبي موسى الأشعر، وأهل الشام على قراءة أبي بن كعب وهكذا. (١)

واستمر الحال على عهد عثمان حتى تفاقم أمر الاختلاف ، ففرع لذلك ثلثة من نبلاء الأمة ، أمثال الحذيفة بن اليمان، وأشاروا إلى عثمان أن يقوم بتوحيد المصاحف قبل أن يذهب كتاب الله سبحانه عرضة للاختلاف ، فأمر عثمان جماعة بنسج مصاحف موحدة وإرسالها إلى الأمصار وإلجاء المسلمين إلى

(١) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ١٨٨



قراءتها ونبذ ما سواها من مصاحف وقراءات أخرى ، فبعث الأخير مع كل مصحف من يُقرئ الناس إلى الثبت الموحد في تلك المصاحف، فبعث مع المصحف المكي (عبد الله بن سائب) ، ومع المصحف الشامي (المغيرة بن شهاب) ، ومع المصحف الكوفي (ابو عبد الرحمن السلمي)، ومع المصحف البصري (عمر بن قيس) وهكذا.^(١)

وكانت مهمة المبعوث إلى بلده الموكل له أن يُقرء الناس بحسب المصحف المرسل معه إليهم، لكن لم يزل الاختلاف على ما هو عليه ، فكان أهل كل قطر يلتزمون بما في مصحفهم من ثبت ، فهنا نشأ اختلاف قراءة الأمصار ، فضلاً عن اختلاف القراءة قبل التوحيد، لذا توقف العلماء على أهم عوامل نشوء الإختلاف في القراءات بما يلي:

أ - اختلاف القُراء الذين كانوا في الأمصار وقبل وصول المصاحف

ب - وجود الاختلاف في نفس تلك المصادف الموحدة بحسب الظاهر.^(٢)

قال ابن ابي هاشم: إن السبب في اختلاف القراءات السبع غيرها أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة ما حمل عنه أهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يُخالف الخط.. ، فمن نشأ الاختلاف بين قُراء الأمصار كل ذلك صار السبب المباشر

(١) ينظر : تهذيب الأسماء واللغات، العلامة ابو زكريا محمد الدين النووي (ت: ٦٢٩ هـ) : ٥٠ .

(٢) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن : ١٨٩ .



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

لاختلاف القراءات التي ليس لها منشأ سوى نفس القراء أو المصاحف الموحدة.^(١)

وهناك عوامل أخرى ساهمت في نشوء هذا الاختلاف، منها:^(٢)

أ - **بداة الخط:** كان الخط عند العرب آنذاك في مرحلته الابتدائية، ولم تستحكم أصوله، ولم تتعرف العرب على فنونه ولا الإتقان من رسمه وكتابته بالصورة الصحيحة، وكثيراً ما كانت الكلمة تُكتب على غير قياس النطق بها، لذا كانوا يكتبون الكلمة وفيها تشابه ووجوه محتملة فالنون الأخيرة تكتب بشكل لا تفترق عن الراء، وكذا الواو عن الياء، وربما كتبوا الميم الأخيرة على شكل واو و العين المتوسطة بشكل الهاء وكانوا يفككون بين أحرف الكلمة الواحدة فيكتبون الياء منفصلة عنها كما في (يستحي ي) و (نحى ي) و (أحي ي) أو يحذفونها رأساً كما في (إيلافهم يكتبونه) (إلا فهم) بلا ياء، ولذلك قرأ أبو جعفر وقف الرسم بلا ياء، وربما رسموا التنوين نوناً في الكلمة كما. في كلمة (كآين) في قوله سبحانه: ﴿ فَكَايِّنُ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾ الحج: ٤٥ كتب النون ألفاً في كثير من المواضع منها (لنسقها بالناصية) و (وليكونا من الصاغرين) ، وهاتان النونان نون توكيد خفيفة كتبوها بألف التنوين، وقوله

سبحانه: ﴿ وَإِذَا لَاتِيَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٦٧، كتبوا (إذاً) بدل (إذن) تشبيهاً بالتنوين المنصوب.

(١) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ١٨٩

(٢) ينظر كل من: القراءات القرآنية، خير الدين سيب: ١٠٠ - ١٠٥، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية، العشر مجموعة من الباحثين.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

ب الخلو من النقط: كان الحرف المُعجم يُكتب كالحرف المهمل بلا لفظ مائة بين الإعجام والإهمال، فلا يُفرَّق بين السين والشين في الكتابة ولا بين العين والغين ، والراء والزاي ، والياء والتاء، والثاء والياء ، أو الفاء والقاف. والجيم والحاء والحاء - والذال والذال - أو الصاد عن القاف، أو الطاء عن الظاء فكان على القارئ نفسه أن يميز بحسب القرائن الموجودة أنها باء أو ياء أو جيم أو حاء وهكذا.

من ذلك على سبيل المثال قراءة الكسائي: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾
وقرأ الباقون (فتبينوا) هذا في سورة الحجرات آية (٦).

وقرأ ابن عامر والكوفيون(تنشزها) وقرأ الباقون(تنشرها) في سورة البقرة آية (٢٥٩).

وقرأ ابن عامر وحفص(ويكفر عنكم) وقرأ الباقون نكفر في سورة البقرة آية(٢٧١).

ج- اسقاط الألفات: كان الخط العربي الكوفي منحدرًا عن خط السريان وكانوا لا يكتبون الألفاظ الممدودة في ثنانيا الكلم ، وقد كتبوا القرآن الكريم بالخط الكوفي على المنهج نفسه ، فصار السبب المباشر لإختلاف القراءات، فعلى سبيل المثال قرأ الكوفيون (ألم نجعل الأرض مهذا) بدل (مهادا) لأنها كتبت بالمصحف بلا ألف

د. تأثير اللهجة: لا شك أن كل أمة وان كانت ذات لغة واحدة لكن لهجاتها تختلف حسب تعدد القبائل والأفخاذ المتشعبة منها، فهكذا كانت القبائل العربية



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

تختلف بعضها في اللهجة وفي التعبير والآراء، وقد سبب ذلك اختلافاً في القراءة. على سبيل المثال:

أ- اختلافهم في الحركات مثل (نستعين) بفتح النون وهي لغة قيس وأسد ، وكسرهما لغة غيرهم.

ب- اختلافهم في الهمزة والتلين نحو (مستهزؤون) و (مستهزون).

و- اختلافهم في التقديم والتأخير: تقول العرب صاعقة وصواعق وبه نزل القرآن الكريم وبنو تميم يقولون (صاقعة) و (صواقع).

* أركان القراءة الصحيحة وشروطها: (١)

سايرت أركان القراءة الصحيحة تاريخ القراءات القرآنية منذ نشأتها ولم تكن من وضع المتأخرين ، وإن كان ثمة تفاوت بين هذه الأركان من حيث الإشارة إليها إذ بدأت المصادر تشير إلى صحة الرواية وموافقة رسم المصحف من دون التعلق بالسلامة اللغوية : بمعنى أن موافقة أحد أوجه العربية ، وهذا الأمر مفرغ منه كون القراءات التي كانت تروى لا تخرج عن شرط العربية، ومن ثم لا حاجة أن ينص المعنيون على ذلك.

أما شروط القراءة الصحيحة فهي:

١ - موافقة والقراءة لوجه من وجوه العربية.

٢ - موافقة القراءة لرسم المصحف الشريف

٣ - صحة سندها.

(١) ينظر: القراءات القرآنية : ١٤ .



* قواعد في تقييم القراءات: (١)

لاحظنا فيما ورد أن اختلاف القراءات القرآنية قد يؤدي إلى تغيير حقيقي في النص القرآني كما يؤدي إلى تغيير كبير في المعنى ، وحينئذ هل نستطيع تقبل هذه القراءات؟.

وضع العلماء أربع قواعد أساسية في تقبل ومن ثم تقييم هذه القراءات وهي على التوالي:

القاعدة الأولى: وحدة النص القرآني، الآيات القرآنية الدالة على وحدة النص القرآني هي كل الآيات التي تتحدث عن القرآن الكريم دونما أية إشارة إلى تعددته مما يعطيها دلالة على وحدته.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

الواقعة: ٧٧-٨٧

وكذا قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٣، حيث نزلت في هذا السياق إحدى وسبعون آية كلها تتحدث عن قرآن واحد لا عن أكثر.

(١) المصادر والمراجع في موضوعة تقييم القراءات كثيرة بحسب جمع من القواعد العامة ، نذكر منها : القراءات القرآنية تاريخ وتعريف : ٦٤ - ٦٧ ، القراءات القرآنية محددات الأداء وإشكالية المعنى : ٨-١٠ ، أصول التفسير والتأويل : ٢٦٤ .



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وأما السنة الشريفة فهي كل ما جاء عن رسول الله (ﷺ) بشأن القرآن الكريم. والذي يظهر منه بشكل واضح أنه (ﷺ) يتحدث عن قرانٍ واحد، وهذا المعنى هو ما صرح به الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أيضاً كما جاء في الرواية الصحيحة عن الامام الباقر (عليه السلام): (ان القرآن واحد نزل من عند الواحد، ولكن الإختلاف يجيء من قبل الرواة) (١).

وكذا ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) إذ سُئل عن تعدد الحرف الذي نزل به القرآن الكريم، فقال: (كذبوا أعداء الله ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد) (٢).

القاعدة الثانية: عدم جواز التصرف بالنص القرآني حتى مع الحفاظ على المعنى

الواحد، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي ﴾ يونس: ١٥

القاعدة الثالثة: ثبوت الشرعية للقراءة، أي كل قراءة للقرآن الكريم لم يثبت صدورها عن النبي (ﷺ) أو تأييده لها، وموافقته عليها لا تُعد قراءة شرعية لأنها تفتقد إلى السند القانوني، وحيث كان الأئمة الأطهار من أهل البيت (عليهم السلام) بمنزلة النبي (ﷺ) أمكن إعتداد الشرعية الصادرة منهم لأية قراءة وبذلك فكل قراءة تحظى بموافقتهم (عليهم السلام) تعتبر قراءة شرعية لو كانت صادرة عن النبي (ﷺ)

(١) موسوعة المصطفى والعترة (ع)، حسين الشاكري : ٢٣٠/٨

(٢) المصدر نفسه : ٢٣٤/٨



القاعدة الرابعة: تعدد المعاني القرآنية دونما تضاد، إن القرآن الكريم كما هو معروف للجميع له ظهر و بطن ، وهو كتاب لا تنفذ معانيه ولا تحصى دلائله ولا يحق عطاؤه، الأمر الذي جعل الآية الواحدة ذات مداليل عدة كلها صحيحة طالما لا يوجد بينهما تضاد

فعلى أساس القواعد السابقة ما هي القراءة القرآنية المقبولة والتي يمكن اعتبارها؟

كل قراءة توجب تعددية للنص القرآني أو توجب التضاد في المعنى العام للنص القرآني أو لم يتم إقرارها بل إثبات هذا الإقرار بشرعيتها من قبل الرسول (ﷺ) وأهل بيت النبوة (عليهم السلام) فهي قراءة مرفوضة وما دون ذلك فهي القراءة المقبولة



المطلب الرابع

تعريف القرآن الكريم

ورد في كتاب يتحدث باحثه عن فهم القرآن الكريم على ضوء المدرسة السلوكية،^(١) بأن التاريخ الفكري للمسلمين حفل بإشتباك البُعدين العلمي والايديولوجي على مستوى قضايا مهمة قرآنية وغير قرآنية على نحو تغلّبت فيه بواعث الصراع الأيديولوجي صاحب الصبغة السياسية أو المذهبية، واستطاعت أن تجمّد روح البحث العلمي في هذه القضايا وتغيّبها أو تدفع بها إلى الهامش على أقل تقدير، لذا فربما كان هذا الصراع الذي احتدم خلف القرآن الكريم، وفيما إذا كان كلام الله سبحانه محدثاً أم قديماً هو المثال الأبرز الذي يكشف عن تغذية أروقة السياسة لمادة الإختلاف العلمي حيال الموضوع، لما يخدم متبنياتها الأيديولوجية واختياراتها الاجتماعية والثقافية. إلا أنه بالتأكيد لم يكن المثال الوحيد، إذ برزت إلى جوار ذلك وقبله وبعده أمثلة كثيرة، لعل من أهمها موضوعة التحريف التي هي واحدة من أبرز المسائل الداخلة في حلقة الصراع الايديولوجي بوجهيه السياسي والمذهبي على مر التاريخ (تاريخ المسلمين) وهي لا تزال حين تثار بدوافع التحيز السياسي والمواجهة المذهبية، أكثر من كونها مسألة تتطلب الدراسة الهادئة والبحث العلمي المحايد النزيه. لكن ذلك لا يعني خلوها من الأساس العلمي بقدر ما يعني تغليب دوافع الصراع السياسي والمذهبي على وجهه العلمي، بحيث اكتسبت أبعاداً مضخّمة لم تكن لتتحقق

١ ينظر: فهم القرآن دراسة في ضوء المدرسة السلوكية، جوار علي كسار: ٥٢٧



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

لولا تلك الدوافع حتى أنها لو تُركت وشأنها لأمكن حسمها بالقليل من الجهد العلمي مع الاستغناء عن الضجيج الحاصل.

وعليه فإن شبهة التحريف من الشبه التي لا تستحق الإطالة في الحديث عنها بوصفها شبهة في مقابل البديهية.

أولاً / معنى التحريف عند علماء اللغة والاصطلاح

لغرض الوقوف على معنى التحريف بوصفه مصطلحاً نقف أولاً على معناه في معاجم اللغة لوجود الارتباط الوثيق بين معناه اللغوي ومعناه الوارد في القرآن الكريم

فالتحريف لغة: تفسير الكلام على غير وجهه - يُقال: حرف الشيء عن وجهه: حرّفه أماله، وبه يُفسر قوله سبحانه: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ النساء: ٦^(١)

وقال الطبرسي في تفسير الآية: يُفسرونها على غير ما أنزلت به والمراد من المواضع المقاصد والمعاني^(٢)

(١) ينظر: لسان العرب مادة (حرف).

(٢) مجمع البيان : ٩٦/٣



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

أما معناه في الإصطلاح فيُراد به وجوه عدة ومختلفة: (١)

١ - تحريف مدلول الكلام ، أي تفسيره على وجوهٍ عدة توافق رأي المفسر سواء توافق الواقع أم لا والتفسير بمعناه هذا واقع في الكتاب المبارك ولا يمس بكرامته.

٢ - النقص والزيادة إما أن تكون في الحركة أو الحرف مع حفظ القرآن الكريم وصيانتَه.

٣ - تبديل كلمة ما مكان كلمة أخرى مرادفة لها.

٤ - التحريف في لهجة التعبير.

٥ - التحريف بالزيادة.

٦ - التحريف بالنقص والإسقاط.

ويُطلق لفظ التحريف ويُراد منه معانٍ عدة على سبيل الاشتراك، فبعض منها واقع في الكتاب المبارك ياتفاق المسلمين، والآخر لم يقع فيه ياتفاق منهم أيضاً ، وبعض منهم وقع الخلاف بينهم، لذا فنتج عن ذلك آراء عدة نذكر منها: (٢)

١ - نقل الشيء عن موضعه وتحويله إلى غيره ، ومنه قوله سبحانه: ﴿مَنْ أَلْدَيْنَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ النساء: ٤٦ ، ومثل هذا التحريف لا خلاف

(١) ينظر: المناهج التفسيرية في علوم القرآن: ١٩٥-١٩٧ .

(٢) وردت هذه الآراء في مصادر عدة قديمة وحديثة من على سبيل المثال:

ينظر كل من : البيان في تفسير القرآن : ١٩٧-١٩٨ ، صيانة القرآن من التحريف : محمد هادي معرفة، تحقق: جماعة من الدارسين (قم): ٩٠ ، أصول التفسير والتأويل : ٤٩٣ - ٤٩٤ - التحرير

والتنوير: ١٧/١٣



بين المسلمين بوقوعه في القرآن الكريم، فإن كان من فسر القرآن حقيقته وحمله على غير معناه فقد حرّفه، ونرى الكثير من أهل البدع والمذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن الكريم بتأويلهم آياته المباركة بأرائهم وأهوائهم فهل ورد المنع في هذا التحريف؟

نعم ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى بل وذمّ فاعله برواياتٍ عدة نكتفي بذكر، رواية واحدة عن الإمام الباقر (عليه السلام) انه (كتب في رسالته إلى سعد الخير: وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يردونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركم للرعاية) (١).

٢- النقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات مع حفظ القرآن الكريم وعدم ضياعه، وإن لم يكن متميزاً في الخارج عن غيره. والتحريف بهذا المعنى واقع في القرآن الكريم قطعاً، والسبب هو عدم تواتر القراءات ومعنى هذا أن الكتاب المنزل إنما هو مطابق لإحدى القراءات، وأما غيرها فهو إما بزيادة أو نقصان في الكتاب المبارك.

٣ - النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين مع التحفظ على نفس القرآن الكريم المنزل.

والتحريف بهذا المعنى قد وقع في صدر الإسلام وفي زمن الصحابة قطعاً، وقد أجمع العلماء على أن عثمان أحرق جملة من المصادف وأمر ولاته بحرق كل

(١). الفروع من الكافي: ٥٣/٨.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

مصحف غير ما جمعه، وهذا يدل على أن هذه المصاحف كانت مخالفة لما جمعه والا لم يكن هناك ذلك السبب الموجب لإحراقها.

وقد ضبط جماعة من العلماء موارد الاختلاف بين المصاحف، منهم عبد الله بن ابي داود السجستاني، وقد سمي كتابه هذا بكتاب المصاحف، معنى هذا أن التحريف واقع لا محالة اما من عثمان أو من كُتّاب تلك المصاحف إلا أن ما جمعه عثمان كان هو القرآن المعروف بين المسلمين الذي تداولوه عن النبي (ﷺ) يداً بيد، فالتحريف بالزيادة أو النقيصة إنما وقع في تلك المصادف الي انقطعت بعد عهد عثمان، وأما القرآن الموجود فليس فيه زيادة ولا نقيصة.

٤ - التحريف بالزيادة والنقيصة في الآية والسورة مع التحفظ على القرآن المنزّل والتسالم على قراءة النبي (ﷺ) إياها ، والتحريف بهذا المعنى أيضاً واقع في القرآن مطلقاً ، فالبسملة - مثلاً - ممّا تسالم المسلمون علماً أن النبي (ﷺ) قرأها قبل كل سورة غير سورة (التوبة) ، وقد وقع الخلاف في كونها من القرآن الكريم بين علماء المسلمين (السنة) فإختار جمعٌ منهم أنها ليس من القرآن الكريم ، بل ذهبت المالكية إلى كراهة الإتيان بها قبل قراءة الفاتحة في الصلاة المفروضة، إلا إذا نوى به المصلي الخروج من الخلاف ، وذهبت جماعة أخرى إلى أن البسملة من القرآن الكريم، إلا أن الشيعة متسالمون على جزئية البسملة من كل سورة غير سورة التوبة واختار هذا القول جماعة من علماء السنة أيضاً.

لذا فالقرآن الكريم المنزل من السماء قد وقع فيه التحريف يقيناً بالزيادة أو النقيصة.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

٥- التحريف بالزيادة بمعنى أن البعض من المصاحف الموجودة بين أيدينا ليست من الكلام المنزّل والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين ، بل هو ممّا علم بطلانه بالضرورة.

٦- التحريف بالنقيصة بمعنى أن المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء. فقد ضاع بعضه على الناس. والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون.

ثانياً / أدلة القائلين بعدم تحريف القرآن الكريم:

١ - دليل التحدي القرآني.

٢ - دليل التعهد الرباني.

٣ - الأدلة الروائية.

وسنورد التفصيل في هذه الأدلة تباعاً بحسب ما ورد في أهم مصادر تفسير القرآن الكريم ومصادر الروايات: (١)

١ - دليل التحدي القرآني: من ضرورات التاريخ أن النبي محمد (ﷺ) جاء من قبل قرون عدة ، وقال بالنبوة ، وبلغ الدعوة وآمن به أمة من العرب وغير

(١) مصادر هذه الروايات بتفريعاتها التي سنذكرها ، ينظر كل من : الميزان في تفسير القرآن: ٦٣/١ - ٧٣ أو ١٢ / ١٠١ - ١٠٧ ، التفسير الكبيرة أو مفاتيح الغيب : ١٢٧/١٩ - ١٣٠ ، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٢/١٧ - ٢٠٠٢ أصول التفسير والتأويل : ٥٠١ - ٥١٤ .



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

العرب، وانه جاء بكتاب اسماء القرآن الكريم ونسبه إلى رب العالمين، المتضمن أسس المعارف الإلهية والتشريعات السماوية التي كان يدعو إليها وبها، وكان يتحدى ويعدده آية لنبوته، والذي موجود بين أيدينا اليوم هو القرآن الكريم الذي جاء به وقرأه على الناس بمعنى أنه لم يضع من أصله بأن يفقد كله ثم يوضع كتاب آخر يشابهه في نظمه أو لا يشابهه وينسب إليه ويشتهر بين الناس بأنه القرآن الكريم المنزل على النبي محمد (ﷺ) هذه الحقائق لا يرتاب في شيء منها إلا مُصاب في فهمه، ولا احتمال بعض ذلك أحد من الباحثين في مسألة التحريف من الفريقين وانما احتمال بعض من قال بالتحريف بزيادة شيء يسير كالجملة أو الآية أو النقص أو التغيير في جملة أو آية في كلماتها أو إعرابها، أما جُلَّ الكتاب الإلهي فهو على ما هو عليه منذ عهد النبي (ﷺ) لم يضع ولم يفقد ولم يأتي بغيره .

أما تحدي القرآن الكريم ببلاغته وفصاحته، قال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ هود: ١٣ .

وفي موضع آخر من سورة يونس قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللّٰهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيْطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ يونس: ٣٨ - ٣٩ .

معروف عند العرب القدماء أنهم أصحاب بلاغة عالية وفصاحة جزلة وعلم وآفر وكل علومهم ببلاغتها وفصاحتها لم يذكر التاريخ لنا وجود أمة من الأمم القديمة والحديثة أبلغ منهم لذا تحداهم القرآن



الكريم بكل تحدٍ ممكن أن يثير حميتهم وتأجج روح الغرور والاستكبار وطالت مدة التحدي إلا أنهم لم يزداهم التحدي إلا العجز عن الاتيان بمثله ويصدق على حالهم قوله سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ هود: ٥ اما تحديه بعدم الاختلاف فيه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢

وقال صاحب الميزان^(١) في تحدي الاختلاف في القرآن الكريم تفسير الآية الأنفة الذكر:

من الضروري أن هذه النشأة هي للمادة والقانون الحاكم فيها، قانون التحول والتكامل، فما من موجود من الموجودات التي هي أجزاء هذا العالم إلا وهو متدرج الوجود متوجه من الضعف إلى القوة و من النقص إلى الكمال في ذاته وفي جميع توابع ذاته ولواحقه من الأفعال والآثار، ومن جملتها الإنسان الذي لا يزال يتحوّل ويتكامل في وجوده وأفعاله وآثاره التي منها آثاره التي يتوسل إليها بالفكر والإدراك فما من إنسان إلا وهو يرى كل يوم أنه أعقل من أمس، وإن ما ينشئه من عمل أو صنعة أو ما أشبه ذلك أو يدبره من رأي أو نظر أو نحوهما أخيراً ، حتى العمل الواحد الذي فيه شيء من الامتداد الوجودي كالكتاب يكتبه الكاتب والشعر يقوله الشاعر والخطبة تخطبها الخطيب، وهكذا يجد عند الإمعان آخره خيراً من أوله وبعضه أفضل من بعض.

١ ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٦٨/١ وما بعدها.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

فالواحد من الإنسان لا يسلم في نفسه ما يأتي به من العمل والاختلاف وليس هو بالواحد والاثنين من التفاوت و التناقض بل الاختلاف الكثير، وهذا على ناموس كُلي جاد في الإنسان وما دونه من الكائنات الواقعة تحت قانون التحرك والتكامل العامين، لا ترى واحداً من هذه الموجودات يبقى عامين متوالين على حال واحد بل لا يزال يختلف ذاته وأحواله.

وهذا الكتاب جاء به النبي (ﷺ) وقرأه على الناس آية في مدة ثلاث وعشرين سنة في أحوال مختلفة وشرائط متفاوتة في مكة والمدينة، في الليل والنهار في الحضر والسفر والحرب والسلام في يوم العسرة ويوم الغلبة وفي يوم الأمن ويوم الخوف، ولإلقاء المعارف الإلهية من المبدأ والمعاد والخلق والإيجاد ثم الفضائل العامة الانسانية، ثم القوانين الاجتماعية الفردية الحاكمة في البشر جميعاً حكومة لا يشذ منها رفيق ولا جليل ثم القصص والعبر المواعظ.

وليس فيها أي اختلاف لا اختلاف التناقض بأن ينفي بعضها بعضاً أو يتدافعا ولا اختلاف التفاوت بأن تتفاوت الآياتن من حيث تشابه البيان أو متانة المعاني والمقاصد، فيكون البعض أحكم تبياناً وأشدّ ركناً، فالآية تفسر الآية والبعض يبين البعض، والجملة تصدق الجملة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في الخطبة (١٣٣) من نهج البلاغة: (ينطق بعضه ببعض ويشد بعضه على بعض)^(١)

(١) نهج البلاغة - الخطبة (١٣٣)



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

ولو كان من عند غير الله لأختلف النظم في الحسن والبهاء والقول في البلاغة والمعنى من حيث الفساد والصحة، ومن حيث الاتقان والامتانة، فان قلت هذه مجرد دعوى لا تُبنى على دليل وقد أخذ على الله تعالى مناقضات وإشكالات جمة ربما أُلّف فيها التأليفات، وهي إشكالات لفظية ترجع إلى قصوره في جهات البلاغة ومناقضات معنوية تقود إلى خطأه في آرائه وانتظاره وتعليماته.

أما التحدي بالعلم فقد تحدى القرآن الكريم بالعلم والمعرفة خاصة بقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ النحل: ٨٩. وقوله جَل وَعَلَا ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ الانعام: ٥٩؛ إلى غير ذلك من الآيات المباركات.

فإن الإسلام كما يعلمه ويعرفه كلٌّ من ساء على تعليماته من كلياته التي أعطاها القرآن الكريم وجزئياته التي أرجعها الى النبي (ﷺ) بنحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ الحشر ٧ ، وقوله سبحانه في موضع آخر: ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ النساء: ١٠٥ وغير ذلك متعرض للجليل والدقيق من المعارف الإلهية (الفلسفية) والأخلاق الفاضلة والقوانين الدينية الفرعية من عبادات ومعاملات وكل ما يمسه فعل الإنسان وعمله كل ذلك على أساس الفطرة وأصله التوحيد بحيث ترجع التفاصيل إلى أصل التوحيد بالتحليل وينقلب توحيده الخالص بالتركيب إلى أعيان ما أفاده من التفصيل والقرآن الكريم قد يتحدى بالإخبار عن الغيب بآيات عدة كما في إخباره بقصص الأنبياء السالفين وأممهم كما في قوله: تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ هود: ٤٩ ، وقوله



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

سبحانه في قصة يوسف: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يوسف ١٠٢، وفي قصة مريم قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ال عمران: ٤٤، وقوله عز وجل ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ مريم: ٣٤

الى غير ذلك من الآيات المباركات، حيث يورد قصصهم ويفضّل القول فيها على ما يليق بطهارة الدين ويُناسب ساحة النبوة وخلصها للعبودية والطاعة، وكما طبقنا من القصص القرآني على ما يماثلها ممّا ورد في العهدين إنجلي ذلك أحسن الإنجلاء.

ومنها الإخبار عن الحوادث المستقبلية، قال تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ الروم: ٢-٤ وقوله تعالى في رجوع النبي (ﷺ) إلى مكة بعد الهجرة: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا وَمَا نَحْنُ بِمُنَادِيكُمْ﴾ القصص: ٨٥، وقوله سبحانه: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ الفتح: ٢٧، وآيات أخر كثيرة في وعد المؤمنين ووعد كفار مكة ومشركيها.

يصف القرآن الكريم نفسه بأوصاف زاكية جميلة كما يصف نفسه بأنه نور وأنه هاد يهدي الى صراط مستقيم وإلى الملة التي هي أقوم ونجد ما بأيدينا من القرآن الكريم لا يفقد شيئاً من ذلك ولا يعمل من أمر الهداية والدلالة شيئاً، ومن أجمع الأوصاف التي يذكرها القرآن الكريم لنفسه أنه (ذكر الله) فإنه يذكر به تعالى بما أنه آية دالة عليه حيّة خالدة، وبما أنه يصفه بأسمائه الحسنی وصفاته العليا، ويصف سنّته في الصنع والإيجاد، ويصف ملائكته وكتبه ورسله، ويصف



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

شرائعه وأحكامه، ويصف ما ينتهي إليه أمر الخلقة وهو المعاد. ورجوع الكل إليه سبحانه ، وتفصيل ما يؤول إليه أمر الناس من السعادة والشقاء والجنة والنار ففي جميع ذلك ذكر الله تعالى وهو الذي يرومه القرآن الكريم بإطلاق القول بأنه ذكر ونجد ما بأيدينا من القرآن الكريم لا يعقد شيئاً من معنى الذكر ولكون الذكر من أجمع الصفات في الدلالة على شؤون القرآن الكريم، عبّر بالذكر في الآيات التي أخبر فيها عن حفظه القرآن الكريم عن البطلان التغيير والتحريف، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت ٤٠-٤٢ فذكر الله تعالى القرآن الكريم من حيث هو ذكر لا يغلبه باطل ولا يدخل فيه حالاً ولا في مستقبل الزمان لا يبطل ولا بتغيير أو تحريف يوجب زوال ذكره عنه، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر ٩

فقد أطلق الذكر وأطلق الحفظ، فالقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله عز وجل عن كل زيادة ونقيصة وتغيير في اللفظ أو في الترتيب يزيله عن الذكورية و يبطل كونه ذكر الله بوجه

٢ - دليل العهد الرباني: قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩ ، قال الطباطبائي في ذيل هذه الآية: والمعنى أن هذا الذكر لم تأت به أنت من عندك حتى يعجزوك ويطلوه بعنادهم وشدة بطشهم وتكلف لحفظه ثم لا تقدر ، وليس نازلاً من عند الملائكة حتى يفتقر إلى



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

نزولهم وتصديقهم إياه ، بل نحن أنزلنا هذا الذكر إنزالاً تدريجياً ، وإنا له لحافظون بما له من صفة الذكر بما لنا من العناية الكاملة به.

فهو ذكرٌ حتى خالده مصون من أن يموت ويُنسى من أصله، مصون من الزيادة عليه بما يبطل به كونه ذكراً مصون من النقص كذلك مصون من التغيير في صورته وسياقه بحيث يتغير به صفة كونه ذكر لله تعالى ميبناً لحقائق معارفه.

فالآية تدخل على كون كتاب الله تعالى محفوظاً من التحريف لجميع أقسامه من جهة كونه ذكراً لله سبحانه ، فهو ذكر حي خالد.

قال ابن عاشور في تفسير التحرير والتنوير: (١) وقد شمل حفظه الحفظ من التلاشي، والحفظ من الزيادة والنقصان فيه، بأن يسّر تواتره وأسباب ذلك وسلمه من التبديل والتغيير حتى حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حياة النبي (ﷺ) فاستقر بين الأمة بمسمع من النبي (ﷺ) وصار حفاظه بالغين.

وقد ورد عن القاضي إسماعيل بن إسحاق البصري أنه سُئل عن السر في تطرق التغيير للكتب السالفة وسلامة القرآن الكريم من طرق التغيير له فكان جوابه بأن الله سبحانه أوكل للأحبار حفظ كتبهم فقال: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ...﴾ المائدة ٤٤ وتولى حفظ القرآن الكريم بذاته تعالى فقال جل جلاله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩

(١) ينظر: التحرير والتنوير : ١٧/١٣ وما بعدها.



وقد ورد على هذا الاستدلال إشكالات عدة، منها:

أ - إنه لا دليل على كون المراد من الحفظ فيها هو الحفظ عدم التلاعب والتغيير والتبديل بل من المحتمل أن يكون المراد من الحفظ هو العلم، فمعنى قوله تعالى: (وإننا له لحافظون) إننا له لعالمون، فلا دلالة فيها حينئذ على عدم التحريف بوجه أو إنه على تقدير كون المراد من الحفظ هو الصيانة، لكن تحتمل أن يكون المراد هو صيانتها عن القدح فيه وعن ابطال ما يشتمل عليه من المعاني والمطالب الشامخة والتعاليم الجليلة.

الجواب على الاحتمال الأول هو وضوح عدم كون الحفظ - لغة وعرفاً - بمعنى العلم، فإن المراد منه هو الصيانة، وأين هو من العلم بمعنى الإدراك والاطلاع، ومجرد الاحتمال إنما يقدم في الاستدلال إذا كان احتمالاً عقلاً منافياً بانعقاد الظهر للفظ، ومن الواضح عدم ثبوت هذا النحو من الاحتمال.

أما مآل ما ذكر إلى أن القرآن الكريم حافظ لنفسه بنفسه، لاستحكام حقائقه ومثانة معانيه وعلو مقاصده، والآية تدل على افتقاره إلى حفظ غيره وهو الله سبحانه الذي انزله، فأين هذا من ذاك؟

ب - إن الذكر هو الرسول (ﷺ) فقد ورد استعمال الذكر فيه في قوله تعالى: (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ) الطلاق: ١٠ - ١١ فيكون مرجع الضمير في قوله (له) هو الرسول (ﷺ) والمعنى: وأنا لمحمد (ﷺ) لحافظون، وهو قول القراء وقول ابن الأنباري هذا القول.

إلا أن هذا الاحتمال غير تام، لأن المراد بالذكر هو القرآن الكريم في الآيتين بقريئة التفسير بالتنزيل والإنزال، ولو كان المراد هو الرسول (ﷺ)



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

لكان المناسب أن يأتي بلفظ الإرسال أو ما يقاربه في المعنى، على أن هذا الاحتمال لو تمّ في آية سورة الطلاق كما هو الظاهر منها، فلا يتم في آية الحفظ لكونها مسبوقه بما يدل على أن المراد هو الكتاب ، وهو قول سبحانه: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ* لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ الحجر: ٦- ٨

فكأن هذه الآية وقعت جواباً عن قولهم وإقترانهم، وهو أن المجنون لا يمكن له حفظ الذكر ولا يليق بأن ينزل عليه، فأجابهم الله تبارك وتعالى بأن التنزيل إنما هو فعل الله تعالى وهو الحافظ له عن التحريف والتغيير، قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: ٩

ج- إن مدعي التحريف في القرآن الكريم يحتمل وجود التحريف في هذه الآية نفسها ، لأنها بعض آيات القرآن الكريم فلا يكون الاستدلال بها صحيحاً حيث يثبت عدم التحريف، فلو أردنا أن نثبت عدم التحريف بها كان ذلك في الدور الباطل.

الجواب على ما سبق إن هذه الشبهة إنما تستحكم لو عزلت العترة الطاهرة عند الخلافة الإلهية ولم يعتمد على أقوالهم وأفعالهم ، وأما من يرى أنهم نجح الله تعالى على خلقه وأنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك ، وأمن بامضائهم للكتاب الموجود ، فإنه يرتفع هذا الإشكال عنه؛ لأن دلالة هذه الآيات على عدم التحريف في القرآن الكريم تتوقف على كونها غير محرفة ثبت بامضاء أهل البيت (عليهم السلام) لها على ما هي عليه ، فهي حجة في مدلولها، ومدلولها ظاهر في عدم تحريف القرآن الكريم ولا يتوقف على عدم التحريف في القرآن الكريم ومتى اختلف الموقوف عن الموقوف عليه ارتفع الدور.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وان الاستدلال بهذه الآية إن كان في مقابل من يدعي التحريف في موارد مخصوصة هي الموارد الي دلت عليها روايات التحريف فلا مجال للمناقشة فيه لعدم كون آية الحفظ من تلك الموارد على اعترافه لوضوح أنه لم ترد رواية تدل على وقوع التحريف في آية الحفظ أصلاً.

وإن كان في مقابل من يدعي التحريف في القرآن الكريم - إجمالاً بمعنى أن كل آية عنده محتملة لوقوع التحريف فيها ، وسقوط القرينة الدالة على خلاف ظاهرها عنها، فتارة يقول القائل بهذا النحو من التحريف بحجية ظواهر الكتاب مع وصف التحريف، وأخرى لا يقول ذلك بل يرى أن التحريف مانع عن بقاء ظواهر الكتاب على الحجية وجواز الأخذ والتمسك بها، ويعتقد أن الدليل على عدم الحجية هو وقوع التحريف نفسه.

٣- الأدلة الروائية: ومن هذه الأدلة نذكر ما يلي:

أ - الأخبار الكثيرة المروية عن النبي (ﷺ) من طرف الفريقين الآمرة بالرجوع إلى القرآن الكريم عند الفتن وفي حل عقد المشكلات.

ب - وكذا حديث الثقلين المتواتر من طرف الفريقين: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدي بدأً^(١)).

(١) وسائل الشيعة : ٣٤/٢٧



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

فإن القول بالتحريف يستلزم عدم إمكان التمسك بالكتاب مع أن الحديث يدل على نفي الضلال أبداً عمَّن تمسك به.

ج- وكذا الروايات المستفيضة بل المتواترة الواردة عن النبي الاكرم (ﷺ) والعترة الطاهرة (عليهم السلام) الدالة على عرض الروايات والأخبار المروية عنهم على الكتاب والأخذ بما وافقه منها ، وطرح ما خالفه، ونحو ذلك. فالروايات الواردة عن الإمام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) وسائر الأئمة (عليهم السلام) وتمسكهم بمختلف الآيات القرآنية في كل باب على ما يوافق القرآن الكريم الموجود عندنا يدل دلالة قاطعة على أن الذي بين أيدينا من القرآن الكريم هو القرآن النازل على النبي (ﷺ) من غير أن يفقد شيئاً من أوصافه الكريمة وآثارها وبركاتها.

ثالثاً / روايات التحريف: (١)

يستند القائلون بتحريف القرآن الكريم مرّة على روايات قد أسيء فهمها نتيجة عدم الوصول لما كانت ترمز إليه من معنى، وأخرى على روايات ضعيفة السند.

ويمكن تقسيم روايات التحريف إلى ثلاثة أقسام:-

١ - الروايات القائلة إن علياً (عليه السلام): شرع بجمع القرآن الكريم بعد وفاة النبي (ﷺ) وعندما جمعه وعرضه على جمع من الصحابة ممَّن تربعوا في مقام الخلافة فلم يقبلوه منه ، فقال علي: (ﷺ) (إنكم لم تروه بعد الآن أبداً).

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢١/٨ - ٢٤



وبنظرة فاحصة الى تلك الروايات نصل إلى أن القرآن الكريم الذي كان عند علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يختلف مع بقية النسخ من حيث المضمون، سوى اختلافه من حيث العرض والترتيب في ثلاثة أمور:

أ - إن آياته وسوره كانت مرتبة حسب تاريخ النزول.

ب - تثبت سبب النزول. لكل آية وسورة.

ج - تضمن تفسير النبي (صلى الله عليه وسلم) للآيات فضلاً عن ذكر الناسخ والمنسوخ.

فالقرآن الكريم جمعه أمير المؤمنين (عليه السلام) ليس إلا عين القرآن الموجود سوى أنه أضاف إليه: (تفسير) و (التأويل) و (سبب النزول) و (بيان الناسخ و المنسوخ) وما شابه ذلك. وبعبارة أخرى كان قرآناً مع تفسيره الأصيل.

٢- الروايات المشيرة إلى (التحريف المعنوي) للقرآن الكريم:

إن التحريف كما نعلم - على ثلاثة أضرب: (لفظي و معنوي، وعملي).

فالتحريف اللفظي هو تغيير ألفاظ وعبارات القرآن الكريم وحصول الزيادة والنقصان فيها.

وهذا - والكلام لصاحب الأمثل - ما نرفضه بشدة وجميع محققي الإسلام وتنكره إنكاراً قاطعاً.

والتحريف المعنوي: هو تفسير الآية خلافاً لمفهومها ومعناها الحقيقي، أما التحريف العملي فهو العمل على خلاف المقضى.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

٣- الروايات المختلفة: فقد سعى أعداء الدين والمنحرفون عن الصراط المستقيم وتبعهم الجملة في اختلاف بعض الروايات للحط من شرف القرآن الكريم وقدسيته ، ومنها الروايات التي رواها (أحمد بن محمد بن السيارى) وبالغة (١٨٨) رواية وقد استدل العلامة الشيخ النوري بكثير من هذه الروايات في كتابه (فصل الخطاب)، والسيارى هذا مضمون عند كثير من علماء (علم الرجال) ويقولون عليه كان فاسد المذهب، لا يعتمد عليه ضعيف الرواية والحديث.^(١)

وعلى قول بعضهم إنه من أهل الغلو منحرف ، معروف بالتقول بالتناسخ، وكذاب، ويقول عنه الكشي (صاحب كتاب الرجال المعروف): أن الإمام الجواد (عليه السلام) وصف إدعاءات السيارى في رسالته بأنها باطلة.

مع أن روايات التحريف غير مقتصرة على السيارى، إلا أن أكثرها وأهمها تعود إليه.

و بين هذه الروايات المزيفة ما تُضحك الشكلي وينكرها كل ذي لب لبيب ، وعلى سبيل المثال ما جاء في إحداها بخصوص الآية الثالثة من سورة النساء: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ النساء: ٣ ، أنه قد سقط بين شرفها وجزائها ثلث القرآن الكريم!!! .

وقد ذكرنا - والكلام لصاحب الأمثل - في تفسير الآية الآنفة الذكر، ان الشرط والجزاء في الآية مرتبطان ارتباطاً تاماً ، ولم يسقط من بينهما ولو كلمة

(١)أورد هذا الإحصاء مؤلف كتاب البرهان تحريف أسفار السابقين للمؤلف أحمدعبد الوهاب



واحدة أضف إلى ذلك أن ثلث القرآن الكريم ما يعادل أربعة عشر جزء منه تقريباً ، فكيف يرعى هذا المرعي مع ما للقرآن الكريم من كتاب وحي وحفاظ وقراء منذ عهد النبي (ﷺ) وهل يُعقل أن يحصل ذلك دون أن يلتفت إليه أحد؟! وكان هؤلاء لم يعيشوا ويعاشوا التاريخ بواقعيته وجلائه، ألم يثبت التاريخ بأن الشيء الأساسي في حياة المسلمين هو القرآن الكريم؟ إذن فكيف يحتمل إسقاط كلمة واحدة دون أن يلتفت إليه أحد، فضلاً عن كون السقط ثلث القرآن الكريم!؟

لا يسعنا إلا أن نقول إن كذبة بهذه المواصفات لدليل جلي على سذاجة

واضعي مثل هذه الأحاديث.

وقد اعتمد الكثير من المتذرعين في إثبات تحريف القرآن الكريم على كتاب (فصل الخطاب) ولا بُدَّ من الإشارة إلى غرض وغاية هذا الكتاب (فصل الخطاب) عن طريق ما كتبه المؤلف العلامة (الشيخ آغا بزرك الطهراني) في الجزء الأول من كتاب (مستدرک الوسائل) ، حيث يذكر أنه سمع من استاذه مراراً أن ما في كتاب فصل الخطاب لا يمثل عقيدتي الشخصية، إنما ألفته للبحث والمناقشة ، وأشرت فيه إلى عقيدتي في عدم تحريف القرآن الكريم دون أن أخرج ، وكان من الأفضل أن أسميه فصل (الخطاب في عدم تحريف الكتاب).

ثم يقول المحدث الطهراني: هذا ما سمعناه من قول شيخنا نفسه، وأما عمله فقد رأيناه يقيم وزناً لما ورد في مضامين الأخبار، ويراهم أخبار آحاد لا بُدَّ أن



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

تُضرب عرض الحائط ، ولا أحد يستطيع نسبة التحريف إلى إسنادها إلا من هو غير عارف بعقيدته ومراده.

وأخيراً... فالأيادي المغلولة لا يسعها في هذا المجال إلا أن تبذل كل جهودها للنيل من أصالة وعظمة وقدسية كتاب السماء عند المسلمين عن طريق بث الخرافات والأباطيل.

و طالعتنا الصحف - والكلام للعلامة الشيرازي - من مدة ليست بالبعيدة بأن أيادٍ إسرائيلية صهيونية قامت بطبع نسخة جديدة للقرآن الكريم. غيروا فيها كثيراً من الآيات القرآنية، وكما هو موجود فقد انسبه علماء المسلمين بسرعة لهذه الدسيسة الخبيثة وجمعوا تلك النسخ فباءت محاولتهم بالفشل والخذلان - وفات هؤلاء الأعداء من أصحاب القلوب الداكنة إن نقطة واحدة لو غيرت في القرآن الكريم فسيعيدها إلى نصابها المفسرون والحفاظ وقراء هذا الكتاب العظيم، قال سبحانه في كتابه العزيز: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة: ٣٢.

ولنذكر مثالين عن تحريف القرآن الكريم بأشكاله المختلفة - :

- قال تعالى في سورة النساء: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالْأَسْنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴾ النساء: ٤٦

الآية تتحدث عن جانب من أعمال اليهود فتقول من أعمالهم تحريف الحقائق وتغيير حقيقة الأوامر الإلهية (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) أي أن جماعة من اليهود يحرفون الكلمات عن مواضعها. وهذا



التحريف قد يكون له جانب لفظي ، وقد يكون له جانب معنوي وعملي والعبادات اللاحقة فتفيد ان المراد من التحريف في المقام هو التحريف اللفظي وتغيير العبادة ، لأنه تعالى يقول بعد هذه الجملة: (ويقولون سمعنا وعصينا) أي بدل أن يقولوا (سمعنا وأطعنا) يقولون سمعنا وعصينا) وهذا يشبه تماماً كلام من يقول مستهزئ (منك الأمر ومنا عدم السماع) هذا و العبارات الأخرى في هذه الآية خير شاهد على هذا القول (١)

ولصاحب تفسير التحرير والتنوير رأي بهذه الآية قال فيه: (٢)

التحريف الميل بالشيء إلى الحرف وهو جانب الشيء وحافته، وهنا مستعمل في الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل ، كما يُقال: تنكب عن الصراط، وعن الطريق ، إذا أخطأ الصواب وصار إلى سوء الفهم أو التقليل فهو على هذا التحريف معاني القرآن الكريم بالتأويلات الفاسدة ، ويجوز أن يكون التحريف مشتقاً من الحرف وهو الكلمة والكتابة، فيكون مراداً به تغيير كلمات التوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتوافق أهواء أهل الشهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال والظاهرة أن كلا الأمرين قد إرتكبه اليهود في كتابهم ، وما ينقل عن ابن عباس أن التحريف فساد التأويل ولا يعمل قوم على تغيير كتابهم ، ناظراً إلى غالب أحوالهم ، فعلى الاحتمال الأول يكون استعمال عن في قوله (عن مواضعه) مجازاً ، ولا مجاوزة ولا مواضع وعلى الثاني يكون حقيقة إن التحريف حينئذ نقل وإزالة.

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٧٣/٣

(٢) ينظر: التحرير والتنوير : ٤ / ١٤٥ - ١٤٦.



المطلب الخامس

خصائص الكلام القرآني وأثره وفي التفسير:

المقصود بخصائص الكلام الإهتمام بها في عملية تفسير الكتاب المبارك للوصول إلى مراد الله سبحانه من كلامه المبارك عن طريق الوقوف على أركان الكلام الثلاث: مخاطب، ومخاطب، والخطاب (الموضوع)

أولاً / مكانة خصائص الكلام القرآني: لكل كلام مقدس أو غير مقدس له من الشروط والأحوال ما تختص به وبفهمه من قبل المقابل بمساعدة أركانه الثلاث الأنفة الذكر في زمان ومكان ما ، مع كيفية طرح ذلك الكلام وطريقة إيصاله للمخاطب وتأثير المخاطب فيه ، لغرض الوصول إلى المراد، فالقرآن الكريم خير كلام يحوي ما ذكرناه من الأركان بأتم صورة وأسهل طريقة ، لذا من الواجب على المفسر لكتاب الله سبحانه الوقوف عليها ومراعاته لمعرفة مراده سبحانه.

و القرآن الكريم يحمل خصائص لغة العرب فهو يحمل مفردات وألفاظ وكلام تلك اللغة ومواردها وأبنيته وحركاتها وتراكيبها ، إلا أن ذلك الكلام بخصائص بيانه وصياغته وبلاغته يهز سمعك ويملأ قلبك نوراً وتثلج صدرك إلا الذين على قلوب أقفالها.

فكلام العرب خصائصه لامعة إلا أن خصائص كلام القرآن الكريم أكثر لمعاناً ، بالدرر الإلهية.

فإذا كان في لغة القرآن الكريم ونظمها إمتاع للنفس ومشاعر لعاطفة فإن فيها أيضاً ذلك التسجيل الواضح لدور العقل



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وتحريكه وإقناعه ، فقوة البيان توفر الحظ الجيد والأوفر للمرحلة العقلية والوجدانية، فكل امرئ حينما يسحرة البيان يتأمل فيه ويفكر ويستشير أفكاره ويبسطها على نفسه ليستخرج منها شراباً خالصاً يستقي منه قلبه الحائر فهو: ﴿تَشْعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُ﴾ (١) الزمر: ٢٣. فهذه صفة الأبرار عند سماع كلام الله سبحانه ، الجبار المهيمن، العزيز الغفار فيفهمون من ذلك القول المبارك وعدهم ووعيدهم.

ثانياً / خصائص اللغة العربية: امتازت اللغة العربية بخصائص لم نجدها مجتمعة في لغة أخرى ، وهذه الخصائص عديدة يصعب حصرها في هذا المجال إلا أننا نكتفي بنماذج منها مما ذكره الدكتور (علي الوردى) في كتابه (اسطورة الأدب الرفيع): (٢)

١ - كثرة المترادفات في المعنى الواحد ، فللبعير مثلاً ألف اسم وللأسد خمسمئة وللعسل ثمانون، وللشعبان مئتان و للسيف ألف، وللواحية أربعة آلاف.... ويدعي بعض اللغويين أن هذه ليس مترادفات إنما هي تُشير إلى أنواع مختلفة من الشيء الواحد لكن من الصعب قبول هذا الرأي، فليس من المعقول أن يكون هناك خمسمئة نوع من الأسود في جزيرة العرب، أو مئتا نوع من الثعابين.

٢ - وفي اللغة العربية ألفاظ لها معاني عدة فللخال مثلاً ثلاثون معنى، وللعين أربعين وقد تعطي اللفظة معنيين متباينين فلا ندري أيضا المقصود فلفظة (أنى)

(١) ينظر: القرآن عند الشيعة، السيد بسام مرتضى العاملي: ١٢.

(٢) ينظر: إسطورة الأدب الرفيع، د. علي الوردى: ١٢٨-١٣٢.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

بمعنى (أين) عادة، ولكنها قد تأتي بمعنى (متى) أحياناً. ولهذا اختلف المفسرون في تفسير آية ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ البقرة: ٢٢٣ - فمنهم من فسرها بمعنى الوقت حيث أجاز للرجل أن يأتي زوجته متى يشاء ومنهم من فسرها بمعنى المكان فأجاز للرجل إتيان المرأة في أي موقع منها... وكان الجدل في هذا الموضوع طويلاً.

٣- قد تعطي اللفظة في اللغة العربية معنيين متناقضين فـ (الجون) يعني الأبيض والأسود وقد يأتي أيضاً بمعنى الأحمر الخالص. ويقول العرب (أخال) فلا يدري السامع أهو شاك أو موقن، لأن الخيلولة تدل على الشك واليقين معاً والربيع يدل على الفصل الذي يسبق الشتاء وعلى الفصل الذي يليه أيضاً ويُطلق اسم الند على المثل وعلى الضد في آن واحد.

٤- في الأعم الأغلب ما تأتي للاسم المفرد جموع عدة، فالعبد يجمع على عبيد وعباد وعبدون وأعبد وأعباد وعبدان (بضم العين) وعبدان (بكسر العين) وعبدان (بكسر العين وتشديد الدال) وتأتي فوق ذلك صيغ جمع الجموع، فيقال أعباد ومعابد وأعبدة، وربما كان هناك صيغ أخرى.

٥- وقد تتنوع مصادر الأفعال الثلاثية من غير فرق بالمعنى، فمصدر (وجد) قد يكون (وجوداً) و (وجدة) أو (وجداناً) أو (وجداً) بفتح الواو أو (وجداً) بضم الواو، و مصدر (خص) قد يكون خصاً وخصوصاً وخصوصة وخصوصية وتخصه وخصيبي وخصيصاء.

٦- وقد تتغير بنية الكلمة فيقدم فيها حرف أو يؤخر من غير أن يتغير المعنى فتأتي (حبذ) مثلاً بمعنى (جذب) و (بض) بمعنى (ضب) و (لبك)



بمعنى (بكل) و (طسم) بمعنى (طمس) ، والأغرب من ذلك أن يأتي (الأب) بمعنى (العم) أو تأتي (خالة) بمعنى (الأم) .

٧- وقد يُضاف حرف إلى الكلمة من أجل الزينة أو التنقيح دون أن يكون له معنى وربما أدت زيادة الحرف على عكس المعنى أحياناً، فالعربي قد يقول (ما منعك أن لا تقوم) ويعني به ما منعك أن تقوم وهو قد يقول (اذا ما جئت) يقصد به (اذا جئت) .

٨- قد يُؤتى بالفعل الماضي ويُقصد به المضارع ، أو يؤتى بالمضارع ويقصد به الماضي.

فالعربي يقول: (لو أترك لمن يأتي بعدي شيئاً)

٩ - وقد يُذكر الفرد ويقصد به الجمع كأن يُقال عدو، وضيف ، وطفل في مكان أعداء ، وضيوف ، وأطفال ، وقد يُذكر الجمع ويراد به المفرد، فيُقال: ثوب أخلاق وأرض أقفار وجفنة أكسار ، وقدر اعشار.

١٠ - ومن الممكن تحويل الكلام من المخاطبة إلى الكناية أو من الكناية إلى المخاطبة بلا دمج ، فيقال مثلاً: (يادار فلان انهدمت) أو يُقال: (اذا كنت في البادية وهمَّ عليه الأسد) أي هجم عليك الأسد.

١١ - ويجوز حذف كلمة أو جزء من الكلمة على سبيل الاختصار أو ثقة بفهم المخاطب فالعربي يقول: (لو أتاني غيرك ولكني لا اعتذر إليك) .

١٢ - ويجوز تركيب الجملة على أنماط شتى من غير أن يظهر اختلاف في معناها. فقد يأتي الفصل قبل الفاعل أو بعده ، وقد يأتي الفاعل بعد المفعول به



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وقبله. وقد يحشر بين المبتدأ والخبر ما شاء الله من الكلمات كما وجوز بعضهم الفصل بين المضاف والمضاف إليه أيضاً ، فقال : (هو غلام - ان شاء الله - ابن أخيك)

أو قال (ان النشأة لتجتر فسمع صوت و الله بها)

فكل ما ورد من خصائص أهي محاسن أم مساوي؟؟

للإجابة على هذا السؤال نقول: (١)

كان اللغويون القدامى يعتبرون هذه الخصائص من المحاسن التي امتازت بها اللغة العربية على غيرها. فهي في نظرهم تدل على مرونة اللغة وسهولة التعرف بها اما المحدثون فهم يرون العكس من ذلك ، أنهم يعدون تلك الخصائص دليلاً على ميوعة اللغة لا مرونتها ، إذ هي في نظرهم تجعل اللغة غير دقيقة في تعبيرها ، وكثيراً ما تنقلب المعاني بها فيحتاج إلى البحث والتردي لكي يفهم مقصد المتكلم منها.

والظاهر أن هذا الاختلاف في تقدير اللغة يرجع إلى الإختلاف في الغاية التي يقصدها الناس من اللغة ، فالمحدثون يعتبرون اللغة وسيلة للتعبير وهي لذلك يجب أن تكون دقيقة في تصوير معانيها لكي يفهمها السامع والقارئ بيسر ووضوح.

(١) ينظر : اسطورة الأدب الرفيع : ١٣١ .



أما القدماء من العلماء يعدون اللغة غاية مقصودة لذاتها واتضح هذا عند العرب بشكل كبير، فقد ذهب بعضهم إلى القول بأن اللغة العربية، جزء من الدين وهي إذن مقدسة يجب عليها أخذ كل ما نزل به الوحي.

و ان بعضهم كانوا يرون اللغة القرآنية بوصفها من عند الله سبحانه فهي خلقه والله سبحانه قادر أن يجعلها منذ البداية كاملة تؤدي وظيفتها كأحسن ما تكون التأدية فكل ما لها من خصائص وأحوال إنما هو من فضل الله سبحانه ومشيئته.

وذهب بعض المسلمين إلى القول بأن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة، ومعنى هذا أن جميع المؤمنين سيتكلمون بها في اليوم الآخر، ولا فرق في ذلك بين العرب والعجم منهم ، والجدير بهم إذن أن يتمرنوا عليها منذ الآن أن كانوا يطمعون بدخول الجنة وأما إن كانوا من أهل النار فالأولى بهم تعلم لغة أخرى من لغات الكفار والمنافقين

ثالثاً / تأثير الخصائص في التفسير:

١ - تأثير خصائص المتكلم في معرفة مراد الآيات: قال تعالى: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ ﴾ ال عمران: ٩٧. مفاد هذا الخطاب هو الأمن لمن دخل بيت الله الحرام مع أننا نرى برؤية العين وقوع الفتن والحوادث فيه من جانب.. وتعلم أن الله تعالى مخبر صادق لا يكذب من جانب آخر، فيحصل للمفسر بملاحظة هذه الخصوصية في المتكلم أن الأخير لم يرد بظاهر الكلام خصوصية تكوينية، بل إما لبيان حكم تشريعي أي يخبر بها عن



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

التشريع، بمعنى ضرورة أن يكون من دخل الحرام آمناً ، أو الأمان المقيد بقيد خاص. (١)

ويدل على هذا العدول عن الظاهر ما رواه المجلسي عن ابي عبد الله (عليه السلام) في: احتجاجه على ابي حنيفة في بطلان تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ سبأ: ١٨ . فقال الإمام: (أي موضع هذا؟ فقال ابو حنيفة: هو بين مكة والمدينة ، فالتفت ابو عبد الله إلى جلسائه وقال: نشدكم بالله هل تسيرون بين مكة والمدينة ولا تأمنون على دمائكم من القتل وعلى أموالكم من السرقة؟ فقالوا: • اللهم نعم ، فقال ابو عبد الله: ويحك يا أبا حنيفة ان الله لا يقول إلا حقا. أخبرني عن قول الله عزوجل: (ومن دخله كان آمنا) أي موضع؟ قال: ذلك بيت الله الحرام ، فالتفت ابو عبد الله إلى جلسائه ، وقال: نشدكم بالله هل تعلمون أن عبد الله بن زبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنوا القتل؟ قالوا: اللهم نعم ، فقال ابو عبد الله يا أبا حنيفة ان الله لا يقول إلا حقا) . (٢)

٢- تأثير خصائص المخاطب: لا يخفى أن لخصائص المخاطب أيضاً تأثيراً في فهم القرآن الكريم وذلك لأن المتكلم الحكيم الواقف على خصائص مخاطبه يلاحظ حالته الخاصة في خطاباته ، فلا يتكلم بما لا يليق بشأنه. ومن الأمثلة على ذلك المخاطبة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بما يوهم المعاتبة والمؤاخذة أو صدور الذنب عنه كقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى

(١) ينظر كل من: الميزان في تفسير القرآن : ٣/ ٣٥٤ ، منهج تفسير القرآن ، محمود رجبى : ١٣٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٢ / ٢٨٧ .



حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ ﴿الأنفال: ٦٧﴾. وقوله عز شأنه في موضع آخر: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ التوبة: ٤٢. ومن ثم قوله سبحانه في سورة الأحزاب: (وتخشى الناس واللّه أحق ان تخشاه) الأحزاب: ٣٨ ، وفي سورة الضحى قال سبحانه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ الضحى: ٧.

فيجب في تفسير هذه الآيات وما شابها رعاية خصيصة المخاطب، وهي العصمة من الذنوب كلها وعدم جواز الضلال على النبي (ﷺ) قبل النبوة ولا بعدها.

وفسر العلامة الطباطبائي قوله سبحانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ التوبة: ٤٢ فقال ان الآية في مقام دعوى ظهور كذبهم [المنافقين] ونفاقهم، وأنهم مفتضحون بأدنى امتحان يمتحنون به، ومن مناسبات هذا المقام إلقاء العتاب إلى المخاطب وتوبيخه والإنكار عليه كأنه هو الذي ستر عليهم فضائح أعمالهم وسوء سريرتهم، وهو نوع من العناية الكلامية يتبين به ظهور الأمر ووضوحه لإيراد أزيد من ذلك، فهو من أقسام البيان على طريق (إياك أعني واسمعي يا جارة) ، فالمراد بالكلام، اظهار هذه الدعوى لا الكشف عن تقصير النبي (ﷺ) وسوء تدبيره في إحياء أمر الله سبحانه وارتكابه بذلك ذنباً عظيماً. (١)

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٢٨٣/٩



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

٣- تأثير مقام الكلام والآيات: إن المراد من مقام الكلام العرف الذي صيغ له الكلام ، كما اذا مدح المتكلم شيئاً كان المقام مقام المدح وإذا ذم شيئاً كان المقام مقام الذم.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ المطففين: ٩ ، ذكر العلامة الطباطبائي رأياً للراغب الأصفهاني قال فيه: الرقم الخط الغليظ وقيل هو تعجيم الكتاب ، وهذا القول (كتاباً مرقوم) حمل على الوجهين والمعنى الثاني نسب للمقام فيكون إشارة إلى كون ما كتب لهم متيناً لا إبهام فيه، أي ان القضاء محتم لا يختلف.^(١)

من كل ما ورد يتبين للقارئ ان لخصائص الكلام دور مهم ومميز في فهم مُراد الله سبحانه من قوله المبارك وهذا ينبع من ميزات خاصة للفظ القرآني تجعله بهذا التميز ، لذا فاللفظ القرآني إمتاز عن غيره من الألفاظ السائدة في كلام - العرب - تجعل له هذه الخصوصية - بسماتٍ - عدة لها ذلك الأثر الواضح في تفسير القرآن الكريم، منها:

- جمال وقوعه في السمع.

- انسجامه الكامل في المعنى.

- اتساع دلالاته لما لا تتسع له عادة دلالات الألفاظ الأخرى.

- امتيازه بالإطلاقية التي تجعل الإحاطة به مطلقاً أمراً مستحيلًا في أي زمان ومكان.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٣٢



المطلب السادس

البسمة ما هيبتها وآثارها

١ - المعارف الإلهية للبسمة: أن آية البسمة تشمل على كثير من المعارف الإلهية لاسيما الصفات الراجعة الى ذات الباري عز وجل وفي اختيار صفتي الرحمان والرحيم ما فيه البشارة للإنسان من كونه مورد رحمته وعطفه سبحانه مهما تعددت أسباب الشر وقويت كما وفيها إرشاد إلى تعليم الانسان لتوفي الرحمة والمودة في أفعاله ليعرف ويفهم أنه مؤمن بالله تعالى ومؤمن بأن كل أموره بيده سبحانه وأنه سيقى محتاجاً لله عزوجل مهما بلغ به الكمال وعليه بالمقابل إيكال أمره لله الغني الرؤف الرحيم الذي لا يُقاس به أحد.

والبسمة هي بداية لكل عمل تعلمنا الإستمداد من الباري سبحانه لدى البدء بأي عمل مهما كان.^(١)

والبسمة اسم لكلمة (بسم الله) صيغ هذا الاسم على مادة مؤلفه من حروف الكلمتين (باسم، الله) على طريقة النحت وهو صوغ فعل مضى على زنة فعلل مؤلفة مادته من حروف جملة أو حروف مركبة التركيب الإضافي، ممّا ينطق به الناس اختصاراً مع ذكر الجملة كلها لقصد التخفيف لكثرة دوران ذلك على الألسن.

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠/١٩



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وقد استعمل العرب النحت في النسب إلى الجملة أو المركب إذا كان في النسب إلى صور ذلك أو إلى عجزه التباس، كما قالوا في النسبة إلى عبد شمس (عشمي) : خشية الالتباس بالنسب إلى عبد أو إلى شمس ، وفي النسبة إلى عبد الدار (عبدري) كذلك وإلى حضر موت حضرمي

ولا خلاف بين المسلمين في أن لفظ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هو لفظ قرآني لأنه جزء آية من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ النمل: ٣٠ كما أنهم لم يختلفوا في أن الافتتاح بالتسمية من الأمور المهمة الواردة في الإسلام ، وعليه: قال الجمهور أن البسمة رسمها الذين كتبوا المصحف في أوائل السور ما عد سورة (براءة) والاختلاف كان في أن البسمة هل هي آية من سورة الفاتحة ومن أوائل السور غير براءة بمعنى أن الاختلاف بينهم ليس في كونها قرآناً ، ولكنه في تكرار قرآنتها، وذهب فريق أنها ليست بآية من أوائل السور لكنها جزء آية من سورة النمل ، وذهب آخرون إلى أنها آية في أول سورة الفاتحة خاصة ، وفريق ثالث قال بأنها آية من كل سورة ، وستفصل في ذلك:

والبسمة مختلف في كونها آية من أول كل سورة غير براءة ، أو آية من أول سورة الفاتحة فقط ، أو ليس بآية من أول شيء من السور، فإن القراء انفقوا على قراءة البسمة عند الشروع في قراءة سورة من أولها غير براءة ورووا ذلك عمّن تلقوا ، فأما الذين يروون - اجتهاداً أو تقليداً - أن البسمة آية من أول كل سورة غير براءة، فأمرهم ظاهر ، وقراءة البسمة في أوائل السور واجبة عندهم لا محالة في الصلاة وغيرها ، وأما الذين يروون البسمة آية من أوائل السور كلها أو ما عدا الفاتحة فإن قراءتهم البسمة في أول السور عند الشروع في قراءة سورة مسبوقة بقراءة سورة قبلها فعلى بأختفاء اثر كتاب المصحف ، أي قصد المتشبه فيه



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

مجرد ابتداء فعل تشبيها لابتداء القراءة بابتداء الكتابة، فتكون قراءتهم بالبسملة أكبر من الأمور المستحبة للتأسي في القراءة بما فعله الصحابة الكاتبون للمصحف، فقراءة البسملة عند هؤلاء نظير النطق بالاستعاذة ونظير التهليل والتكبير بين بعض السور في آخر المفصل ولا يبسملون في قراءة الصلاة الفريضة وهؤلاء إذا قرأوا في صلاة الفريضة تجري قراءتهم على ما انتهى إليه فهمهم في أمر البسملة من إجتهد أو تقليد وبهذا تعلم أنه لا ينبغي أن يؤخذ من قراءتهم قول لهم بأن البسملة آية من كل سورة.^(١)

وعليه فالبسملة آية من كل سورة ويجب استهلال السور المباركة بالبسملة إلا سورة التوبة التي بدئت بالبراءة من قبل الله سبحانه للمشركين وإعلان الحرب عليهم، واتباع أسلوب شديد لمواجهةهم وبيان غضب الله سبحانه عليهم، وكل ذلك لا يتناسب والبسملة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الدالة على الصفاء والصدق والسلام والحب، والكاشفة عن صفة الرحمة الإلهية، وقد ورد هذا التعليل على أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: (ألم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة (براءة) لأن بسم الله للأمان والرحمة ونزلت براءة لرفع الأمان)^(٢)

ويعتقد بعض المفسرين أن سورة براءة في حقيقتها تنمة لسورة الأنفال السبب لأنها - أي سورة الأنفال - تتحدث عن العهود والتوبة تتحدث عن نقض تلك العهود فلم تذكر البسملة بين السورتين لإرتباط بعضها ببعض^(٣)

(١) ينظر كل من : وسائل الشيعة، والحر العاملي : ٧٥/٦ - باب البسملة، التحرير والتنوير

١٤٢/١:

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ٣٥٩/٥

(٣) ينظر : المصدر نفسه .



٢ - معاني أحرف وكلمات البسمة :-

قال السيد السبزواري (رحمه الله تعالى) في تفسير كلمة (بسم) الباء للإستعانة لأن الإنسان مفتقر بذاته والمحتاج المطلق لا بد أن يستعين في جميع شؤونه بالغني المطلق الذي هو الله تعالى ، والممكنات في ذاتها وعوارضها وحدوثها وبقائها محتاجة إليه فهي بلسان الحال تستعين به سبحانه فقدرت الاستعانة في المقال تطبيقاً بين لساني الحال والمقال.(١)

والباء في المقام تفيد الإلصاق ومعنى ذلك أنها مظهر الارتباط بين متعلقها واسم الله في القول المبارك ، ولم يُذكر متعلق الباء مع احتياج الجار والمجرور إلى متعلق لإيضاح المعنى ، لأن القول المبارك (البسمة) يُراد منه بيان جهة، وبيان العلة التي من أجلها خلق الله سبحانه الخلق من جهة ، وبيان الكيفية التي أرادها سبحانه لبلوغ خلقه الغاية من خلقهم من جهة أخرى، وهذا يعني أن متعلق الباء هو كل شيء شاء سبحانه في ما كان وما هو كائن وما سيكون ، وإذ ذاك فالأمر من العموم بما لا يستدعي ذكره ، فكل شيء أراد الباري إنما لأجل تعلقه بالأسم الظاهر في الآية المباركة آية البسمة. (٢)

للحروف معنى أصيل ومعاني تتمظهر فيها، ف (الباء) مثلاً معناها الأصيل هو الإلصاق، ولها معان عدة قد تتمظهر فيها مثل الاستعانة، ومنها قوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِيُنْزِلَ لَهُمْ ﴾ آل عمران: ١٥٩ ، والسببية كما في قوله تعالى: ﴿ فَكَلَّمْنَا بَدْنَهُ ﴾ العنكبوت: ٤٠ ، وكذا الظرفية كقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ آل عمران: ١٢٣. (٣)

(١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ، السيد عبد الأعلى السبزواري : ١٧/١

(٢) ينظر: مع القرآن (حوار في فهم بعض آيات مقاصد الذكر الحكيم) ، عباس آل وهب الشمري: ١١

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ١٣



فكيف السبيل لمعرفة المعنى الأصيل للحرف؟

يمكن للباحث في مجال العلوم القرآنية وأسرار الحروف العربية التعرف على المعنى الأصيل بأنه الحرف المختفي دلالة في القول كأنه يبحث في المعنى الباطل مقارنةً بباقي الحروف الباحثة عن المعنى الظاهر ، بالمقابل المفسر (إذا أراد في معنى الباء الاستعانة واسقاط المعنى الأصيل لحرف الباء وهو الإلصاق فإنه يكون قد سطّح المعنى واستغنى عن الدلالة التامة للقول واكتفى بمعنى جزئي قد يمثل مصداقاً خاصاً من ضمن مصاديق عامة أُخر، والأمر ظاهر فنحن إنما نستعين بالله تعالى بتعلقنا به الذي يمثل ما تفيدته (الباء) من الإلصاق مظهراً له ولا يعقل اننا نستعين به حقيقة من دون ذلك ، وكذا الحال عند جعل أي معنى آخر للباء من دون المعنى الأصيل ، وهو الإلصاق).^(١)

أما (اسم) أصله من السمو محققة بمعنى الرفعة ومنه السماء ، ويصح أن يكون اشتقاقه من السمة بمعنى العلامة ، والعلامة، والهاء عوض الواو فيكون أصله الوسم فالوسم والوسام والوسامة بمعنى (العلامة)^(٢)

والهمزة همزة وصل، ويصبح الاشتقاق من كل منهما، لأن التبديل والتغيير في أحرف الكلمة جائز ما لم يضر بالمدلول، ولفظ الاسم هنا واسطة محضة لاسم الله تبارك وتعالى لا أن يكون له موضوعية خاصة فيكون ممّا به ينظر كما

(١) مع القرآن : ١٣ .

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (وسم).



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

هو الشأن في جميع الأسماء، إلا أن فيها واسطة لتعرف المعنى وهما واسطة لتعرف اللفظ أي (الله) جلّ وعلا. (١)

وسواء كان الاسم مشتق من الوسم بمعنى العلامة أو من السمو بمعنى الرفة ففي البسمة وذكرها يكون إظهاراً لإضافة العبد لنفسه إليه تعالى إضافة (تشريعية) لذكر الله تعالى ، وبالمقابل رفعة للعبد.

لفظ الجلالة (الله) أجل لفظ في الألفاظ كلها لأعظم معنى في الموجودات جميعها، بهت في عذوبة لفظه كل سالك مجذوب وتحير في عظمة معناه جميع أرباب القلوب ، فكأن المعنى يتجلى في قوله سبحانه: ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ طه: ١٤ جمعت فيه من الكلمات حقائقها ومن الألصاق والعنايات دقائقها فما أعظم شأنه، فاسم (الله) يدل على الألوهية ، كما يدل على جميع حقائقها المتكثرة في نفس الوقت، فهو الاسم والجامع ودلالته على الحائق الكثيرة هي دلالة ضمنية من حيث جمعيته المتضمنة في وحدته الذاتية. (٢)

واشتقاق لفظ الجلالة من (الوله) ودلالته دال على العشق والمعنى أن الخلق يولهُون إليه إذ يستشعرون في وجدانهم اندفاعهم إليه سبحانه.

وفي رواية عن الإمام الحسين (عليه السلام) عندما سئل عن اسم الله سبحانه واشتقاقه قال:- ((الله مشتق من إله، والإله يقتضي مألوها ، والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعيد شيئاً ومن عبد الاسم والمعنى فقد اشرك ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد... ان لله تسعة وتسعين اسماً، فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً، ولكن (لله)

(١) ينظر : ينظر كل من: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ١٧/١ ، مع القرآن: ٦٣

(٢) فلسفة التأويل (دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي)، نصر حامد أبو زيد: ٦٦.



معنى يدل عليه بهذه الأسماء، وكلها غيره ، الخبز اسم للمأكل والماء اسم للمشروب، والثوب اسم للملبوس ، والنار اسم المحروق.. (١) .

أما معنى اسم (الرحمان الرحيم) : فالرحمان والرحيم اسمان دالان على الرحمة يقول ابن القيم فيهما: (الرحمان) الذي الرحمة وصفه و (الرحيم) الراحم لعبادة و لهذا يقول تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ الأحزاب: ٤٣ ، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ التوبة: ١٧٧ ، ولم يجي رحمان لعباده ولا رحمان بالمؤمنين مع ما في اسم الرحمان الذي هو على وزن فعلان من سعة هذا الوصف وثبت جميع معناه الموصوف به) (٢)

ألا ترى أنهم يقولون غضبان للممتلى غضباً وندمان و حيران و لهفان لمن ملئ بذلك، فبناء فعلان للسعة والشمول ولهذا يقرن على العرش بهذا الاسم كثيراً ، كقوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ طه: ٥:

فاستوى على عرشه باسم الرحمان لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها والرحمة محيطة بالخلق و اسعة لهم ، (٣) كقوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف: ١٠٦ .

نفهم من الآراء السابقة أن (الرحمان الرحيم) مشتقان من الرحمة ورحمته سبحانه اعظم صفاته وأوسعها لشموليتها الجميع (كل شيء) ، ثم ان الرحمان والرحيم من الصفات المشبهة إلا أن الفارق بينهما عند علماء النحو والتفسير كالاتي :-

(١) اصول الكافي، الكليني.

(٢) مدارج السالكين (بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، ابن قيم الجوزية: ٥٦/١، وينظر: مع القرآن : ١٧ .

(٣) ينظر مدارج السالكين : ٥٧/١



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

أ- الرحمان صيغة مبالغة و الرحيم صفة مشبهة ، الصفة المشبهة تدل على مجرد الثبوت.

ب- الرحمان مختص بالدنيا والرحيم مختص بالآخرة، وقد تقدمت الدنيا برحمتها على الرحمة الآخروية ، لأن الأول مقرون بالمغفرة والتوبة، رحمان على من تاب ويغفر له وهذا في الحياة الدنيا، أما الرحيم فهي أخروية، رحيم بعبادة في الآخرة.

٣ - موضع الرحمة في البسمة:

ذكر ابن القيم أن قوماً استبعدوا أن يكون الرحمان نعتاً لله تعالى من قولنا (بسم الله الرحمن الرحيم) وقالوا الرحمان علم والأعلام لا تنعت بها، ثم قالوا هو يدل من اسم الله تعالى ويدل على هذا أن الرحمان علم مختص بالله تعالى لا يشاركه فيه غيره، فليس هو كالصفات التي هي العليم والقدير والسميع والبصير، ولهذا تجري على غيره تعالى.^(١)

فكان غضبان كامل لضعف من الغضب فكان اللفظ مضارعاً لفظ التشبيه، لأن التشبيه ضعف في الحقيقة.^(٢)

أما الجمع بينهما فيه معنى أن الرحمان دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل ، فالأول دال على الرحمان صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته ، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ الاحزاب: ٤٣ ، وقوله عز

(١) ينظر: مدارج السالكين : ٥٧/١.

(٢) ينظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية : ٤٠/١



وجل في موضع آخر: ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: ١١٧ ، ولم يجيء قط (رحمان بهم) فعلم أن الرحمان هذا الموصوف والرحمة والرحيم هو الراحم برحمته. (١)

لذا فإن صفة الرحمان من صفات الله تعالى الثابتة دل على ثبوتها الكتاب والسنة والفعل، وهي صفة لا تليق إلا بالذات الالهية ولا يجوز تحريفها أو تأويلها أو نفيها أساساً لأن ثبوتها في القرآن الكريم ورد في آيات عدة كسورة طه آية: ٥ ، والاحزاب آية: ٤٣ ، والانعام آية: ٥٤ ، ومن ثم يوسف آية: ٣٤ .

٤ - انواع رحمة الله سبحانه: رحمة الله تبارك وتعالى نوعان رحمة عامة ورحمة خاصة.

أما الرحمة العامة فهي التي لا تشمل جميع المخلوقات بوجودهم مرة أو ترتيبهم أخرى ورزقهم الثالثة... الى غير ذلك من نعمه سبحانه ، بوصف الرحمة العامة شاملة لجميع مخلوقاته حتى الكفرة ، السبب في شمول الفئة الأخيرة لأنه سبحانه قرنهما بالعلم أي كل من بلغه علم الله سبحانه بلغته رحمته فكما يرحم المؤمن الملتزم يرحم الكافر لكن رحمته سبحانه للكافر رحمة جسدية أي رحمة للبدن ، دنيوية قاصرة غاية في القصور عن رحمة المؤمن، والدليل على ذلك أن الله سبحانه يرزقه لطفه ورعايته. (٢)

(١) ينظر: بدائع الفوائد: ٤٣/١

(٢) المصدر نفسه: ٤٣/١



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

أما الرحمة الخاصة فهي خاصة بالمؤمنين يرحمهم الله تعالى فيوفقم إلى الهداية والطريق المستقيم ويرزقهم الحياة الطيبة في الدنيا بعين لطفه وحنانه ويرحمهم في الآخرة، لذا يتجاوز منهم ويدخلهم الجنة برحمته الخاصة

٥ - الفرق بين (الرحمان) و (الرحيم) :-

في الفرق بين الرحمان والرحيم وجوه عدة:

الوجه الأول من ناحية الدلالة اللغوية، الرحمان أكثر مبالغة. والوجه الثاني من ناحية جواز التسمية بهما الرحمان اسم مختص بالله تعالى لا يجوز أن يسمى به غيره بخلاف الرحيم.

أما الوجه الثالث في الفرق بين المعنيين ان الرحمان يدل: على سعة رحمة الله تعالى الرحيم يدل على إيصالها بخلقه، فالرحمان ذو الرحمة الواسعة ، والرحيم ذو الرحمة الواصلة.

وهناك رأي آخر لبعض العلماء من ناحية الفرق بينهما من جهة سعة الرحمة وخصوصها وهي أما في الدنيا وأما في الآخرة ، فالرحمان ذو الرحمة الشاملة للخلائق في الدنيا والمؤمنين في الآخرة والرحيم خاص بالمؤمنين.

٦ - فضل البسمة: وردت أحاديث وأقوال وروايات كثيرة عن فضل البسمة نذكر منها على سبيل المثال:

- روي عن رسول الله (ﷺ) انه قال: (من أراد أن يُنجيه الله تعالى من الزبانية



التسعة عشر، فليقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فإنها تسعة عشر حرفاً ليجعل الله كل حرف منها جُزءاً من واحد منهم. (١)

- روي عنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إنه قال: (من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحا عنه أربعة آلاف سيئة ، ورفع له أربعة آلاف درجة) (٢)

- وفي رواية أخرى للرسول الأكرم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مخاطباً فيها الناس بقوله: (اذا قال العبد عند منامه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يقول الله تعالى: يا ملائكتي اكتبوا بالحسنات نفسه إلى الصباح). (٣)

- روي عن ابي عبد الله الصادق (عَلَيْهِ السَّلَام) إنه سئل عن (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال: (الباء: بهاء الله والسين سناء الله ، و الميم ملك الله، قال: الله الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا واللام: إزام الله خلقه والهاء هواء لمن خالف محمداً وآل محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، الرحمان لجميع العالم، الرحيم بالمؤمنين خاصة) (٤)

- روي عن الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَام) إنه قال (إن بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين وإلى بياضها). (٥)

(١) بحار الأنوار: ٢٥٧/٨٩، مستدرك الوسائل: ٣٨٧/٤

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٩٩/١، مستدرك الوسائل: ٣٨٧/٤

(٣) بحار الأنوار: ٢٥٨/٨٩ جامع الأخبار: ٤٢

(٤) البرهان: ١٠٢/١، تفسير نور الثقلين: ١٠٢/١

(٥) بحار الأنوار: ٢٣٣/٨٩، وسائل الشيعة: ٥٩/٦



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

وعن علي بن حسن بن فضال عن أبيه أنه قال: (سألت الرضا (عليه السلام) عن بسم الله قال معنى قول القائل بسم الله أي اللهم نفسي بسمة من سمات الله عز وجل وهي العبودية ، قال فقلت له ما السمة ؟ قال العلامة) (١)

فكل ما ورد من الروايات السابقة فيها من الدلالة ما تؤكد أهمية

وبركة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وفضلها الواسع عند ذكرها والتسبيح بها والمداومة عليها في صحوة الإنسان ونومه وفي عباداته ومعاملاته بوصف كل حرف منها له دلالة الخاصة المرتبطة بقدرة الله تعالى ورحمته الواسعة لكل شيء.

(١) بحار الأنوار : ٢٣٣/٨٩ ، وسائل الشيعة : ٥٩/٦



المطلب السابع

مبدأ دخول الاسرائيليات في التفسير

أول / معنى مصطلح (الاسرائيليات)

لفظ الإسراييليات جمع لمفردة (إسراييلية)، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر اسراييلي والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ابوالأسباط الإثني عشر.^(١)

وقد ذكر اليهود في القرآن الكريم منسوبين إلى أبيهم إسرائيل في مواضع كثيرة قال تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) البقره: ٤٠ وإسرائيل كلمة عبرانية مركبة من (إسرى) بمعنى (عبد) ومن (إيل) وهو (الله) فيكون معنى الكلمة (عبد لله وصفوته من خلقه) ^(٢)، وقال الدكتور (جورج بوست)*: (اسراييل لقب يعقوب ، وهي تفيد معنى الأمير المجاهد مع الله، ثم أطلق هذا اللقب على جميع ذرية يعقوب إلى حين انفصال العشرة أسباب عن بيت داود) ^(٣)

والمقصود من الاسرائيليات بالمعنى الاصطلاحي الذي لم نجد حديثاً عنه وإنما ذكره عدد من الباحثين والمحدثين، فمنهم من قال: (لفظ الإسراييليات وان كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير. وما كان للثقافة اليهودية من أثر

(١) ينظر: الإسراييليات في التفسير والحديث ، محمد حسين الذهبي ١٢٠

(٢) ينظر: قاموس الكتاب المقدس : ١، مادة (إسرائيل) *عالم يهودي ومفكر ديني.

(٣) المصدر نفسه : ١ مادة(اسراييل)



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

ظاهر فيه، إلا أننا نريد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فنريد به ما يعم واللون اليهودي واللون النصراني للتفسير، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية، وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ الاسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلا أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجا). (١)

ومنهم من وصف هذه الكلمة بأنها يهودية الأصل ومن ثم أصبح لها الغلبة ليس فقط على ما نقل من اليهودية إلى الإسلام، بل كل ما نقل من الديانات الأخرى أيضاً إلا أنها خصت بهذه التسمية لأن أغلب ما نقل عن اليهودية والأديان الأخرى كان طريقة أولئك الاسرائيليون. (٢)

وفي رأي طُرح للعالم الغربي (فان فاوتن) قال فيه: (يطلق علماء المسلمين كلمة إسرائيليات على جم العقائد غير الإسلامية، ولاسيما تلك العقائد والأساطير التي رسمها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري). (٣)

(١) التفسير والمفسرون: ١٦٥/١

(٢) ينظر: نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن: د. أحمد خليل: ٣٧.

(٣) السيادة العربية والشيعية والإسرائيليات في عهد بني أمية، فان فاوتن، تر: د حسن إبراهيم حسن،

محمد زكي إبراهيم: ١٠٩.



ثانياً / أقسام الإسرائيليات: وهي عدة نذكر منها:

١ - صحيح من ناحية سنده و متنه ، مثاله ما رواه البخاري في صحيحه قال: (حدثنا عبد الله بن سلمة حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة... عن عمرو بن العاص إن هذه الآية التي في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب ٤٥ ، قال في التوراة: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً للأمين أنت عدي ورسولي سميك المتوكل ليس بغط ولا غليظ ولا سحاب بالاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعينا عمياً وآذانا صماً وقلوباً غلفاً).^(١)

٢ - ضعيف من ناحية سنده و متنه: روي على لسان ابن جرير في تفسيره انه قال (حدثنا حجاج عن ابن جريح عن وهب بن سلمان عن شعيب الجياشي قال في كتاب الله سبحانه: الملائكة حملة العرش لكل ملك منهم وجه انسان وثور وأسد فإذا حركوا أجنحتهم فهو برق).^(٢) وهذا ما لا يقبله العقل

٣ - موضوع: وهو ما كان مصنوعاً ومثاله: (ما رواه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس بخنصر وكان الله ملكه سبعمائة سنة ، فسار اليهم حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها وقتل على دم زكريا سبعين ألف ثم سبى أهلها.. وسلب صُلبي بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير: ١٦٩/٦. وينظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٣/٢

(٢) تفسير الطبري: ٣٤٤/١



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

من حلي حتى أوردته. قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيماً عند الله؟ قال أجل بناه سليمان بن داود من ذهب و در وياقوت وزبرجد وكان بلاطه بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة وعماده ذهباً.... (١).

فكل ما ورد من الروايات السابقة موضوع ولا أساس له ولم يذكرها التاريخ وليس لها سند صحيح.

٤ - ما يتعلق بالعقائد: نذكر مثلاً: (رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: جاء خبر من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على اصبع والأرضيين على اصبع، والشجر على اصبع، والماء الثرى على اصبع، وسائر الخلائق على اصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ) ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ الزمر: ٦٧ (٢)

ثالثاً / دخول الإسرائيليات في التفسير بالمأثور: ٢ (٣)

عرّفنا الإسرائيليات بأنها الروايات والأخبار غير الثابتة، المنقولة عن اليهود أو النصارى و الإخباريين، والتي تتعلق بقصص الأنبياء وأحداث الماضي.

وإذا لم يرد في الروايات أو الأحاديث الصحيحة شاهد لصحة هذه الإسرائيليات فإنه لا يجوز ذكرها وتفسير القرآن الكريم بها.

ويهمنا هنا أن نرصد دخول الإسرائيليات إلى التفسير بالمأثور، ممّا سبب ضعف الروايات المأثورة، وضعف: ثقة العلماء بها

(١) تفسير الطبري: ٧/١٥

(٢) الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، رمزي نعاة: ٧٩ .

(٣) تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين: ٣٢٠ - ٢٣١ .



ولم يعتمد الصحابة على الإسرائيليات في التفسير بالمأثور، ولم يأخذوا عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى في تفسير قصص القرآن الكريم. ولم يرجعوا إليهم في موضوعات العقيدة أو الأحكام

وكان بعض الصحابة يوردون البعض من تلك الروايات الإسرائيليات في الأمور الثانوية الفرعية، كتوضيح لبعض ما أجمله القرآن الكريم من قصص السابقين ولا يعتمدون ما يوردونه بل يتوقفون فيه ، أي أن من عاد من الصحابة إلى أهل - الكتاب كان يعرف كيف يأخذ عنهم ومتى وفي أي موضوع، وما كان يعتمد ما يأخذه إنما يتوقف فيه.

وقد توسع التابعون أكثر من الصحابة في العودة إلى الإسرائيليات لكن أخذهم كان بمقدار و بدون توسع وجاء مفسروا المأثور بعد ذلك فأفراطوا في الأخذ من الاسرائيليات بدون ضابط أو مقدار ، وملؤوا تفاسيرهم المأثورة بتلك الاسرائيليات المفصلة المخالفة للكتاب والسنة ، وهذا ما طغى على التفسير بالمأثور في تفاسيرهم.

وبذلك كان للإسرائيليات أثرها السيئ في كتب التفسير بالمأثور.

وأقطاب الروايات الاسرائيلية هم كل من: كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وعد الملك بن جريح.

والراجح عندها هو عدم أخذ الإسرائيليات وعدم روايتها، وعدم تفسير القرآن الكريم بها، إلا إذا جاء لها شاهد من مصادرنا الإسلامية المتمثلة بالآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة المسندة إلى رسول الله (ﷺ)، وقد وفق الله



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

سبحانه العلماء الربانيين للوقوف أمام تلك الإسرائيليات والنص عليها، وتحذير المسلمين منها، وظهر مفسرون مدققون نزهوا تفاسيرهم عن تلك الإسرائيليات.

رابعاً/التفسير الرمزي لكعب الأحبار:

من هو (كعب الأحبار) ؟

هو كعب بن مائع أو (مانع) الحميري كنيته أبو إسحاق، سكن اليمن ثم قدم المدينة في عصر ابي بكر وكان قد شارف على الثمانين من عمره ، سكن المدينة وتوجه بعد ذلك إلى الشام ، فأقام في حمص (مدينة بين دمشق وحلب) حتى وفاته سنة (٣٢) أو (٣٤) للهجرة ، عن عمر يزيد على المئة سنة.^(١)

تمكن كعب الأحبار بوصفه أحد علماء اليهود أن يحصل على ثقة السلطة الحاكمة آنذاك فضلاً عن توظيفه لتجربته الفنية في كثرة أسفاره و دورانه للبلدان استطاع أن ينال الموقع المميز الذي أراد و المنزلة الرفيعة لدى السلطة، فضلاً عن الشهرة الاجتماعية التي تمكن من الحصول عليها مع تمكنه من الخليفة الثاني بكسب ثقته لأنه كان يمدحه كثيراً وهذه ميزة تتوافق مع شخصية الخلفاء آنذاك.^(٢)

وبلغ استقطاب كعب الأحبار لثقة الخليفة الثاني حداً أنه كان يستشيريه في الأمور السياسية ، فيروى أنه استشاره في تنصيبه للإمام علي (عليه السلام) من بعده

(١) ينظر: تهذيب التهذيب : ٤٣٩/٨

(٢) ينظر: التفسير الرمزي لكعب الأحبار، نعمة الله الصالحي، تر: الشيخ صفاء الدين

الخرزجي : ٣٢



للخلافة فرد عليه كعب مجيباً: (لا يصلح، إنه رجل متين الدين، لا يغضي على عورة ولا يحكم على زلة... وليس هذا من سياسة الرعية) (١).

ويروى أن كعب الأحبار كان مقرباً من الخليفة الثالث كذلك ، وإن الأخير كان يُقدم رأيه على رأي أبي ذر ، فقد روي أن عثمان سأل يوماً جماعة كان فيهم كعب الأحبار وابوذر: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئاً قرضاً فإذا سير قضى ؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك فرد عليه ابو ذر يابن اليهوديين تعلمنا ديننا! فقال عثمان: قد كثر آذاك وتولعك بأصحابي ، الحق بالشام فأخرجه إليها. (٢)

وذكر في كتاب التهذيب أن معاوية في ولايته للشام كان داعماً لكعب الأحبار دعماً مطلقاً ساعياً في بث أفكاره وإمتداح شخصه فنراه يقول: إن كعب الأحبار أحد العلماء. (٣)

وبسبب كذبه الذائع المسلم وفق مصلحته الخاصة فقد وصفه أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بقوله: (إنه كذاب) . (٤)

والذي شجعه على كذبه موقف الحكومة الداعم له ولأكاذيبه وهذا الدعم والتشجيع كان سبباً في انتشار هذه الأكاذيب وبشكل واسع وسريع، ومن هذه الأكاذيب ما رواه صاحب الكافي بقوله: (مما حدث به كعب: إن الكعبة تسجد

(١) شرح نهج البلاغة : ١٢ / ١٩٣ .

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة : ٢٥٦/٨

(٣) ينظر: تهذيب التهذيب : ٤٣٩/٨

(٤) شرح نهج البلاغة : ٧٧/٤



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

في غداة كل يوم لبيت المقدس، وذلك لتفضيل بيت المقدس وهي قبة اليهود على الكعبة،

، وقد أخذ هذا الحديث مأخذاً وصدقة المسلمون على ذلك حتى أن شخصاً جاء بعد سبعين سنة من وفاة كعب إلى الإمام الباقر (عليه السلام) لينقل له قول كعب هذا في الكعبة وبيت المقوس ويسأله عنه، فقال له الإمام الباقر (عليه السلام) فما تقول فيهما قال كعب؟ فقال صدق القول ما قال كعب، فقال ابو جعفر (عليه السلام): كذبت وكذب كعب الأخبار معك وغضب).^(١)

وكذبه هذا كان واضحاً حتى للخلفاء الداعمين له فقد قال عنه معاوية الراعم له: (كنا لنبلوا عليه الكذب).^(٢)

فضلاً عن ذلك فإنه كان يسعى إلى بث المعتقدات اليهودية بين المسلمين منها رؤية الله سبحانه وتعالى وهذا معتقد يهودي حتى أن لديهم - أي اليهود - اعتقاد تام بأن الله سبحانه أصيب يوماً بوجع في عينيه فعادته الملائكة.^(٣)

كانت تلك لمحة عامة عن حياة عالم يهودي أسلم وأعلن إسلامه في الثمانين من عمره، ولأنه كان مقرباً من الخلافة فقد سُنح له أن يبث طوال عشرين سنة كل ما أراد في تفسير القرآن الكريم وتاريخ الأنبياء، وكذلك نقل الأحاديث الكاذبة وترويج العقائد الباطلة، فكان لنشاطه هذا الدور التخريبي في

(١) الكافي: ٤/٢٤٠

(٢) تهذيب التهذيب: ٤٣٩/٨

(٣) ينظر: الملل والنحل، الشهرستاني: ٤٨.



فكر المسلمين وعقائدهم وثقافتهم ، ولا زالت كتب المسلمين لم تهذب من أفكاره وأكاذيبه..

خامساً / شيوع التفسير الرمزي لكعب الأحبار في المجتمع الإسلامي: (١)

لقد كان تفسير كعب الرمزي عبارة عن تفسير (الباء) في (بسم الله) بيهاء الله (السين) بسنانه ، و (الميم) (بملكه). وقد كان من الطبيعي أن يروج إعلام الخلافة لصالح آرائه ونشرها بعد ان استطاع كسب ودها وتأيدها له. ومن هنا فقد شاع تفسيره ل(بسم الله) في المجتمع الإسلامي كراي مقبول، يُدرس في المكاتب لمتعلمي القرآن الكريم وتفسيره.

وثمة عامل لا ينبغي الغفلة عنه ساعد في نشر أفكاره وآرائه ألا وهو بساطة عامة الناس وتلقيهم لآراء كعب في التفسير الرمزي والحروفي على أنها كشف علمي جديد .

ففي تلك المدة التي لم يحسن فيه القراءة والكتابة إلا قلة قليلة جدا ، بل حتى المتعلمين منهم كانوا سطحيين ولم يكونوا بدرجة من العمق ، عندما يبلغهم عن شيخ من علماء اليهود أنه يفسر الباء في (بسم الله) بمعنى بهائه، والسين بسنائه، والميم ملكه، فإن طراوة هذا الكلام وحداثته بالنسبة لهم تشكل سبباً في انجذابهم إليه وكأنه كشف جديد، فيخيل إليهم أن مثل هذا العالم الخبير - وهو موضع ثقة الخلافة - قد وجد ذلك في الكتب السماوية وفي كتب الأنبياء السابقين. فالبسطاء من الناس لا يلتفتون إلا أن الحرف لو جاء لوحده وبمعزل

(١) ينظر: التفسير الرمزي لكعب الأحبار : ٣٥-٣٧.



الفصل الثاني النص القرآني وعلوم القرآن الكريم

عن تركيب الكلمة ، فإنه لا يدل على شيء ، فحرف الباء - مثلاً - لم يوضع لمعنى لوحده ، فهو مادة أولية إذا اجتمعت مع غيرها من الحروف أصبح لها معنى ما ، فالباء لو أضيفت إلى القاف واللام لوجد لها معنى وهو (قبل) ، كما أنها لو دخلت على زيد في (مررت بزيد) كان لها معنى ربطاً غير مستقل وهو المعنى الحرفي الذي يُقابل المعنى الاسمي ، إلا أن نفس هذا المعنى الربطي الحاصل للباء ، إنما يتبلور فيما لو دخلت على الكلام لا فيما إذا كانت مجردة لوحدها. ففي نفس كلمة (بسم الله) ترى أن لها معنى حرفياً رابطاً له متعلق مقدرٌ ولا معنى لها في نفسها.

فلو كان كعب الأحبار يريد من حرف الباء في بسم الله - في حالته المركبة - بهاء الله ، ومن السين سنائه، ومن الميم ملكه، لم يكن تاماً، وذلك لأن حرف الباء إذا كان في حالته التركيبية فإن له معنى حرفياً رابطاً وليس معنى رسمياً، فلا يوجد للسين أو الميم معنى مستقل.

وان كان يُقصد بهذا التفسير أمراً غير مطابقاً لقواعد اللغة العربية كما لو كان يقصد به العلوم القريبة والرموز الغيبية والملكوتية العالية فهذا لا يعدو أن يكون نسجاً من الخيال لا يبعد صدوره من شخص كذاب مثل كعب الأحبار.

وعليه فتفسير (بسم الله) بطريقة الرمز لكعب الأحبار ممّا لا ينطبق و القواعد والمعايير العلمية والأدبية والمنطقية ، ولا يمكن الأخذ به وقوله. ولا بُدّ من تصنيفه في الإسرائيليات الداخلة في الثقافة الإسلامية والتي يجب تهذيبها وتنقيتها منها.



الخاتمة

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، نذكر:

١ - القرآن الكريم هو الفضاء الروحي والفكري الذي صاغ الهوية الحضارية العربية الإسلامية وهو النبع المتدفق الذي يرفدنا بالمعنى والقيمة لذا فتركز حوله الدراسات الكاشفة عن ماهيته الجمالية.

٢ - جمالية التعبير القرآني المعروفة بأنها كل ما يدل على خصوصية الأداء الفني القادر على خصوصية ترك الشعور الذي يلقي في ضلاله على الصياغة الفنية للآيات المباركات القادرة على إثارة إنفصالات المتلقين وتأجيج عواطفهم المحققة لديهم المتعة والرغبة في الخوض بعلومه المختلفة.

٣ - التفسير والتأويل من المفاهيم التي تعمل على استنباط المعاني واستخراج الدرر الكامنة في أعماق القرآن الكريم إذ لا حدّ لقره ولا شاطي لمحيطه.

٤ - هناك أمور عدة كاشفة عن حاجة القرآن الكريم إلى التفسير و التبيين.

منها أسباب نزول الآيات المباركات بوصفها قرائن حالية للمتكلم والاحكام من الآيات المباركات.

٥ - الخطابات القرآنية الإبداعية ما هي إلا تبليغات وإرشادات قرآنية تؤدي عبر وسيط خاص من اللغة والتعبيرات ، لذا فإن إرتباط هذه اللغة الخطابية بالنص القرآني يتيح للدارس فتح فضاءات معرفية لتتم له قراءة تلك الخطابات القرآنية عبر مفاهيم تحليل الخطاب القرآني لبعده تواصلية أولاً ومن ثم إتاحة الغرض للتعرف على المعارف الجمالية التي تكون عن طريقه.



٦ - للسياق القرآني الأثر الكبير في تفسير القرآن الكريم وبالمقابل في بيان ذلك الواقع العلمي له، لذا ساعد السياق بشكل كبير في الوقوف على مراد الله سبحانه بوصف القرآن الكريم الكتاب المبارك المرتبطة آياته الواحدة بالأخرى مع وجود العلاقة الرابطة بين كلمات تلك الآيات بين العلمية والتربوية.

٧ - الراسخون في العلم هم (فاطمة وابوها وبعلمها وبنوها) عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ، هذا ما أكدته البحث والرد على من شكك في أمر رسوخهم في العلم عن طريق جمع من الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية والروايات بأسانيدھا المعتمدة القاطعة بأن الرسوخ هو الثبات المحصور بهم عليهم أفضل الصلاة والسلام.

٨ - للقراءات القرآنية الأثر الواضح في تفسير القرآن الكريم عند أغلب العلماء لذا الشرط الأول والوحيد في قبول القراءة أن تكون مُقررة من قبل الرسول (ﷺ)، وأهل بيت النبوة. حسب ما وضعوه من ضوابط وبأنها لا توجب التضاد في المعنى العام للنص القرآني ولم يتم إقرار شرعيتها من قبل أهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام.

والله ولي التوفيق



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

أولاً الكتب المؤلفة

-أ-

- ١ - الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، د.ط، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ط، ١٩٧٣م.
- ٢ - أحكام صنعة الكلام، محمد بن عبد الغفور الكلاعي الاشبيلي الأندلسي، تحقق: د. محمد رضوان الداية د.ط، بيروت، ١٩٦٦م.
- ٣ - إحياء علوم الدين، ابو حامد محمد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، د.ط، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٢م.
- ٤ - أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١ دار الكتب العلمية، ط ١٩٩٨م.
- ٥ - أساس التقديس، فخر الدين الرازي، تحقيق: محمد بن عمر، د.ط، مطبعة الحلبي، مصر، ١٩٣٥ م
- ٦ - أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، د.ط، دار الكتب العلمية، قم، ١٣٦١ هـ. ش.



- ٧ - أسباب النزول ، محمد باقر حجي ، د.ط ، دفتر نشر فرهنگ ، إسلامي ، طهران ١٣٦١.هـ. ش.
- ٨ - الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ، رمزي نعاة ، د.ط ، دار القلم ، دمشق دار الضياء ، بيروت ، ، ١٩٧٠م.
- ٩ - اسطورة الأدب الرفيع ، د. علي الوردي ، ط٢ ، دار الرواق ، بيروت ، ٢٠١٠م
- ١٠ - اشكاليات القراءة وآليات التأويل ، نصر حامد ابو زيد ، ط٩ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠١٢م.
- ١١ - اصول التفسير والتأويل (مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وابزر المفسرين) ، السيد كمال الحيدري ، ط٣ دار فراق ، إيران ، ٢٠٠٦م.
- ١٢ - الاصول العامة للفقهاء المقارن (مدخل إلى دراسة الفقه المقارن) ، العلامة محمد تقي الحكيم ، ط٢ ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م.
- ١٣ - الأصول في الكافي ، ابو جعفر محمد بن إسحاق الرازي ، د.ط ، دار التعارف ، بيروت ، د.ت.
- ١٤ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ٢٠٠٥م.
- ١٥ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، عبد الله بن أحمد الشيرازي البيضاوي ، د.ط ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.



-ب-

- ١٦- بحار الأنوار الجامعة لدور أخبار الأئمة الأفكار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، د.ط، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ١٩٦٨ م.
- ١٧- البحر المحيط في التفسير، أثير الدين ابو حيان الأندلسي، د.ط تحقيق: صدقي محمد جميل، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ١٨- بحوث في علم الأصول (تقريراً لأبحاث الشهيد السيد محمد باقر الصدر) بقلم السيد محمود الهاشمي، د.ط، مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٥.
- ١٩- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط
- ٢٠- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣ م.
- ٢١- بنية الخطاب وتأويل النص، أحمدى بابك، د.ط، نشر مركز طهران ١٣٨٨ هـ.
- ٢٢- البيان في تفسير القرآن، ابو القاسم الخوئي، ط٨، منشورات دار نوار الهدى ١٩٨١ م.



-ت-

٢٣ - التأويل اللغوي في القرآن الكريم ، د. حسين حامد الصالح، ط٦، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥م.

٢٤ - التأويل مختلف المذاهب والآراء احمد هادي معرفة، ط١، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، إيران، ٢٠٠٦م.

٢٥- تأويل القرآن (النظرية والمعطيات)، السيد كمال الحيدري، ط١ ، دار قراقد للطباعة والنشر، إيران ، ٢٠٠٥م

٢٦ - التحرير والتنوير، المعروف تفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، ط١، مؤسسة التاريخ ، بيروت، ١٤٢٠ م

٢٧ - تعريف الدارسين بمنهاج المفسرين، ط٥، صلاح عبد الفتاح الخالدي - دار القلم دمشق ، ٢٠١٢م.

٢٨ - تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، الحسين بن مسعود(ت:٥١٦ هـ).
تحقيق:محمد النمر واخرون ، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ.

٢٨ - التفسير الرمزي لكعب الأحبار (نظرة حول نفوذ الإسرائيليات في مصادر الحديث والتفسير) ، نعمة الله الصالحي، ترجمة: الشيخ صفاء الدين الخزرجي، ط١ (كتاب المنهاج) ، مركز الغدير للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧م.

٢٩ - تفسير العياشي، الشيخ ابو النظر محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠م)
، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤٢١ هـ.



- ٣٠- تفسير القمي ، ابو الحسن علي بن إبراهيم القمي ، علق عليه السيد طيب الموسوي، د.ط ، مؤسسة دار الكتاب، قم ، د.ت.
- ٣١- تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر، مجموعة من الباحثين ، منشورات ، د.ط، الجامعة الإسلامية ورابطة علماء فلسطين، غزة، ٢٠١٩ م.
- ٣٢ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب الفخر الرازي، ط١، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ١٤٢٠ هـ.
- ٣٣ - التفسير الكبير، العلامة تقي الدين ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) ، تحقيق: د عبد الرحمن عميرة، ط٤، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٣٤ - التفسير معالم حياته ومنهجه اليوم أمين الخولي، د.ط، دار المعلمين للطبع والنشر، ١٩٤٤ م
- ٣٥ - تفسير المنار محمد رشيد رضا ، ط٢، الدار العربية للطباعة والنشر ، ١٣٦٦ هـ
- ٣٦ - التفسير و المفسرون ، محمد حسين الذهبي، د.ط ، القاهرة، د.ت.
- ٣٧- التفسير والمفسرون محمد هادي معرفة ، ط٢، الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية ١٤٢٥ م.
- ٣٨ - تقريب وتهذيب ، وصلاح الخالدي، د،ط - دار القلم ، دمشق، د.ت
- ٢٩ - التمهيد في علوم القرآن، الشيخ محمد هادي معرفة ، د،ط، مؤسسة التمهيد للنشر والتوزيع ، د.ت.



٤٠ - تهذيب الأسماء واللغات ابو زكريا محمد الدين النووي (ت: ٦٢٩ هـ)
، د. ط ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة دار الكتب العلمية بيروت، د. ت

-ج-

٤١ - جامع أحاديث الشيعة آية الله البروجردي، تحقيق: حسين الطباطبائي، د
، ت، د، ط.

٤٢ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط ٢، دار
إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٧٢ هـ.

٤٣ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري - العلامة
الطبري تحقيق: د. بشار عواد معروف، عصام فارس الخرساني، ط ١، مؤسسة
الرسالة بيروت، ١٩٩٤ م.

٤٤ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنشور، ضياء الدين ابن
لأثير، تحقيق مصطفى جواد وجميل سعيد، د. ط مطبعة المجمع العراقي،
١٩٥٦ م.

٤٥ - جمالية الخطاب القرآني برؤية معاصره. د. سلام كاظم الأوسي، ط ١، دار
نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ٢٠١٤ م.

-ح-

٤٦ - حدائق الأنس في نوادر العرب والفرس، الحسيني الكاشاني، ط ١، مطبعة
خيام، قم، ايران، ١٤٠٠ هـ



٤٧ - الحسان في تفسير القرآن ، ابو زيد الثعالبي ، د.ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، د.ت.

-خ-

٤٨ - الخطاب والتأويل ، د. نصر حامد أبو زيد ، ط٢ ، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء العربي، المغرب ٢٠٠٨ م

-د-

٤٩ - دراسات في أصول تفسير القرآن.د. محسن عبد الحميد، د.ط - دار الثقافة للنشر والتوزيع - العراق، د.ت.

٥٠ - دراسات في الفرق والعقائد، د. عرفان عبد الحميد، د.ط، مطبعة الإرشاد، بغداد - ١٩٦٧.

٥١ - دروس في علم الأصول ، السيد محمد باقر الصدر، د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٠٦.

-ر-

٥٢ - دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً) ، د.ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، ط٥ ، المركز الثقافي العربي، بيروت ، ٢٠٠٧

٥٣ - رسالة الهرمنيوطيقا ، بور ريكور، د.ط ، انتشارات ذو شكران ، طهران ، ١٣٨٧ هـ.



٥٤ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود شكري الآلوسي البغدادي شهاب الدين (ت: ١٢٧٠ هـ) ، صححه: محمد حسين العرب، د.ط، اشراف هيئة البحوث والدراسات ، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٥٥ - الروض المرعب في صناعة البديع ، ابن البناء المراكشي تحقيق: رضوان بد شقرون، د.ط، الدار البيضاء المغرب، ١٩٨٧

-س-

٥٦- السنن الكبرى ، ابو بكر أحمد بن علي البيهقي (ت: ٤٥١ و) تحقيق محمد عبد القادر عطا، د.ط، دار الكتب البيروت. د.ت.

٥٧- السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عصر بني أمية، فإن قاوتون، تر:د. حسن إبراهيم حسن، محمد زكي إبراهيم، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥ م.

-ش-

٥٨- شواهد ، لتنزيل، عبد الله بن عبد الله النيسابوري النجفي، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر والتابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، طهران، ١٤١١ هـ.

٥٩ - سيرة أعلام النبلاء، ابو عبد الله الذهبي (ت٥٧٤٨هـ)، تحقيق:حسان عبد المنان بين الأفكار الدولية، د.ت



-ص-

٦٠- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفار عطا ، د ط ، د.ت.

٦١- صحيح مسلم - مسلم بن حجاج النيسابوري ات: (٢٦١هـ)، د.ط ، دار الكتب، بيروت ، ١٩٧٧ م

٦٢ - صيانة القرآن من التحريف ، محمد هادي معرفة، ط١ ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٣هـ.

-ط-

٦٢ - الطبقات الكبرى ، ابن سعد، د.ط ، تحقيق: أحمد عبد القادر عطار ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ط ، د.ت.

-ع-

٦٣ - العقل والعقلانية في القرآن الكريم علي بيضون، ط١ ، كتاب المنهاج ، مركز التقدير للدراسات والنشر - بيروت ، ٢٠٠٧م.

٦٤ - علم التفسير ، د. محمد حسين الذهبي، د.ط - دار المعارف، مصر، د.ت.

٦٥ - علوم القرآن السيد محمد باقر الحكيم ، ط١ ، مكتبة سلمان المحمدي - العراق ، ٢٠١٣م،

٦٦ - علوم القرآن عند المفسرين ، مركز الثقافة والمعارف الإسلامية، مركز الاعلام الإسلامي، ط١ ، قم ، ١٤١٦هـ.



- ف -

٦٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن باب نزول القرآن بلسان العرب، ابن حجر العسقلاني، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٦٨ - فتح البيان، محمد صديق خان، ط١، مطبعة بولاق، ١٣٠٠هـ

٦٩ - الفروع في الكافي، ابو جعفر محمد بن اسحاق الكليني الرازي (ت: ٣٢٨ هـ)، ط٣، لكتب الإسلامية، طهران، ١٩٨٨م.

٧٠ - فصول في أصول التفسير د. مساعد بن سليمان الطيار، د.ط، دار ابن الجوزي، ١٤٤٣هـ.

٧١ - فضائل القرآن، ابو الفداء عمر بن كثير، تحقيق: ابو اسحاق الأثري، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٦هـ

- فلسفة التأويل (دراسة في تأويل القرآن عند هي الدين بن عربي)، نصر حامد ابوزيد، ط٥، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣م.

٧٢ - فهم القرآن (دراسة على ضوء المدرسة السلوكية) - جواد علي كسار، ط١، مؤسسة العروج، ١٤٢٤هـ

٧٣ - فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، الغزالي - تحقيق: سليمان دنيا، د.ط، دار ياحياء الكتب العربية، القاهرة - ١٩٦١م



-ق-

- ٧٤ - القرآن عند الشيعة، السيد بسام مرتضى العاملي، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠١١ م.
- ٧٥ - القرآن في الإسلام - السيد محمد حسين الطباطبائي، ط٥، جامعة مدرسين، قم، ١٣٧٢ هـ.ش
- ٧٦ - القرآن وإعجازه العلمي محمد إسماعيل إبراهيم، د.ط، دار الفكر العربي دار الثقافة العربية للطباعة، . د. ت
- ٧٧ - القراءات القرآنية (تاريخ وتعريف) ، د. عبد الهادي الفضيلي، ط٤، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩ هـ
- ٧٨ - القراءات الشاذة وتوجيهها، عبد الفتاح القاضي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- ٧٩ - القراءات القرآنية ، خير الدين سيب، د.ط، دار ابن حزم، ٢٠٠٨ م.
- ٨٠ - القراءات القرآنية (محددات الأداء وإشكالية المعنى) ، منتظر حسن علي، ط١، دار نيور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ٢٠١٤ م.
- ٨١ - قواعد الترجيح عند المفسرين ، حسين بن علي الحزري، ط١، دار القاسم، ١٩٩٦ م
- ٨٢ - قواعد التفسير، خالد السبت، د.ط، دار عثمان بن عفان - الرياض.د.ت



٨٣ - قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة ، محمد فاطر الميبري ، تقديم: ماجد حمد الطائي ، ط١ ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، مركز التحقيقات للدراسات العلمية ، إيران ، ٢٠٠٧ م

-ك-

٨٤ - الكامل في التاريخ ، ابو الحسن علي عز الدين بن الأثيرات: (٣٦٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٩٧ هـ.

٨٥ - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، د.ط ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٢٠٠٣ م.

٨٦ - كتاب فضائل الصحابة، ابو عبد الله أحمد بن حنبل (ت: ٧٤١هـ) تحقيق: محمد بن عباس، د.ط، جامعة أم القرى ، د.ت

٨٧ -الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعالبي، د.ط، دار التفسير، جدة، د، ت.

٨٨-الكليات ، ابو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، تحقيق: د. عدنان درويش، ط٢، محمد المصهري، دمشق، ١٩٨١ م.

-ل-

٨٩ - لسان العرب ، للامام العلامة ابن منظورات: (٦٣٠ - ٧١١هـ) ط١ ، دار بإحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٠٨هـ.



-م-

- ٩٠- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد حسين الصغير، ط١ ، دار المؤرخ العربي، بيروت ، ٢٠٠٠ م.
- ٩١ - مجمع البحرين ، فخر الدين الطريحي النجفي - تحقيق: أحمد الحسيني، د.ط، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، د.ت.
- ٩٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن حسن الطبرسي، تصحيح و تحقيق: هاشم الرسول الكلائي، د.ط ، بدار المعرفة للطباعة والنشر ، د.ت.
- ٩٣ - محاضرات في علوم القرآن الكريم، غانم قدوري الحمد، ط١ ، دار عمار للطباعة النشر، عمان، ٢٠٠٣ م
- ٩٤ - المحكمات والمتشابهات في القرآن الكريم أحمد عبدة عوض ، د.ط ، دار الكرم للتراث، ٢٠١٣ م.
- ٩٥ - المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ، إبراهيم عبد الرحمن محمد خليفة، ط١ ، دارنهضة مصر - القاهرة ، ٢٠١٢ م.
- ٩٦ - المدخل إلى علم القرآن ، د. محمد فاروق النبهان، د. ط ، د. ت.
- ٩٧ - مدرك السالكين (بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) ، ابن قيم الجوزية :تحقيق: عماد عامر، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ط، د.ت.
- ٩٨ - المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر، ط١ ، مكتبة سلمان المحمودي، بغداد، ٢٠١٣ م.



- ٩٩ - مراتب فهم القرآن، د. طلال الحسن، ط١، مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية، بيروت، ٢٠١٥م.
- ١٠٠ - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٩٣م.
- ١٠١ - المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، مكتبة نزار مصطفى، د. ط، د. ت
- ١٠١ - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي، ط٢، مؤسسة دار الحجر، قم، ١٤١٤هـ.
- ١,٢ - مع القرآن (حوار في فهم بعض مقاصد آيات الذكر الحكيم) - عباس آل رهب الشمري، ط١، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ١٠٣ - المعنى القرآني بين التفسير والتأويل، .. عباس أمير، د. ط، مؤسسة الانتشار العزي، بيروت، د. ت.
- ١,٤ - معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني وتحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، دار العلم، الدار الشامية، ٢٠٠٩م.
- ١٠٥ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٨م.
- ١٠٦ - معجم مقاييس اللغة ابوالحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، د. ط ١٤٠٤هـ



- ١٠٧ - المعجم الوسيط ، أحمد حسن الزيات ، د.ط ، مجمع اللغة العربية، القاهرة..د. ت
- ١٠٨ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د.سعيد علوش، ط١ ، دار الكتب اللبناني بيروت، ١٩٨٥م.
- ١٠٩ - مقاربات لفهم النص المقدس عبر العصور، أ. محمد تهامي، ط١ ، دراسات قرآنية مجموعة من الباحثين، بيروت ، ٢٠٠٧م
- ١١٠ - مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، الامام ابو القاسم الراغب الأصفهاني - تحقيق: د. أحمد حسن فرحات ، ط١ ، دار الدعوة ، الكويت، ١٩٨٤م.
- ١١١ - الملل والنحل - الشيخ جعفر السبحاني، د.ط، مؤسسة الإمام الصادق، قم إيران، د.ت.
- ١١٣ - المناهج التفسيرية في علوم القرآن ، الشيخ جعفر السبحاني ، ط٤، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ٢٠١٣م.
- ١١٤ - مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني، ط٣ طبعة عيسى اليابى الحلبي ، دمشق ، ، ٢٠١٨م.
- ١١٥ - مواهب، الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السيزواري، د.ط ، مطبعة نكين ، ٢٠١٠.
- ١١٦ - الموسوعة الاسلامية الميسرة ، هـ. جب كالمرز - ترجمة: دراشير البراوي، د.ط ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٨٥م.



١١٧ - موسوعة المصطفى والعترة (ع)، حسين الشاكري، د.ط، المكتبة الشيعية، د.ت.

١١٨ - الميزان في تفسير القرآن - العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط٣، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٣٩٣ هـ.

-ن-

١١٩ - النص والمعرفة (قراءة تطبيقية في دور القرآن الكريم في تطور علم الفلك. - آ - د. عبد الأمير المؤمن، ط١، كتاب المنهاج) ، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧ م.

١٢٠ - نهج البلاغة ، الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، د.ط ، طبع نصه: د. صبحي العالي منشورات دار الهجرة ، ، د.ت.

-ه-

١٢١ - الهرمنيوطيقا ومنطلق فهم الدين، علي الرباني الكلبايكاني، تعريب: داخل الحمداني ، د.ط، مؤسسة أهل الحق الإسلامية ، ٢٠١٣ م.

-و-

١٢٢ - الواضح في علوم القرآن ، مصطفى ديب البغا، د.ط ، موقع نداء الإيمان، ٢٠١١ م.

١٢٣ - الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، سلوى محمد العوا، تقديم الاستاذة: د. عائشة عبد الرحمن نبت الشاطي، ط١، دار الشروق ، ١٤١٩ هـ.



ثانياً / الرسائل الجامعة

- تأويل النص القرآني بين تفسيري (في ظلال القرآن ومواهب الرحمن). د
ماجد مهدي ذياب السلطاني ، اطروحة دكتوراه، كلية التربية. جامعة القادسية
٢٠١٦ م

ثالثاً / المجلات والدوريات

- العقلانية والتأويل في الفكر الديني المعاصر، أ. د. عبد الأمير كاظم زاهد
مجلة الكوفة للدراسات ، العدد (٢٨٤) / ٢٠١٣ م.

رابعاً / الشبكة المعلوماتية

١ - التعريف بعلم اصول التفسير - فاضل عبد العباس النعيمي ، كلية العلوم
الإسلامية بابل بحث منشور على شبكة جامعة بابل

٢ - معنى علوم القرآن ، كلية الدراسات القرآنية، جامعة بابل ، نسخة محفوظة في

Wayback machine